

# خَوَاطِرُ مُسْلِمٍ فِي الْمَسْأَلَةِ الْجِنْسِيَّةِ

## مُحَمَّدٌ جَلالٌ كَشِك

بأمر القضاء

الطبعة الثالثة

رجب ١٤١٢ هـ / يناير ١٩٩٢ م

مكتبة التراث الإسلامي

عابدين - القاهرة

قبل أن تبدأ....

عزيزي القارئ،،،،،

تم نقل هذا الكتاب بكل أمانة،،،،،

وإن كنا لا نوافق الكاتب في ما ورد في هذا الكتاب بالنسبة إلى تصريحاته في مواضع كثيرة بتحريف الكتاب المقدس بعهديه، وإستناذه علي مرجعين ( الجنس في التاريخ ، المسيحية واللواط ) في تشويه معتقدات الكنيسة في الزواج، وإيهام القارئ بأن الإسلام هو من عرف المسيحية، والمسيحيين بالعدراء القديسة مريم ، وما تطرق إليه من شرح في اللذة الجنسية والشذوذ الجنسي ومحاولته تشويه التعاليم المسيحية ورأي الكنيسة في الزواج...

وللأسف أن رأي لجنة مجمع البحوث الإسلامية لم تنوّه في تقريرها عن الكتاب، ولو بإشارة واحدة، إلى التّعرض لمعتقدات الأديان الأخرى لتكون مرشداً ومعلماً للمواطنين في قبول الآخر، كإنسان، مهما اختلفت ديانته أو معتقداته.

\*\*\*\*\*

وسوف نقدم لسيادتكم، في وقت قريب، كتاب " الجنس ومفهومه الإنساني " لكوستي بندلي الذي يقول أن الجنس ليس حاجة بيولوجية بحتة، وهو إذن، لا يهدف إلى إزالة توتر عضوي فقط، إن وصل وجماع مع الآخر، يزيل العزلة التي يشكو منها الإنسان. وأن تحرير الجنس في المجون المعاصر ما هو إلا عبودية أقصي من عبودية الصمت والجهل والخوف... وكيف لا يكون ذلك حين يبطل الشخص الآخر ويصير التركيز علي اللذة الجنسية والتهاك عليها كمية وتفناً، لا نوعاً وعاطفة. وهنا يدبّ السأم والفراغ... إنّ الحب لا يبطل العلاقة الجنسية، ولكنه وحده يجعل منها وصالاً لا احتكاكاً خارجياً بين عزلتين متقابلتين... وما العفة سوي الحرص علي أن يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي... فالعفة ليست سلبية، بالمفهوم التقليدي الموروث، الخوف من الجنس، النرجسية، الكبت بجميع معانيه وأبعاده. فما هذه إلا عفة زانفة...

إن الجنس سعي إلي المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامي... علي أن المطلق لا يدرك بالحب الذي يستقطبه... لذلك لا يقترن الحب بالسعادة، بل بالكآبة والحزن أيضاً. وهنا يجي دور الله. فهو المشتهي بالحقيقة وإليه تسعي في آخر المطاف حركة الجنس عند الإنسان... وبإيصالنا إلي الله ينهي المؤلف رحلته البهيجة الهائلة في مجاهل الجنس وأفاقه الرائعة... وهي رحلة فريدة في نوعها، علي الأقل في تراث اللغة العربية...

جَدِّ عَمِيرَة وَعَامِرَة.....  
الملاعِبَة دُونِ المواقِعَة...  
.....الزَّنا  
.....الشذوذَ الجَنسِيَّ  
.....غلمانَ مُخلِّدونَ.....

---

هَذَا كِتَاب

# محمد جلال كشك

## الكاتب المصري المعروف

يُقدّم هذه المرّة دراسة هي الأولى من نوعها في موضوعها، وصراحتها، واستنادها إلى الأدلة الشرعية، والوقائع التاريخية، وحقائق العالم المعاصر. وإذا كان المؤلف قد اشتهر بمؤلفاته السياسية والتاريخية المميزة، فإنّه في هذا الكتاب يخوض تحدياً لم يسبقه إليه باحث باللغة العربية. وذلك من خلال عرض مفهومه كمسلم لكافة قضايا الجنس، في محاولة لاكتشاف القوانين الحضارية التي تتحكّم في السلوك والأخلاقيات، مع التركيز على دراسة ظاهرة انتشار الشذوذ الجنسي في مرحلة انهيار الحضارة الإسلامية. ومقارنة ذلك بما حدث في الحضارات الغربية... ومنهجه في ذلك البحث هو ما لخصته الناقدة اللبنانية الأستاذة هالة العوري في تعليقها على الطبعة الأولى بقولها: "إن الأستاذ محمد جلال كشك يعمل على تفهّم الحكم الإسلامي، بصدد العلاقات الجنسية، في صورته الفطرية الأولى... بهدف العودة - على حدّ قوله - إلى دين الفطرة والبعد عن تدين أهل الحرفة".

وهو في هذا الكتاب يطرح قضايا قديمة ولكن بصيغة جديدة، كما يطرح لأول مرّة تساؤلات جديدة تماماً ويقترح لها حلولاً مثيرة في جذتها وبساطتها. وقد لا نتفق مع كلّ ما يطرحه ولكنّه بالتأكيد جدير بالتأمل والمناقشة.

وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صُوّدت ثم أفرج عنها القضاء بناء على تقرير اللجنة التي شكّلت من مجمع البحوث الإسلامية، وقد أضيف نصّ التقرير ومنطوق الحكم إلى هذه الطبعة المنقحة.

إنها معالجة صريحة متميزة، لقضية الجنس بكافة أشكاله، ممارسة وميولاً...

الناشر

# الفهرس

٥	<u>الإهداء</u>
٧	<u>مقدمة الطبعة الثالثة</u>
١٥	<u>خطبة الكتاب</u>
١٩	<u>اللذة للذة:</u> <u>دين الفطرة وتدين أهل الحرفة - هل الجنس هو ثمرة الخطيئة؟ -</u> <u>إظهار اللذة مسموح به دينياً - لا قيد في المتعة الحلال.</u>
٤٥	<u>الموقف من المرأة:</u> <u>علمنا أوروبا المسيحية احترام المرأة - السيدة مريم هدية المسلمين</u> <u>للعالم المسيحي</u>
٥٣	<u>لماذا الزنا؟:</u> <u>الرجم في الإسلام ولماذا نسخه الله؟ - في عقوبة الزنا.</u>
٧٥	<u>الجنس من الظاهر:</u> <u>جلد عميرة - التفخيذ - المص - الوطء في الدبر - الجماع في فترة</u> <u>الحيض.</u>
٨٣	<u>اللواط:</u> <u>الاشتھاء الجنسي لنفس النوع - هل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل</u> <u>على النفس البشرية - العلاقة بين تلك الظاهرة وأقول الحضارات -</u> <u>المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط - اللواط من علامات النبيل</u> <u>وامتيازات التفوق عند الإغريق والرومان - الحب الأفلاطوني - اللواط</u> <u>عند الرومان.</u>
١١١	<u>أوروبا والشرق واللواط:</u> <u>الإستجابة الناجحة للتحدي الإسلامي - تفشّي اللواط في الأندلس</u> <u>المسلم - المواجهة الحضارية في اللواط - اللواط في الأدب العربي -</u> <u>فتوى فقيهه - فارس العرب - يوم نسك - أوروبا واللواط. - الصوفية</u> <u>واللواط</u>
١٨٩	<u>ولدان مخلدون:</u> <u>القرآن وقصة لوط - النتائج الإجتماعية والحضارية للواط - لاحت على</u> <u>اللواط - لماذا كان وعده، سبحانه وتعالى، بالولدان المخلدون في الجنة؟.</u>
٢١٥	<u>نصّ مذكرة اللجنة المشكّلة من مجمع البحوث الإسلامية.</u>
٢٣٤	<u>قرار المحكمة بالإفراج عن الكتاب والغاء المصادرة</u>

## الإهداء

" قالوا أيأتي أحدنا شهوته فيُثاب عليها؟

قال نعم... " الحديث....

صلوات الله عليه وسلم.

## مقدمة الطبعة الثالثة

إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حقود حسود معود وهذا ما حدث في كتابي هذا فقد حرصت عندما أصدرته، على أن أتحمّل مسؤوليته كاملة، فسميته خواطر مسلم، وكما قلت في مقدّمة الطبعة الأولى، لم أنسبه لرأي الإسلام، ولا حتى إدّعت الاجتهاد فيه... وإنما قلت هي خواطري كمسلم فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت طلبنا المغفرة، وتعلّمنا ممن ينصح ويرشد.

ولو مضى الأمر كما فكرنا ولم تعترض الكتاب مشاكل، لبقت في نفس الكثير من القراء بعض الشكوك والظنون حول ما وصلنا إليه من تحليلات وأفكار، خاصّة وأنا لا من رجال الدين، ولا من فقهاء الإسلام. ولكن العبد في تفكير والرب في تدبير، فقد أهديت النسخة الأولى من الكتاب

---

لصحفي يكبرني في السن، كثير القراءة، قليل الابتكار... أعدت عليه الأوضاع فأسرقت بنصف زينة الحياة الدنيا، ولكنه حرم القناعة، ورضا النفس، يحسد الناس علي العلم والمعرفة، ولو أخلص النية لكان من أبرز مثقفي جيله. أذهله ما بالكتاب من فتوح فكرية، وإمام بتطور التاريخ والفكر لبعض قوانين انبعاث الحضارات وانهيارها، وما غفر لنا أننا لم نصفق في الأسواق، ولا نافقتنا الحكام فجعلنا الحمار ينطق بفلسفة سقراط، ولا أضعنا عمرنا في الكتابة الرخيصة التي تغرر بالقاريء ولا تتقفه، حسدنا علي الجهد والمشقة، والغربة في الخارج والداخل، والحييف والظلم اللذين نزلنا بنا... فوشي بالكتاب إلى السلطات التي صادرتنا وقدمتنا للمحكمة... وكانت إرادة الله! فقد قررت المحكمة بجلسة ١٩٨٤/٧/٢٢ ندب رئيس المجمع لقراءة الكتاب وإبداء الرأي فيه... واستغرقت دراسة اللجنة ما يقرب من عام، كنت قد أصدرت خلالها طبعة ثانية من الكتاب في أوروبا سميتها، الطبعة الحرة.

وصدر قرار لجنة مجمع البحوث الإسلامية ببراءة الكتاب، وخلوه من أي تعارض مع الدين الحنيف لا نصاً ولا تأويلاً... وهكذا كان الظن في الأزهر ورجاله الكرام، وبناء على تقرير اللجنة أصدرت المحكمة أمرها بالإفراج عن الكتاب فوراً وانصاعت السلطة التنفيذية... وباء الواشي بالعار والخيبة.

ولاشك أن هذا الذي حدث من استفتاء ثم حكم القضاء، قد أخصر ألسنة سوء ودت لو نهشت، فكان حظها أن تسمنت هي بعض لسانها، كما أزال الشك من نفوس مؤمنة، كانت بحاجة لطمينة قلبها.

ونزل الكتاب في أسواق مصر في أسوأ طباعة! ومع ذلك فقد نفذت طبعته القاهرية والأوربية، وكتب إلي الكثير يشكرون ويقولون أنهم حرصوا علي أن تقرأه بناتهم وبنوهم... وقد اشتري مثقف عربي مائة نسخة ليوزعها علي مشايخ بلده. بينما استمر البعض في الكيد والتبسيط والتزوير الفاجر، دون أن يجروا واحد علي

مهاجمة أو نقد الكتاب صراحة أو كتابة. ولو فعل أحدهم لجعلته نكالا لمن خلفه! حتى الذي استغلّ مركزه كأستاذ في إحدى الكليات فهاجم الكتاب بين تلاميذه دون أن يعرف حتى اسمه فقال إنه كتاب خواطر مسلم في الثقافة الجنسية. وجهله بعنوان الكتاب يكشف جهله بمضمونه. أو قل تزويره لاسم الكتاب ينبىء بمدى صدقه في عرض موضوعه، ولو كان كتابه يبيع نسخة واحدة خارج نطاق أسرى امتحاناته... لرددت عليه.

وقد عتب البعض لما كتبتة عن ابن حزم وراحوا يشيدون به، وأنا أعلم منهم بقدره رحمة الله عليه كان عالماً وفقياً موسوعي الثقافة. ولكنه كان أيضاً إفراز عصره وكان غفر الله له، صادقاً في تسجيل أمراض هذا العصر. التي سببت هذه الأعجوبة النادرة. أعني زوال أمة وحضارة بعد ٨٠٠ سنة من استقرارها، وعلي يد الأكثر تخلفاً... ما تفسركم إلا ما قلته أنا؟! بل إنى أزعم أن ما قلته هو التفسير الوحيد الذي برأ الإسلام مما ارتكب المنتسبون إليه. الذين تسببوا في هزيمته بفسق مترفيها... وتطهر الكفار فحق على حضارتنا الدمار... .

وقد يحاول خناس وسواس أن يُثير بعض القول حول دراستي الجديدة عن غلمان الجنة. ولكن ليتمعن القاريء فيما كتبناه. وليذكر قول الإمام " أحمد الراغب " عن لذات الجنة " إذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف المعطيات واللذات. والقدرة واسعة والطاقة البشرية عن الإحاطة بعجائب القدرة قاصرة، والرحمة الإلهية ألقت بواسطة النبوة لكافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم فيجب التصديق بما أفهموه والاقرار بما وراء منتهى الفهم " (١)... ثم أطرح السؤال الذي واجهت به كاتب الوشاية الأولي... هل الغضب من إثباتنا التحريم في الدنيا أم من ظننا المثوبة في الآخرة؟! ... علي أية حال لم يستطع أحد أن يعارض ما ذهبنا إليه صراحة حتى اليوم!

---

(١) عن الإمام الراغب ص ١٣٠ الإسلام والجنس.



وقد فوجيء البعض باكتشافنا - أي والله أقول اكتشافي - أن الرجم ليس في القرآن نعم فوجيء هذا البعض وكأنه يسمع بذلك لأول مرة وكلهم هرعوا يصرخون ... نعم ولكنها ثابتة بالسنة وأنت تريد إلغائها لأنها لم ترد في القرآن!! ... حقًا يكاد المريب يقول خذوني ... لقد دعوناكم لتأمل حكمة الله في نسخ آية الرجم ومحوها من كتابه، سبحانه وتعالى.

وقد يبدو غريبًا، للبعض أن يكون شيوخنا أكثر فهمًا وتفهمًا وأرحب صدرًا وأوسع أفقًا من المتفرنجين، ولكن لا غرابة، فالمتفقه في الإسلام هو دائمًا أبدًا المؤمن بحرية الفكر الأقدر على استشفاف التفوق الحضاري الذي جاء به الإسلام!! ... أنه الدين الذي لم يضع قيدًا على الفكر، ولا إكتفى بإقرار حق الخطأ بل كافأ المفكر الحر أو المجتهد حتى على الخطأ. فتحية لشيوخ الأزهر وللقضاء.

وقد قالت: الأستاذة اللبنانية هالة العوري في مقدمة ترجمة كتاب الإسلام والجنس للدكتور عبد الوهاب بوحدية أن كتابه هو المبادرة البكر ثم قالت: " وقد طرح في العربية بعد ذلك كتاب باسم " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " للأستاذ محمد جلال كشك، وبين الكتابين دائرة متشابهات واسعة ودائرة فروق ضيقة، ويمكن تلخيص دائرة المتشابهات بأن الكتابين يصدران عن فكر حر وسعة أفق في الإطلاع وخروج عن التقليد في الفهم. وأما دائرة الفروق فتراجع إلي اختلاف زاوية المعالجة لكلا الكاتبين. فالدكتور عبد الوهاب بوحدية يتلمس الرؤية القرآنية والسلوك النبوي في المسألة موضع البحث ثم يمضي متابعًا ما حلّ بهذه الرؤية وبذلك السلوك علي أرض الواقع، علي حين أن الأستاذ محمد جلال كشك يعمل علي تفهم الحكم الإسلامي بصدد العلاقة الجنسية في صورته الفطرية الأولى... وكلا الكاتبين يهدف إلي، علي حد قول الأستاذ كشك، بالعودة إلي دين الفطرة والبعد عن تدين أهل الحرفة..". (١).

ولي ملاحظة ونقطة نظام ثم تعليق ...  
إذا كان كتاب الدكتور بوحديبة ظهر قبل كتابي باللغة الفرنسية فأحب  
أن أشير إلي أنني لا أقرأ الفرنسية، من ثم لم تتخ لي فرصة قراءته.  
وكتابي هو البكر باللغة العربية.

نقطة النظام أن كتابي يختلف في منهجه ومعالجته وهدفه اختلافاً  
جوهرياً عن كتاب الدكتور ... فأنا أهلت التراب علي فكر التخلف عندما  
سلطت عليه نور الفكر الإسلامي في جوهره النقي البسيط الشامخ، وكان  
همي طرح التفسير الحضاري للسلوك الجنسي، وأظن أنني مبتدع في ذلك  
غير متبع. أما هو فقد غرق في وحل التخلف إلي عنقه يستخرج  
العجائب والعقارب. مثل اعتماده علي الفتاوي الهندية التي جمعت من  
فقهنا كل متخلف، أنظر استشهاده بالإستبراء والإستنجاء ص ٧٩  
لإضحاك الغرب وإدخال السرور علي الأستاذ الفرنسي. وإن كان الدكتور  
لأيعادي الإسلام، إلا أنه متأثر بدراسته الفرنسية وما طرحه المستشرقون  
من مضحكات التفاسير، مُسَمِّم بالفرويدية السوقية التي لو قرأها  
سيجموند فرويد نفسه لتبرأ منها ... لا وجه للشبه بين منهجي وبين  
استخراجاته الجنسية من كل شيء، بما يعني السقوط مرة أخرى في  
التفسير الذي يجعل الإنسان مجرد جهاز جنسي ... فالغسل الذي أمرنا به  
بعد الجماع والذي فسره الشيخ حسن البنا قبل خمسين سنة، بأنه للتنشيط  
... يراه هو " الغسل يحتوي علي مغزي ميتافيزيقي " ص ٩٢، وهو  
يرفض تفسير ابن خلدون الذي استوعب الفكر الإسلامي في ذروة  
تفوقه، ومن ثم قال أن الانتعاش الذي يعقب الحمام هو بتأثير الحرارة  
علي التوازن الفسيولوجي ( المقدمة ٨٦ )، أما صاحبنا الذي فسد  
بالدراسات النفسية السوقية فهو يرفض ذلك ويجعله يرجع إلي الإحساس  
بالسعادة النفسية المطلقة التي تسترد من خلال الحلم الكلي الذي يزدهر  
في الحمام ذلك المكان الذي يُمكن فيه ترويض كل شيء " ص ٢٤٠.

حبظلم!.

طب وحمّام البيت؟! واللى ما راحوش حمّام السوق ولم يمرّوا بالتجربة التي خصّص لها فصلاً كاملاً... الذين لم يروا نساء في طفولتهم بالحمّام ولا رجالاً في شابههم... لماذا ينتعشون بعد الحمّام؟ هل كان عبد الوهاب أو مستمعوه يذهبون للحمّامات ويمارسون الحلم الكلي عندما غتّي لهم: طوعني وخذلك حمّام؟. وهو الذي بدأ بالاستشهاد بالأغنية في تحليل مضحك، حول اهتمام العرب بالأرداف، وكأن مارلين مونرو وبيرجيت باردو، كانتا تعرضان صورة بالأشعة للهيكل العظمى، مكتفتان بالفن الرفيع أو أنهما كانتا تهزان أردافهما للعرب فقط؟!.

وهو يسفّ عندما يحلل قضية الأرداف فيتساءل، " ما هي المشاعر التي ألهبتها إيماءات الصلاة " ص ٢٧٥، ومن الأرداف ينقلنا إلي تحليل اهتمام العربي بإخراج الريح من أسفل وأعلي ويصرعنا بتحليل يقول: " بل الواقع أن الإنسان العربي يعمد إلى إثارة الريح وذلك بحرصه علي تناول المشروبات الغازية وسترات المغنسيوم، وأحياناً يتغنّي بسحرها: " ما اشربش الشاي اشرب غازوزة أنا " ... حيث ترمز قوة فقايح المياه الغازية إلى خصوبة الرجل مما يثير الخيال ويدفع إلي التحرر عبر الفهم ... ولا يملك المرء سوي الإعجاب بالإحلال الرمزي من الأسفل إلي الأعلى ومن الحالة السائلة إلى تلك الهوائية ... فالمياه الغازية هي المشروب المسلم الموازي للنبيذ في الغرب، فهو ماء الشباب المنعش المؤدّي للتجشؤ والتحرر بأسلوب أكثر براءة من الخمر، ولكنه ليس خاوياً من الممارسة التعويضية، فالميوول الإستعراضية والصوت الرنان والاسترسال في اللامبالاة والاضطراب الجنسي كلها لا تفتقر إلي المغزي الجنسي " ص ٢٨١.

كل هذا يحدث لنا عندما " نظري علي قلبنا بإزارة كازوزة " بعد أكلة عدس أو طعام مغربي حارّ غارق في التوابل؟! الظاهر إن أمريكا أسلمت لأنها تمتلك شركتين للمياه الغازية في العالم ... بل الإسلام ينتشر مع مصانع الكوكاكولا التي تفتح في روسيا والصين!!!!.

الظاهر أنه لا يعرف أن مؤلفة الأغنية سيدة وليس رجلاً خصوصيته فقافيع غازية!!!، بل يكفي إدراك الفارق بين منهاجي ومنطقه في المقارنة بين استنتاجه واستنتاجاتي من حديث سوق الصور في الجنة.

ولا أدري من أين أتى بمقولة أن " لعنة الله تلحق أيضاً هؤلاء الذين يمارسون الإستمناء ... إنها أساليب محرفة تعني في جوهرها رفض الإنسان لنوعه". ص ٦٠.

هذه مجرد نقطة نظام فلست أريد مناقشة الكتاب.

والتعليق هو:

أنه في ظروف لبنان استطاعت مثقفة، دون أدنى معرفة شخصية، أن تحصل علي كتابي وتدرسه وتستقصي مضمونه وتتناوله بهذه الملاحظة وهي تترجم كتاباً في ذات الموضوع فتأبى أمانتها العلمية وشرفها الثقافي إلا أن تشير إليه وتثبت حق مؤلفه. بينما لم تكتب عنه كلمة نقد واحدة من العصابة التي استولت علي المنابر الإعلامية في مصر وجثموا علي صدر الثقافة حتي كتموا أنفاسها! ثم يغضبون لأن واحداً قال مصر لم يعد فيها ثقافة، لم يبق بها إلا سعاد حسني ... قتلتم الإبداع وعصفتم بالثقافة - علي الأقل في جيلكم - يوم خنتم أمانة النقد، وقد كانت مصر تنزعّم العالم العربي، يوم كان فيها نقاد يسعون إلي دراسة وتقييم كل ما يستحق النشر ... أما الآن فهم لا يقرأون إلا ما يهدي لهم ولا ينقدون إلا للتدمير إن ظنوا أن بهم قدرة علي ذلك، أو لمصلحة شخصية كالتقرب إلي المؤلف. وتأمل ثم ابصق في احتقار، لتزاحمهم علي الكتابة، إذا ما أصدر مسئول أمي أو رئيس مجلس إدارة مؤسستهم، كتاباً في مستوى شرشر، تراهم يتبادرون لمدحه، كالمحبطية. لا يخجلون، لا يستحون وهم يقولون للعائين ... ماذا نفع أكل العيش عايز كده! وبعضهم يمارس شعار شيلني واشيلك أو أنقذني وأنقذك. أو يبتز دور النشر فينقد كتبها مقابل نشر كتاب له!! الناقد الفني يفرض نفسه علي المسلسلات والسينما. والناقد الأدبي يفرض مؤلفاته علي دور النشر!

يسيطر عليهم حقد أسود ورعب من الكفاءة، وفزع من الغريب عن  
المافيا، ورغبة في خنق كل الأصوات وخاصة النابغة.  
تحية للمثقفة اللبنانية والعار لتجّار الكلمة الذين حالوا دون تجمع  
المثقفين اللبنانيين في مصر. ولطالما تبنتهم لبنان واتسع صدر مثقفيها  
لهم....  
عد يا لبنان لتكشف الزيف الذي حجب وجه مصر المشرق.

**ديسمبر ١٩٩١**

**القاهرة - المعادي**

---

## خطبة الكتاب

هذا بحث سيقول القاريء المحب، ما كان أغناه عنه، لماذا لم يقل مثلما قال أبو حنيفة، عندما دعوه للقضاء لعله ينصر مظلوماً أو يُقرّ حقاً، فاعتذر قائلاً: " إذا سقط السابح في المحيط .. فما عساه يسبح ..؟..

سيتساءل القاريء المحب: لماذا ألقينا بأنفسنا في المحيط نخوض عبابه أو نخاطر بأنفسنا في مجال شديد الحساسية، يتحرّج الناس فيه من السماع، فضلاً عن القول: ويحي! بل الإسهاب في القول ...؟. وسيقول المتربّص؟ هذا هو الباحث عن حفته بظلفه ... اشحدوا السكاكين فقد وقع الثور ... .

ولكن شكراً لأحبائي ... وللآخرين موتوا بغیظم .. فليس علي مسلم من حرج إن فُكّر أو شكّ وقد علمنا أنه ليس في الدين من حرج، ولا في العلم ... ونحن - كما قلنا في أول كتاب إسلامي لنا - ننتمي لدين يحرض علي التفكير والاجتهاد، فهو يكافيء المجتهد المخطيء ... ولا يكتفي بعدم معاقبته ... ديننا تخطى حتى ما وصل إليه فلاسفة الحرية، في تعريفها بأنها حق الخطأ! إذ أنه يكافيء علي الخطأ كما ورد في حديث للمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر. ولمن أراد أن يحاسبنا، فليحتكم للقرآن والسنة والسلوك الإسلامي ... فقد إلترمنا وبذلنا غاية

---

الجهد في استبطاء الأدلة من هذه المصادر الشرعية ... وما قصدنا إلا مرضاة الله، وخدمة المسلمين. وما عدا ذلك فليست أباي ... .

المسألة الجنسية تشغل حيزاً لا يُستهان به من تفكير الإنسان، ونشاطه، وتتحكم إلي حدٍّ ما في تصرفاته بل ومواقفه ... وإذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب، فإنَّه لخطأ أكبر أن يُنظر للجنس كظاهرة عارضة أو عيب أو دنس لا يجوز الاهتمام به! فليس هذا من ديننا ولا من حضارتنا كما سيرى القاريء ... والمسألة الجنسية تشغل بال الشباب، ومع ذلك فهي من المحرمات يحوم حولها الكتاب، ولا يقتربون منها، وبالذات الإسلاميين منهم! تاركين لأعداء الإسلام، وأعداء حضارتنا، الفرصة لينشروا مفاهيمهم، ويزرعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم، الذي لم يعد يعيش لا بسلوك إسلامي، ولا يوجهه فكر إسلامي ... .

وإذا كانت الآراء التي طرحتها هنا في موضع العادة السرية، والجنس بغير الجماع، والزنا، تُعدّ جريمة، إلا أن ما طرحته في باب الشذوذ الجنسي يُعتبر جديداً بالإضافة إلى جزء صغير في موضوع الزنا، وهو القول بأنَّ الرجم سنّة، وليس في القرآن. وأنَّ لله سبحانه وتعالى حكمة في نسخ آية الرجم، يجب أن نتدبرها لا أن نخفي رؤوسنا وراء واقعة أنَّ النبي رجم ... فلماذا يُقرّر الله الرجم في القرآن ثم ينسخه، ويأمر رسوله بحذف الآية تماماً فلا تبقى ولا حتى في صدور الرجال ... وما كان لما نسخه الله أن يقي أو أن يتلوه الرجال ... .

أقول باستثناء هذه الخاطرة في موضوع الزنا، فإنَّ البحث يتركز في موضوع الشذوذ الجنسي الذي طرحته في إطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب ... .

وهذه المواجهة هي شغلي الشاغل. فأنا أنظر للإسلام كفلسفة وهوية وشخصية لحضارتنا الشرقية، والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب .. فمنذ الصراع الفارسي - الإغريقي بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر

الأبيض من ناحية وغرب وشمال هذا البحر، ثم بدأت الدائرة تتسع، وتمدّ كل جبهة خطوطها وراءها ومن حولها ... إلي أن جاء الإسلام وانتصر الشرق علي الغرب سبعة قرون أو ثمانية، ليعود الغرب فيكرّ علي الشرة كرّة ما زلنا نعيش في آثارها ...

وقد عالجتُ موضع الشذوذ الجنسي في إطار هذه المواجهة، لأنني توصلت إلي رأي يخالفني فيه كثير من الباحثين، وهو أن هذه الظاهرة، عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي مستوي المجتمع، إنما يحدث ذلك في مرحلة الأقول الحضاري، بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة. ووضّحنا الأسباب، وأكدنا أنه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر وهذه الفاحشة شائعة فيه، كما لا يمكن أن تنجو حضارة منها عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها .. وتتبع أطوار انتقال هذه الفاحشة بين الشرق والغرب من الإغريق إلي سقوط الأندلس تقريباً ... .

ومن ناحية أخرى فقد توصلت إلي رأي حول غلمان الجنة أو ولدائها، وهو أنهم للاستمتاع الجنسي لمن عفاً وتطهر في الدنيا .. .

ونحن علي استعداد للمناقشة والمراجعة والتصويب لمن جاء بأدلة مناقضة، تستند إلي القرآن والسنة، والتصوّر والممارسة من جانب السلف الصالح .. أو حقائق التاريخ والعلم المتفق عليها. أمّا من جاء بالسبّ والقذف والأجبار .. فقد نكيل له الكيل مرتين وقد نقول : سلاماً .. .

بقي أن نقول وقد تحدّثنا عن أجر المخطئ، أنني كنت بغيرور الشباب وجهله، قد استشهدت بهذا الحديث في أول كتاب لي في الإسلاميات. فقلت في المقدمة: حسبي أجر المجتهد المخطئ ..! وفاتني روعة التعبير الإسلامي ودقته إذ حدّد هذا الأجر " للمجتهد " ولم يقل " للمسلم إن فكر أو شرع فأخطأ أجر .. "، بل قال للمجتهد، لأنّ الاجتهاد هو عمل " المجتهد " ومن ثم فممارسته لعمله يستحق عليها المكافأة، شرط أن يكون " مجتهداً " ...



ومواصفات المجتهد معروفة، وحاشا لله أن ندعي توافرها فينا، فأنا لا أحسن إعراب آية في القرآن. فكيف أكون مجتهداً، ولكنه غرور الشباب ونسأل الله المغفرة. كذلك كنت قد كتبت علي أول كتاب عبارة " مفاهيم إسلامية "، ففرضت علي الإسلام آرائي أو مفاهيمي .. وقد تجنبت ذلك كله اليوم، فلست أزعم أنها رأي الإسلام في المسألة الجنسية! .. ولا أنها اجتهادات، فما أنا مجتهد، ولا هي مفاهيم إسلامية، إنما هي خواطر مسلم، تفكير مسلم بصوت عالٍ، دعوة للتفكير .. مذكرات تحضيرية يستعين بها " المجتهد " إن شاء الله في تشريع الأحكام .. اعتبروها مجرد أسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين، والأئمة، والمنشغلين بالعمل الإسلامي ..

وبعد ... فقد بلغت من العمر عتياً واشتعل الرأس شيباً، وخفت من انحرافات الموالي، ولم يبق ما أخشاه ولا من أرجوه سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

**محمد جلال كشك**

رجب ١٤٠٤ / إبريل ١٩٨٤  
٣ب بهجت علي - الزمالك.

---

## اللذة للذة

تتبع أهمية المسألة الجنسية من كونها تعكس - من ناحية - مفاهيم وأخلاقيات الحضارة .. التصور العام لهدف الوجود الإنساني، والعلاقات بين طرفي هذه المعادلة الإنسانية، ولذلك نركز في هذه الدراسة علي الفارق الجوهرى أو الكيفي بين النظرة الإسلامية للجنس. ونظرة - المسيحية - الغربية<sup>(١)</sup>. فكنتا النظرتين تمثل موقفاً حضارياً متكاملًا ومتعارضًا. كذلك ركزنا علي دور المسألة الجنسية في المواجهة الحضارية، وخاصة في القسم الخاص بالواط.

والمسألة الجنسية أيضاً علي الصعيد الفردي، تشغل جانباً شديداً الأهمية من حياة الإنسان، كما تحكم نظرتة للإنسان الآخر أو الجنس الآخر، أو كما يقول الماركسيون إن كل حاجيات الإنسان تشبع بعلاقة مع الطبيعة، إلا الحاجة الجنسية فهي تشبع بعلاقة مع إنسان آخر .. ومن ثم فهي تخضع لقوانين وقيم مختلفة، ولها نتائج بالغة الخطورة والأهمية علي سلامة العلاقات الاجتماعية.

### دين الفطرة وتدين أهل الحرفة:

وقد أوضحنا منذ ١٦ سنة رأياً في موقف الإسلام من المسألة الجنسية، وكيف

---

(١) أوضحنا في المقدمة أن هذا البحث يدور في إطار المواجهة بين الشرق والغرب، ومن ثم فالحديث هنا يتعلق بالمسيحية الأوروبية - الأمريكية فهي الحضارة المضادة التي يواجهها المسلمون والمسيحيون الشرقيون كطرف واحد، كما سنوضح.

أنه فعلاً دين الفطرة الذي وضع الغريزة الجنسية في مكانها الطبيعي ضمن الاحتياجات المشروعة والصحية والضرورية والليذة للإنسان، الذي لا يمكن أن يتحول إلي مجرد ظاهرة جنسية يحصر اهتمامه في هذه الناحية، ولا يمكن أيضاً تحويله إلي " ملاك " بزعم الغريزة الجنسية منه .. وقلنا أن الفكر الإسلامي لا يعاني أية عقدة جنسية، بل يعتبر اللذة الجنسية من النعم التي من الله بها علينا، ويميل إلي أخذ أمورها ببساطة متناهية. وقبل أن نشرح هذا بالتفصيل، نود أن نوضح نقطة هنا هي الرغبة الطبيعية من قبل " رجال الدين المحترفين " - مثل أصحاب أية حرفة أو متخصصين - ميلهم لتعقيد المهنة وتصعيب الاختصاص. ولذلك نجد الإسلام، بسيطاً واضحاً سهلاً في بدايته، عندما لم يكن هناك فئة مخصوصة تحتكر تفسير النصوص وإصدار الفتاوي ...

تأمل هذه القصة التي تُروى عن عمرو بن العاص، وكان قائداً علي سرية لرسول الله ( ص )، فاحتلم(١) وكانت الليلة باردة، فخاف علي نفسه من البرد، فلم يغتسل وصلي .. فبلغ الخبر رسول الله، فما زاد علي أن ابتسم وهو يقول له: " صليت وأنت جُنُب !؟ " . ولم يُعلق!!

ثم تأمل فتاوي الفقهاء بعد ذلك في شروط الغسل. وكيف يجب أن يصل الماء إلي جذور الشعر، وضرورة أن ينقل المغتسل قدميه من حيث كان واقفاً ليكمل غسل قدميه، ترى الفارق بين دين الفطرة وتدين أهل الحرفة ...

والله سبحانه وتعالى يقول " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ " (الشوري ٣٧) ويقول " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ " (النجم ٣٢).

(١) الاحتلام هو حلم جنسي يراه النائم وينتهي بالانزال أو القذف ويوجب الغسل مثل الجماع. ولا معصية فيه ولا إثم ولا أية أضرار صحية بل هو من حكمة الطبيعة لتصريف المنى المتجمع.

ويقول " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا  
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا  
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَيَخَلَدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا "  
(الفرقان ٦٧-٧٠).

وعرف المسلمون أن الشرك بالله إثمٌ عظيمٌ، وكذلك قتل النفس،  
والزنا. وقال الرسول وهو يعدد الكبائر:  
" وإن تزني بحليلة جارك "

ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا، لابد أن يبحثوا ما هي الكبائر ..  
وجدوا سبع كبائر .. " الشرك والسحر وقتل النفس، وأكل مال اليتيم،  
وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات "  
وجعلوه حديثًا ومصدره أبو هريرة بالطبع!

وهو كما تري يختلف عن التحديد الذي ورد في الآية التي أشرنا  
إليها، وإن كان قد حصر ما نهى الله عنه في مواضع متفرقة من القرآن

....

إلا أنه تجدر الملاحظة أن هذا " الحديث " قد قدم السحر علي قتل  
النفس! ولم يذكر الزنا .. بل قذف المحصنات.

وما كانت السبع موبقات بكافية عند المحترفين، بل جعلوها سبعين  
لتشمل علي قدم المساواة مع الشرك بالله، لعب الشطرنج! ( أنظر شمس  
الدين الذهبي. كتاب الكبائر ) ومن الطريف أن المؤلف نفسه نقل عن  
المنذري في الترغيب: " وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث، لا أعلم  
عن كثير منها إسنادًا صحيحًا ولا حسنًا والله أعلم "

فهذه الأحاديث التي لا سند صحيح لها ولا حسن، تحولت إلى فتاوي  
وحرمت الشطرنج(١) علي الناس ..، وكذلك التصوير في اللباس  
والجدران. أي اتهام كل المسلمين الآن بارتكاب الكبائر!!.

(١) أنظر كيف يعتبر المؤرخون، الشطرنج، هدية العرب المتنورين لأوروبا وكيف كان  
فردريك ملك صقلية وتلميذ الحضارة العربية يشجعه. ولويس القديس المتخلف يحرمه. وكيف لما  
تخلفنا حرمانه أيضًا!.

وكذلك الذي لا يتحرّر من البول وإسبال الأزار، والعبد إذا هرب!  
" قل ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى  
" (الإسراء: ١١٠).

فيأبي المحترفون إلا أن يُعَدِّدُوا له تسعة وتسعين إسمًا. بل  
ويتفرغون للبحث عن " اسم أعظم " سري!! تأثرًا باليهود:  
وتأمل عمر رضي الله عنه يأتيه الرجل ببلحة يستفتيه:  
" وجدت هذه يا أمير المؤمنين .. ماذا أفعل بها ..؟ فيرد عمر علي  
الفور؟ بضربة عصا علي ظهر المنافق ويقول: " كلها .. يا بارد  
الورع! ".  
هذا هو الإسلام...

ولكن تخيل لو جاء بارد الورع هذا ببلحته إلي بارد الفقه يستفتيه  
وتخيل السيناريو الآتي الذي يمكن أن يدور بينهما .. تعرف الفارق بين  
دين الفطرة وتدين الحرفة ...

وسنحتاج لتفهم هذا الفارق خلال دراستنا للجنس والجرائم الجنسية ..  
وسنجد أن دين الفطرة وصل في الموقف منها إلي كمال الكمال: استبشع  
الفاحشة وعظم إثمها وتوعّد مرتكبها، بقدر ما تتضمنه من عدوان  
علي إنسانية مرتكبها، ومن عدوان علي حقوق الآخرين وسلامة  
العلاقات الاجتماعية، وسلامة المجتمع، ولكنه في نفس الوقت لم يقم من  
الدولة مقصلة ولا جلاذًا ينقب عن الخاطئين، ويشمت في خطيتهم ويلتذ  
بمعاقبتهم. بل إن الدولة الإسلامية، أكثر ألمًا بتنفيذ حدّ من حدود الله في  
جرائم الجنس، من مرتكبيه - كما سنري - كذلك يجب التخلي أو التحرر  
من المفاهيم الغربية التي انتقلت إلينا مع تأثيرات الحضارة المنتصرة،  
مما جعلنا نتخلي عن الانفتاح والتحرر ونتبني النظرة المتزمتة التي تري

في الجنس نجاسة وإثمًا. فالمفهوم الإسلامي للجنس يختلف جذرياً عن مفهوم الحضارة الغربية المسيحية، ولا بد من دراسة دقيقة لكلا المفهومين. حتي يمكن تقييم الأخلاقيات والممارسات التي بنيت علي كل منهما .. سواء في التشريعات الجنسية، أو في المسلكية الجنسية، أو في مركز المرأة الإجتماعي والإنساني ..

والحق أنّ الجنس في مفهوم الحضارة الغربية، حالة شاذة، قلقة، مزعجة، " مقرف " كما سمّاه القديس أوغسطين " قذر " " يهبط بمستوى الإنسان " أو " مخجل " كما وصفه تورتليان. أو كما تقول مؤلفة الجنس في التاريخ: كان هناك شعور عام بين آباء الكنيسة بأنّ الله ( سبحانه وتعالى ) كان يجب أن يخلق طريقة أفضل لحل مشكلة التناسل!!!، ولكن أوغسطين لما عكف علي دراسة المشكلة، وهو الذي كانت شهواته تملأ صومعته بفتيات راقصات عاريات، من صنع خياله بالطبع؟؟؟؟، اهتدي إلي أنّها ليست غلطة الله بل غلطة آدم وحواء..

" فالرجل والمرأة اللذان خلقهما الله كان مخلوقين عاقلين يسيطران تمامًا علي الجسد ولم تكن هناك أيّة شهوة ولا حاجة لمقاومة الشهوة، فالجنس في جنة عدن - إذا كان قد وجد - فقد كان جنسًا باردًا رفيع المستوى .. بدون شهوة، ولا نشوة. مجرد استخدام ميكانيكي للأجهزة التي أنتجها الخالق لكي تحقق التناسل بترو واستعبار ( ربما مثل تلقيح أطفال الإنابيب .. ). ولكن عندما أخطأ آدم وحواء، بدأ يحسّان بشعور أناني جديد وهو الشهوة، ولا يسيطران عليها، وأول ما أحسّاه هو الشعور بالخجل لعريهما .. وفسّر أوغسطين ذلك بأنّ أوّل ردّ فعل للمعصية كان نشاط أجهزتهم التناسلية، وعجزهما عن السيطرة علي تلك الظاهرة الجديدة، هو ما جعلهما يستخدمان ورق الجنة لستر هذه الأجهزة " (١).

فالجنس قبل الخطية، إمّا أنّه لم يوجد، أو كان بلا لذة .. واللذة جاءت بعد الخطية ..

قال سانت أوغسطين: " أعلى درجات المسيحية هي العزوبية. ولكن الإنجيل

شجّع التكاثر. ولذا فالجماع لا بأس به، ولكن اللذة التي جاءت مع طرد آدم من الجنة هي شرّ".

وقد استند آباء الكنيسة إلي أن المسيح لم يهتم بالجنس. وتعليقاته في هذا الموضوع نادرة، " خاصة بالنسبة لملاحظاته العديدة عن الثروة وشهوة التملك وإشارات الجنس في كلام المسيح قصد بها هدف آخر مثل الحديث عن " زنا القلب " أي التأكيد علي أن الأعمال بالنيّات، ولو أنه أكد علي عدم إمكانية فسخ رباط الزوجية إلا أن الفكرة الشائعة عنه أنه أيد العزوبية وبالطبع حجة الكاتبة التي نقلنا عنها هذا الكلام هي حياة المسيح ذاته، فهو وفقاً للتاريخ الرسمي للكنيسة لم يتزوج. ولكن في بعض الدراسات للمفهوم الإسلامي للمسيح تنسب له الزواج والإتحاب؟؟؟؟!!!!... (١). " عبده ورسوله " وتضيف الكاتبة أنه رفض إدانة الزنا، ولم يفرض عقوبة ضد الجنس بين غير المتزوجين. ونعتمد أنها كانت ستكون في موقف أسلم لو اكتفت بالقول بأنه لم يهتم بموضوع الجنس ولا ما يتفرّع عنه، والأصح أنه رفض رجم الزانية، وليس إدانة الزنا!!! لأنه أكد في أكثر من موضع تمسّكه بالوصايا العشر لليهود، ومن بينها " عدم الزنا " ولم يقل إن الزانية لا تُرجم، ولكنه قال إن " الخطة لا يُرجمون " فالسلطة التي تدين وتنفيذ يجب أن تكون ظاهرة.

وتتطرّف مؤلفة ( كتاب الجنس في التاريخ ) فتكرّر ما يقوله الملاحدة اليوم، وهو أن المسيح كانت علاقاته كلها مع الرجال، وأنه كان يحب سانت جون، إذا ما صدقنا رواية سانت جون الذي أكد هذه الحقيقة في أكثر من موضع" (ص ١١٥)

قد استقصى مؤلف الجنس والشذوذ الجنسي Karlen: Sexuality & Homosexuality

(١) أنظر كتاب المؤلف: خواطر مسلم في الجهاد والأقليات والأناجيل.

استقصى جذور هذه الفرية المنحطة فقال. إنها وردت لأول مرة في " قائمة اتهام الكاتب المسرحي " كريستوفر مارلو " وقد أتهم " مارلو " بأنه لوطي، خائن " (ص ٢١).

**كبرت كلمة تخرج من أفواههم ... ومعاذ الله!**

وإذا كانت الكاتبة تقصد المعاشرة والاختلاط فقط كانت هناك أكثر من امرأة تحيط بالمسيح، وإن لم تصل طبعاً إلى نسبة أو مستوى مساهمة المرأة في ظهور الإسلام وحياة الرسول .. أما إذا كانت تقصد الخبرة الجنسية .. فالصورة الكنسية - فعلاً - تنفي هذه الخبرة تماماً، وهو ما أصبح حقيقة مطلوبة ومتفقاً عليها في الرئيس الأعلى للكنيسة التي تشرع للناس السلوك الجنسي والحياة الزوجية والعائلية دون أية خبرة عملية من البابا وكبار الكرادلة ...

### **هل الجنس ثمرة خطيئة؟:**

وقد اختلف " ترتوليان " مع " توماس الأكويني " حول الاتصال الجنسي، فرأى " ترتوليان " أن الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم. وأن الجنس البشري كان سيتكاثر في الجنة بأسلوب طاهر غير جنسي (ربما بالانقسام مثل الأميبا). أما " توماس الأكويني " فيتلطف بنا، ويُقرر أن الاتصال الجنسي كان من بداية الخليقة، هو السبيل إلي التكاثر، إلا أنه في الجنة لم يكن ممتزجاً باللذة الجنسية، التي اقترنت به بعد أن هبط آدم من الجنة، (ربما كعقوبة). أو أن اللذة الجنسية لا تليق بأهل الجنة!

وهذه الفلسفة صادفت رواجاً وقناعة، كما قلنا(١)، كرد فعل للحياة الجنسية المبتذلة للرومان والتي ما زالت تثير التقزز في إنسان القرن العشرين. مما دفع عدداً من آباء الكنيسة الأوائل إلي خصي [ وإن كان الخصي يمنع من تولي وظيفة رئيسية في الكنيسة ] أنفسهم، واستقر في الضمير الغربي كراهية الجنس، والشعور بخطأ " اللذة " في ممارسته كضرورة للتكاثر. واستمر هذا الشعور إلي النصف الأول من القرن العشرين .. ففضلاً عن رفض أي تفكير في اللذة الجنسية كهدف في حد ذاته مشروع وجميل. والإصرار علي هدف واحد



للجنس وهو الإيجاب، وفي وضع واحد، أجمع فقهاء الكنيسة جميعاً وكلهم غير محصنين، علي شرعية وضع واحد " طبيعي " للجماع - وهو علو الرجل للمرأة المستقلة علي ظهرها - وما عداه غير طبيعي ومُحرّم لأنه تشبّه من الإنسان بالحيوان ويُشتبه في أنه يُسبب منع الحمل، ويتنافي بذلك مع الهدف من الزواج. ولذا فأى جنس لا يؤدي إلي الإيجاب حتي ولو كان مع الزوجة جريمة تعادل القتل وتكفيرها من ٣ إلي ١٥ سنة " ؟؟؟ (١).

وحتى عام ١٩٧٦ أصدر الفاتيكان بياناً حول بعض الأسئلة عن أخلاقيات الجنس جاء فيه: " إنَّ الاستخدام المتعمد للطاقة الجنسية خارج العلاقات الزوجية الطبيعية يتعارض أساساً مع هدف الغريزة " .

ويتفق رأي السيدة " راي تناهيل " مع رأينا إذ تقول: " يبدو أن الكنيسة اعتبرت المرأة الررمانيّة النموذج المضاد. لكل ما يجب أن تكون عليه المرأة المسيحيّة "، ولذا اعتبرت تجمل المرأة من المحرمات، أمّا الجمال الطبيعي، فهو مكروه ويُستحسن إهماله وطمسه حتّي لا يظهر حيث أنّه خطر علي كل من ينظر إليه" (٢).

حتى النظافة كانت مكروهة، فالذي اغتسل في المسيح لا يحتاج إلي استحمام (٣).

" كان الطاعون أكثر فتكاً في المسيحيين منه في المسلمين واليهود، لأنّ النظافة

(١) في القرن السادس عشر ألف الشيخ النفراري كتاب " الحدائق العبقة " لبأى تونس لتتشيظه جنسياً وسجل في كتابه ١١ وضعاً عربياً للجماع وأضاف إليها ٢٥ وضعاً مقتبساً من الثقافة الهندية. وقبل ذلك ذاع وشاع كتاب " رجوع الشيخ إلى صباه " وفيه أكثر من أربعين وضعاً للجماع. وقد اكتشف منذ سنوات كتاب " منابع اللذة " لمؤلف يمني طبيب في القرن السادس الهجري وفيه ما شنت. ومن القرن السابع الميلادي أبيع للمسلمين كافة الأوضاع.

(٢) ص ١٣٦ الجنس في التاريخ والنص عن ترتوليان.

(٣) Darlington pp. 300

لم تكن من عقيدة المسيحيين فكما قال سان جيروم " الذي اغتسل في دم المسيح لا يحتاج إلي تنظيف " وتعلق المؤلف " ولكن يبدو أن نظافة الروح لم تفد كثيراً في مقاومة البراغيث التي تنقل الطاعون ".

ولا بأس من وقفة هنا عند قصة هذا الطاعون الذي فاجأ المسلمين في الشام، فجر خروجهم للعالم، وفي مطلع حضارتهم، وقبل أن يكتسبوا ولا حتي يطلعوا علي علوم الآخرين، ولكنهم استطاعوا تطبيق أول حجر صحي في تاريخ البشرية! فلا جدال في أن الإجراء الذي اتخذه المسلمون الأوائل في مواجهة طاعون مواس في العقد الرابع من القرن السابع الميلادي، بالإضافة إلي عنصر النظافة الذي أشارت " راي تهايل " قد أدّى إلي حصر الوباء. وهو لم يكن فقط أحسن إجراء ممكن وقتها، بل كان الإجراء المتفق تماماً مع علوم القرن العشرين!!!، باستثناء الأمصال والمبيدات الحديثة الاكتشاف. وقد توصل المسلمون إلي فكرة الحجر الصحي قبل العلم الحديث من مفهوم الحضاري المتقدم ومن النص النبوي المعجز!!!.

فقد تردّد عمر في دخول الشام بسبب المرض. وقال أحدهم؟؟?: " أفرار من قضاء الله " ودّ عمر الذي تتمثل فيه النظرية الإسلامية أصدق تمثيل، ودّ لو علاه بالعصا لولا مكانته، فاكتفى عمر بأربع كلمات تلخص فلسفة الإسلام الناهض في قضية القضاء والقدر، تلك القضية التي تخطت فيها أجيال المترفين وخاض ضبابها المستشرقون إلي عيونهم. قال تلميذ النبوة ورفيق الرسول ومهندس حضارتنا: " نعم فرار من قضاء الله إلي قضاء الله ".

ثم تدعّم اجتهاد عمر بحديث عن رسول الله ما كان قد سمع به وهو: " إذا ظهر الطاعون بأرض وكنتم فيها فلا تخرجوا منها، وإن كنتم خارجها فلا تدخلوها ".

وستحتاج البشرية إلي إثني عشر قرناً حتى تصل إلي هذا النظام المحكم في حصار المرض أو الحجر الصحي .. والمهم أنه في تفاصيل القصة لم نسمع أحداً ذكر تفسيراً ميتافيزيقياً لظهور المرض، بل الروايات عديدة عن اختيار أنسب

الأمكان من الناحية الصحية لمنع الأوبئة عن " من بطرفك من المسلمين " أما في القسطنطينية أعظم وأرقى مدينة في العالم المسيحي وقتها .. " فقد اعتبرت الطاعون نقمة بسبب اللوامة " ولم تتخذ بالطبع أية إجراءات صحية، وظلّ الحريق هو الحلّ الإلهي!

ولعله مما يثير الإنتباه أنّ المسلمين مع تدهور حضارتهم، تخلّوا عن هذا الحديث الصريح المتفوق، وعن موقف عمر بن الخطاب وإجماع الصحابة في عصره علي تجنّب العدوى. وتشبّث فقهاء التخلّف بحديث " لا عدوي " ليسدّوا الطريق علي تقدّم الطبّ الذي كان ممكناً في ظل التأمّل الواعي لحديث الرسول في حصر الاختلاط في حالة الطاعون ومثل قوله " لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلاّ الموت " وقال: " تداوي عباد الله فإنّ الله خلق الداء والدواء "؟؟؟؟؟؟.

نعود لموقف الغرب فنجدهم قد إتفقوا أيضاً علي أنّ إظهار " اللذة " أثناء الجماع الشرعي مكروه. مثل التعبير بحركات واضحة أو بالصوت عند الاستمتاع .. **ورحم الله عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها فنفر مائة من إبل الصدقة لم تجتمع حتى اليوم!!!! ...**

وقالت امرأة كوفية دخلت علي عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون؛ فسمعت زفيراً ونخيراً لم يُسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقاً فقلت لها: ما ظننت أنّ حرّة تفعل مثل هذا.. فقالت إن الخيل العتاق تشرب بالصفير ". ( ص ١٣٣ ج ٧ العقد الفريد ).

ويقال أنّ من أسباب التفرقة العنصرية في أمريكا أنّ البيض كانوا يسمعون نشوة المرأة السوداء مع زوجها، وهي القادمة من حضارة غير مسيحية، سواء الإفريقية، أو دين الفطرة الذي ثبت أنّه كان دين الغالبية من العبيد الذين اختطفوا وبيعوا في العالم الجديد. فاستقر في عقلية البيض أنّ السود متفوقون جنسياً، وليس أنّهم أكثر تجاوباً مع مشاعرهم وأكثر صدقاً في التعبير عن هذه المشاعر .. وأن

المرأة البيضاء إذا حُررت من عقدة الشعور بإثم الجنس وخطيئة اللذة، أقدر علي مجارة السوداء والصفراء .. حتي مع الرجل الأبيض .. فأناس سواء من ناحية الجسد ولكن التكوين النفسي هو الذي يختلف .. .

وسيجد القاريء في موضع آخر أن إظهار اللذة وزيادة الاستمتاع بالقول أو الفعل مطلوب ومسموح به دينياً، سواء بالحديث عن " الملاعبة " أو مباشرة، بحديث النهي عن أن يُذيع الرجل ما يكون بين المرأة وزوجها من قول أو فعل أثناء الجماع!! ... .

ولأنّ العزوبية هي الأصل، والزواج هو الحلّ الأفضل من الزنا لمن لا يطيق، أو مجرد ضرورة للتكاثر.. فقد قال سان بول: " إنّ العزوبية مسلك أكثر مسيحية من الزواج لأنها لا تفرض أية مسئوليات ولا مشاغل تشغل عن عبادة الربّ " (١).

ومنذ القرن السابع إلي القرن الثاني عشر كان فقهاء الكنيسة يبحثون طبيعة الزواج، وهل هو عقد أخلاقي أم " عقد نكاح " وأخيراً توصلوا إلي أنّه الإتفاق وليس النكاح هو الذي يُقيم الزواج وأنّ عقد الزواج يُعطي حقّ النكاح ولكن لا يوجبه " (٢) " وهكذا رفضت الكنيسة إعتبار الجنس جزءاً لا يتجزأ من الزواج " (٣). ونصح بعض المجتهدين بالامتناع عن الجنس يوم الخميس بمناسبة ذكري اعتقال المسيح، ويوم الجمعة ذكري موته، والسبت توقيراً للعدراء مريم، والأحد (٤) إحياءاً لذكري بعث المسيح بعد موته، والإثنين احتفاءً بذكري صعوده... فهو مباح الثلاثاء والأربعاء إلا إذا صادفا صياماً أو عيداً. كذلك يُمتنع

(١) رسائل إلي قورنثيه إصحاح ٧، ٩.

(٢) وعندنا يتم النكاح، ويُمكن فسّخه إذا عجز أو امتنع أحد الطرفين عن النكاح

(٣) الجنس في التاريخ ص ١٣٤.

(٤) كان الرواد الأمريكيون يرفضون تعميد الوليد الذي يُولد يوم الأحد لاعتقادهم أنّه لا بدّ قد

حملت به أمه في يوم الأحد وهو يوم لا يجوز فيه النكاح وعندنا نكاح ليلة الجمعة مستحب.

عن الجنس بين الزوجين في الأربعين يوماً السابقة علي الفصح والعنصرة وعيد الميلاد والأيام السابقة علي التناول " (١).

وإلي نهاية القرن الحادي عشر كان يُسمح للمتزوج أن ينخرط في سلك الكهنوت، ولكن لايسمح لمن انخرط فعلاً بالزواج، وفي نهاية القرن الذي شهد مولد الحروب الصليبية " تقوى مركز الباباوية، أصدر البابا جريجوري السابع قراراً بتحريم زواج رجال الدين". " وفي عام ١٩٧٨ أصدر أسقف كانتبرى قراراً بفصل مائتي أسقف متزوج عن زوجاتهم خلال الأسابيع الثلاثة التي استغرقتها انعقاد مؤتمر " لامبث " الدولي. وهكذا أسكن الأساقفة في جامعة كنت، واحتجزت زوجاتهم على بُعد ميل " (٢) وقد حُرّم الطلاق في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر مع اشتداد قبضة الكنيسة. وقال بولس: " من يزوج ابنته يفعل حسناً، ولكن من لا يزوجه يفعل أحسن، ومن الخير أن يظل الرجل أعزب إلا إن خاف الوقوع في الخطيئة ".

هذا هو الموقف المسيحي الذي ما زال يحكم العقلية الغربية والسلوك الغربي من الجنس واللذة الجنسية... شعور بالإثم، والاحتطاط أو الخطأ .. نعم هذا التصور الذي يحكم السلوك الغربي، حتى يومنا هذا وفي ذروة الإباحية الجنسية، والاندفاع إلي اللذة بكل ضرورها .. ذلك أن " الانحلال " علي أوسع نطاق، إنما يعكس نفس الإحساس بالإثم، لأن السلوك الإنساني، إزاء ما يؤمر بأنه آثم، يتخذ أحد أسلوبين، إما التطهر بالتعفف عنه .. وإما الإغراق فيه، المنبعث من العجز عن مقاومته، وبالتالي التسليم لسيطرته. فالتحلل الجنسي، والتباهي بهذا التحلل، والإصرار علي المجاهرة، كلها تعكس الإحساس بالإثم، ومحاولة إخفاء صرخات الضمير، بإحداث أكبر قدر ممكن من الضجيج والصخب .. أو محاولة انتزاع اعتراف " السلطة " بمشروعيته ..

(١) ن. م. ص ١٣٥.

(٢) الجنس في التاريخ ص ١٣٢.

## إظهار اللذة مسموح به دينياً:

فما موقفنا من الجنس واللذة؟!  
يبدأ الله سبحانه وتعالى بأن يَمُنَّ علينا بخلق المرأة: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً " (النساء ١) و " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا " (الروم ٢١). و " وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا " (الأعراف ١٨٩).

والجنس وتشريعاته تحتل مكاناً بارزاً في القرآن والسنة، ورسول الله وكبار المسلمين من الصحابة والتابعين والفقهاء مارسوا الحياة الزوجية والجنسية على أكمل وجه. والرسول يأمر بالزواج أساساً، ويجعل العزوبية استثناء: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ( الجماع ومسئوليات الزواج ) فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ( أي مسكن أو مخفف للشهوة )".

وقد أعلن النبي أنه: " لا رهبانية في الإسلام " ورفض موقف الصحابي الذي قال إنه لن يتزوج ليتفرغ للعبادة ( مفهوم بولس ) ورد عليه النبي: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [البخاري ومسلم].

وقال: " مسكين مسكين رجل لا زوجة له، مسكينة مسكينة امرأة لا بعمل لها " وقال معاذ: " زوجوني .. لا ألقى الله تعالى وأنا أعزب "!  
رضي الله عنه وعنه إن كانوا قد زوجوه.

والمتزوج عندنا أكمل دينياً ( فالزواج نصف الدين ) وهو أولى بالصلاة خلفه من الأعزب ... وأولي بتولى الخلافة أو الإمارة من الأعزب في حالة تساوي الشروط الأخرى ...

والإمام الحافظ أبو عبد الله بن القيم الجوزية ( ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ ) يُحدّد أسباب الإتصال الجنسي، أو لماذا خلق الله الغريزة الجنسية فيقول: " يحفظ به الصحة، ويتمّ به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها - فإنّ الجماع وُضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية:

- حفظ النسل ودوام النوع إلي أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلي هذا العالم.
- إخراج الماء الذي يضرّ إحتباسه واحتقانه، البدن.
- في قضاء الوطر ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الانزال.

وما زلتُ مُعجَبًا بالتحدي الذي ألقيته في كتابي " دراسة في منحل " منذ عشرين سنة، تعليقًا علي هذا التحليل الرائع من فقيه في عصور " التخلف الإسلامية " إذ قلت: نتحدّي أي " دكتور " أن يضيف سببًا رابعًا للاتصال الجنسي غير التي ذكرها شيخنا منذ سبعة قرون؟! أيعاب علينا أن ننتيه علي الدنيا بتفوق العقلية الإسلامية..!؟

وفضلاً عن الإمام العلمي بطبيعة الغريزة الجنسية وأهدافها، فهناك التفوق، تحديد اللذة كهدف في حدّ ذاته، بل وجعلها هي الأصل وهي المنتهى، ففي الجنة، تنعدم الأهداف الأخرى، حفظ النوع، والحاجة الفيسيولوجية. ولا يبقى إلا اللذة للذة .. ومن هنا استنتجنا أنّ المفهوم الإسلامي عن الجنس في جنة عدن الأولي كان للذة وحدها، وبلذة كاملة..

وأحسب أنني مُطالب بأن أقف لحظة عند التشابه الموجود في رواية التوراة والقرآن حول اكتشاف آدم وحواء لسواتهما فأخذًا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. فقد يبدو أنّ تفسيرات " ترتوليان " و " الأكويني " قريبة من هذا النص القرآني، ولكن ذلك غير صحيح، فليس في التراث الإسلامي ولا في سلوك

الرسول والصحابة، ما يُعطي أي إحياء بوجود مثل هذا الفهم عن الجنس، فليس في الإسلام حبّ بين رجل وامرأة بلا جنس، لأنّ ذلك يُفضي إلي جنس بلا حبّ. وقد رأينا أنّ شيخنا قد نصّ علي اللذة كهدفٍ من أهداف خلق الغريزة الجنسية، بل جعلها هي الدائمة، بانتفاء التناسل، وإفراز الغدد .. ومن ثمّ حقّ لنا القول بأنّ الجنس بين آدم وحواء كان للذة وحدها.. وتفسير ظهور السوأة، أنّهما كانا يُمارسان اللذة بدون أي شعور بالخجل أو الإثم، أو أي إحساس بأنّ الجنس فعل خاص تحيط به رموز خاصة، تميّزه عن سائر المتع، فلا عيب فيه، ولا مُبرر للخجل منه، ومع الاعتذار للقديس أغسطين فلا بدّ أنّ أجهزتهما الجنسيّة كانت نشطة، وإلا لاستحال عليهما ممارسة الجنس بلذة أو بدون لذة .. وإذا كان آدم قد لاحظ بعد الخطيئة - انتعاض جهازه فخجل، فماذا لاحظت حواء، أو بالأحرى ماذا خجلت منه خشية أنّ يلاحظه الآخرون؟ ونشاط جهاز المرأة التناسلي لا يُمكن ملاحظته من الخارج بسهولة...

في اعتقادنا أنّه بعد المعصية، لم تظهر اللذة، فهذه موجودة من قبل، بل ظهر الإحساس بالألم والخجل، ومعرفة ما سيترتب علي الجنس من الحمل، والميلاد .. والأولاد .. فاللذة كانت موجودة وصافية وبلا تعقيدات، ثمّ أضيفت إليها التعقيدات والمسئوليات، والقلق، والخجل .. فإذا ما حسن سلوكنا في هذه الدنيا، **فسنعود للجنة حيث الحالة الأولى؟** أي الجنس لذة خالصة بلا حياء ولا ندم ولا توجس، حتي وإن استمرت الثياب كلون من المتعة، إذ لا شكّ أنّ الإنسان أكثر جمالاً وإثارة بالثياب - معظم الناس علي الأقل - وخاصة إذا كانت من ثياب الجنة، سندس واستبرق .. إلخ.

فعندنا أنّه في البداية كانت المتعة واللذة مع القيد الوحيد الذي وُضع علي الشجرة، والتحذير من الشيطان. فلمّا حدثت المعصية، كان الخجل والندم والقلق، والعار، والعورة .. وكل التعقيدات التي جاء الإسلام ليُحررنا منها. ويعيدنا إلي المفهوم الأوّل .. وبعد المغفرة يذهب هذا كله وتعود اللذة التي بلا حدود ولا قيود ولا حواجز نفسيّة ..



أما بالمفهوم المسيحي الغربي - فكما رأينا - في الأصل كان " التطهر " فإمّا أن الجنس لم يوجد أصلاً. أو أنّه كان موجوداً بافتراض تكاثر الناس في الجنة، ولكن بلا شهوة، ولا متعة، ولا إثارة، ولا لذة .. فلما كانت الخطيئة كان الشبق والشهوة واللذة! .. ولذلك فالأطهار هم الذين يمارسون سلوك الجنة الأول، يكبحون الشهوة، ويمتنعون نهائياً عن الجنس ولذته .. أو يمارسونه للهدف الذي " جعله الله " وهو التناسل فقط، بلا شهوة أو إشتهاء، أو علي الأقل يتظاهرون بذلك وسيكافأون في الآخرة، بالإعفاء الكامل من الجنس. **ومن الطبيعي أن يكون المفهوم المسيحي عن الجنة، أنها متعة للأرواح بلا أجساد. وأن تكون جنة المسلمين حافلة بالمتع الجسدية .. أمتعنا الله وأمتعكم بجنة المسلمين إن شاء الله.**

وسنجد أحد مظاهر الدورة الحضارية في كتابات الإمام الغزالي، فهو الذي وصل إلي الذروة في معرفة عصره، كان يمثل في نفس الوقت، نقطة الانحدار التي تبدأ بتبني أفكار الحضارة المتخلفة .. فالغزالي زاهد صوفي ضد اللذة للذة، بل ضد الزواج يقول " المرید في ابتداء أمره يجب ألا يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأناس بالزوجة، ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله، فشرط المرید العزبة في الابتداء، فإن غلبته الشهوة، فليكسرهما بالجوع الطويل والصوم الدائم .. إلخ " (الإحياء ٣).

وينقل عن الجنيد : " أحبّ للمُرید المُبتديء أن لا يشغل قلبه بثلاثٍ وإلا تغيّرت حاله: التكبّب وطلب الحديث والتزويج، وقال أحبّ للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنّه أجمع لهمه، أمّا عن لذة النكاح فما شغل عن الله فهو محذور "!

وهو نصّ يمكن أن يُقال في دير أو يُنقل عن قسّ في جيش الصليبيين الذين كانوا يغزون وطن الغزالي كندير مبكر بغروب شمس الحضارة الإسلامية. ولو تأملت هذا الذي يقوله الغزالي ويستشهد به لوجدته يُلخص، أو يوصي بكل ما يحقق فناء الحضارة الإسلامية وهزيمتها .. وتأمّل فلسفة الفناء هذه المشبعة بالفكر المسيحي

وقتها، وفلسفة النهوض والإبعاث، والتقدم التي في تعاليم الرسول وأحاديثه.. فالرسول يعد المؤمن بالثواب كلما جامع زوجته، والرسول يقول لا رهبانية في الإسلام.. وما من صحابي إلا وتزوج أكثر من مرة.. لذا أعطوا البشرية حضارة جديدة..

### قيد في المتعة الحلال

ولا قيد في المتعة الحلال عندنا: " وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. " (المؤمنون ٧-٥).

والاتصال الجنسي عندنا يُثاب عليه قال صلوات الله: " وفي بضع أحدكم صدقة " ( أي في الجماع ) فقالوا: " أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر... قال أرأيتم لو وضعها في حرام، كان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر".

وقد ذهبنا إلي أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام، كانت لإزالة هذا المفهوم الذي روّجته الكنيسة عن كراهية الزواج، وخاصة الزواج من المطلقة أو الأرملة، ولذلك كانت كل زوجاته إلا واحدة، سبق لهن الزواج؟؟؟؟؟؟؟؟...

وكما قلنا فإن الجنس عنصر أساسي في الزواج، بل وتتم به شرعية الزواج، وقال ابن القيم الجوزية: " والمودة بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم مما كانت قبله، والسبب أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين، فإذا رأت العين، اشتهي القلب، فإذا باشر الجسم اجتمعت شهوة القلب ولذة العين، ولذة المباشرة... وفيه كمال اللذة، وكمال الإحسان إلي الحبيب، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرح النفس، فإن صادف ذلك وجهًا حسنًا، وخلقًا دميًا، وعشقًا وافرًا، ورغبة تامة، واحتسابًا للثواب، فتلك اللذة التي لا يعادلها شيء، ولا سيما إذا وافقت كمالها، فإنها لا تكتمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة، فتلتذ العين بالنظر إلي المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف بشم

رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعكف كل جارحه علي ما تطلبه من لذتها، وتقابلها من المحبوب".

قارن هذا الإبداع في التنعم بما أحلّ الله، وما يحقّقه الجنس مع الحبّ، قارن هذا بما يقوله الغزالي، في كراهية الجماع، بل وكراهيته الأشد للجماع بين المتحابين قال: " إنَّ العشق هو غاية الجهل " وتفسيره يعكس الكراهية المسيحية للجنس واللذة والحبّ إذ قال: " العشق هو غاية الجهل بما وضع له الوقاع، وهو مجاوزة في البهيمية لحدّ البهائم، لأن المتعشّق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع، وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحي منه، حتي اعتقد أنّ الشهوة لا تقضي إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أين إتفق فتكتفي به، وهذا لا يكفي إلا بشخص واحد مُعيّن، حتى يزداد به ذلاً إلي ذلّ وعبودية إلي عبودية".

كيف هوي الفكر الإسلامي إلى هذا الحدّ وعند من .. فيلسوف مثل الغزالي .. وأين هذا من حديث ابن القيم، ووصفه للجماع بين المتحابين واعتباره قمة النعيم والنعمة من الله.. وأنت تري أنّ شيخنا لا يحرم عضواً من لذته، بل ويقرّر: " ومما ينبغي تقديمه على الجماع، ملاعبة المرأة وتقبيلها ومصّ لسانها ". وعن جابر بن عبد الله قال: " نهى رسول الله - ص - عن المواقعة قبل الملاعبة".

وهي أمور لم تكتشفها أوروبا المسيحية إلا بعد شيخنا بسبعمئة سنة؟! وما زال الجدل علي أشدّه في الكنيسة حول مشروعية الجنس الجاف بل حتي مطلع هذا القرن كانت الزوجة الأمريكية التقيّة تتحرّج من القبلة بشهوة مع زوجها! ودعك من مصّ اللسان، أو ما هو أذلّ للزوجين! وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلي جواز الإستمناء، بل وأنّ تساعد الزوجة زوجها علي الإستمناء. وقد حُرّم علينا الوطء في فترة الحيض، ولكن الجنس دون الوطء في أيام الحيض، ليس فقط من المباح، بل أذهب إلي أنّه سنّة، فقد كان عليه الصلاة والسلام: " يأمر عائشة أن تاتزر ويباشرها ". في أيام الحيض.

وعندنا يُمنع الجنس أثناء الصيام ولكن الله سبحانه وتعالى ينبهنا إلي أنّه مباح

في ليلة الصيام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. قوّاك الله يا أخي  
- لما علمه العزيز الحكيم من الضيق الذي كان يعانيه المسلمون، ولم  
يطلب منهم أكثر من الإمتناع عن الجماع وهم " عاكفون في المساجد "  
وهو طلب جد معقول ومنطقي.. قال عزّ وجلّ:

" أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ  
لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ  
بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ  
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا  
تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " (البقرة ١٨٧).

وقد طلبت زوجة " رفاعة القرظي " الطلاق لصغر عضو زوجها،  
فحكّم لها بذلك. والزوجة لا يجوز لها أن تمتنع عن تلبية رغبة الزوج  
قال رسول الله : " **والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى  
فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى  
عنها** ". وإذا كان لا يمكن إثبات امتناع الرجل عن قصد .. فإنّ الشرع  
قرّر لا ضرر ولا ضرار، واعتبر من الضرر عدم إشباع الحاجة الجنسية  
للزوجة ومن ثمّ لها حق الطلاق سواء كان امتناع الزوج عن عجز أو  
كراهية أو عن رغبة في الإيذاء والازعاج.

وإذا كان " الجماع " يجب أن تسبقه الملاعبة، فإنّ مفهوم النصّ  
والشرح في حديث " الإفضاء " أنّ التعبير عن الشعور خلال الجماع  
مباح.. .

قال رسول الله: " **إنّ من شرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة. الرجل  
يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرّها** ".

---

وشرح الحديث الإمام النووي (٦٣١ هـ) فقال: " وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة من قول أو فعل أو نحوه ".

ولا يمكن أن يجتمع في تراثنا، كل هذا الغزل إذا كان الجنس مكروهاً في ديننا، أو الحبّ مريباً. بل العكس، إنّ النظرة المتحرّرة للجنس جعلت المسلمين يرون في العشق علاقة نبيلة شريفة، لا يتغني بها فقط، بل اعتبروا أنّ الجمع بين العاشقين فضيلة، ومثوبة، يسعى لها أجلاء الصحابة، رضي الله عنهم .. .

مرّ أبو بكر الصديق، رضي الله عنه - في خلافته - بطريق من طرق المدينة فإذا جارية تطحن وهو يقول:

وهويته من قبل قطع تمانمي متمائساً مثل القضيب الناعم  
وكأن نور البدر سنّة وجهه ينمى ويصعد في ذؤابة هاشم

فدقّ عليها الباب، فخرجت إليه، فقال: " ويلك! أحرّة أنت أم مملوكة ؟  
فقالت : بل مملوكة يا خليفة رسول الله . قال: فمن هويت؟ .. فبكت ثم  
قالت: بحق الله ألا انصرفت عني .. فقال: لا أريم أو تعلميني فقالت:

وأنا التي ليت الغرام بقلبها فبكت لحبّ محمد بن القاسم

فصار إلي المسجد وبعث إلي مولاها فاشتراها منه، وبعث بها إلي محمد بن  
القاسم بن جعفر بن أبي طالب .. .

وجاءت جارية لعثمان بن عفان تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها  
عثمان: ما قصتك؟ .. فقالت: يا أمير المؤمنين كُلفت بابن أخيه، فما أنفك أراعيه.  
فقال له عثمان: إمّا أن تهبها لابن أخيك، أو أعطيك ثمنها من مالي.

فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له.

وأتي عليّ بن أبي طالب بـغلامٍ من العرب وجدوه في دار قوم بالليل،  
فقال له: ما قصتك؟ فقال: لست بسارق ولكن أصدقك:

تعلّقتُ في دار الرباحيَّ خَوْدَةً      يذلّ لها من حُسْنِها الشمسُ والبدرُ  
لها في بناتِ الرومِ حُسْنٌ ومنصبٌ      إذا افتخرتِ بالحُسْنِ صدقها الفجرُ  
فلما طرقتِ الدار من حرِّ مهجَةٍ      أتيت وفيها من توقدها جمرُ  
تبادر أهل الدار لي ثم صيَّحوا      هو اللص محتوماً له القتل والأسرُ

فلما سمع " عليّ " شِعْرَهُ رَقَّ له، وقال للمُهَلَّب بن رباح: اسمح له  
بها ونعوّضك عنها.

واشتري معاوية بن أبي سفيان جارية من البحرين، فأعجب بها  
إعجاباً شديداً فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها:

وفارقتَه كالغصن يهتَزُّ في الثرى      طريراً وسيماً بعدما طُرَّ شاربُه

فسألها فقالت: هو ابن عمي .. فردّها إليه وفي قلبه منه.

ودخلت عزة يوماً على أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز فسألتها: يا عزة ما قول  
كثير:

قضي كل دين فوقي غريمه      وعزة ممطولٌ مُعني غريمها...

ما كان هذا الدين؟.. فقالت عزة: كنت قد وعدته بقبلة، فتحرّجت  
منها.

فقال أم البنين: أنجزها وعليّ إثمها .. الخ (١).

لست أريد أن أطيل .. وحسبك أن تعلمي أيتها المسلمة .. أنه ما من أمة قد عشقت كما عشقتنا، وما من أمة قد أقبلت علي الحياة كما أقبلنا، لم نصدف عنها صدوف العاجز الكاره لها .. ولا انتحرننا بإدمانها .. وستبقى ليالينا في دمشق وبغداد والقاهرة والحمراء وقرطبة .. حلم البشرية كلها، وليلة الغرام للمرأة، فقد عاشت فيها أروع وأمتع الحب، يحوطها حنان الرجل وإعزازه .. وتنعم فيها، لأول مرة، بالمساواة الكاملة كإنسانة، وبالمكانة السامية كحبيبة القلب .. وما من أمة في تراثها عشر ما في تراثنا من غزل بالمرأة ووله بها ..

وفي اعتقادي أن الرجل الذي يستمتع بالجنس بلا عجز ولا عقدة إثم .. لا يمكن أن يحتقر المرأة ..

فليس في الفكر الإسلامي، من سبب لاحتقار المرأة أو الاعتقاد بثانوية مركزها، بل ويمكنني أن أضيف هنا عنصراً أخلاقياً لنشوء الانطباع عن ثانوية مركز المرأة واستغلال الرجل لها .. **ذلك أن الطبيعة اهتمت بلذة الرجل لإنجاز عملية الإخصاب، ولم تهتم أو قل لم تعلقها علي استكمال المرأة شهوتها ..** فالمعروف أن الإخصاب لا يتم إلا إذا أفرغ الرجل أو أنزل منيه بالقذف، أي يستكمل شهوته تماماً، بعكس المرأة التي تؤدي مطلب الطبيعة بنجاح، أي يتم الإخصاب والحمل دون أن تُفرغ أي دون أن تبلغ ذروة استمتاعها بوصول منحني التوتر الجنسي إلى قمته ثم استرخائه، بل تتم العملية كما قلنا بقذف الرجل في رحمها، ولو كان اغتصاباً، وعلي كره وبغض منها، بل يمكن القول أن اهتمام الطبيعة بالجانب الجنسي يتلاشى فور قذف الرجل وتحقيق الهدف بإفراغ الحيوانات المنوية، في المكان المطلوب لتبدأ مرحلة أخري من مراحل حفظ النوع .. بينما تؤكد غالبية الدراسات أن المرأة في هذه اللحظة بالذات تكون في قمة الاشتهااء والتشبث

(١) غلبت عاطفة أم البنين على تقواها .. وبقية القصة : فاعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت: ليتني خرست ولم أتكلم بها.

بالرجل، وانسحابه قبل أن تبلغ غايتها يدمر أعصابها ويصفع شعورها ويهين كرامتها إذ تتشبث به وهو كارهٍ منصرف عنها **وأقبح صور هذه الحالة هو ما نراه في أنثي الكلب** إذ تطبق علي عضو الذكر حتي تنال بغيتها .. .

كذلك يمكن القول بأن الرجل لا يمكن اغتصابه أو إجباره حرفياً علي مزاولة الجنس، إذ لا بد أن يتحقق من جانبه الانتصاب؛ وهذا يعني توفر حدٍ أدنى مهما يكن حجمه ومبرره؛ من الشهوة والإرادة، بينما يمكن أن تتم العملية الجنسية والخصاب دون رغبة من المرأة ودون شهوةٍ منها بل رغم أنفها في بعض الأحيان وهو ما يُصنّف بالاغتصاب. وأيضاً بعض حالات الدعارة المحترفة .. وهذا من شأنه أن تبدو المرأة في مركز ثانوي، مركز المغتصب أو " الشيء الجنسي " الذي يستخدمه الرجل لإشباع شهوته وتستخدمه الطبيعة لإستمئاء الرجل دون اهتمام بعاطفتها أو إرادتها أو حتى إشباع شهوتها فهي أداة جنسية وليست شريكة متساوية في العملية الجنسية. فالذين يقصرون هدف الجماع علي التناسل هم الذين وضعوا الأساس في " تشيء " المرأة أي جعلها شيئاً يستخدمه الرجل أو الطبيعة لإنجاز المطلوب. وسنري أن الإسلام قاوم ذلك ومنعه.

وصحيح أن المرأة لم تستسلم لهذا الوضع ولا واقعياً كان الجنس عملية خاسرة بالنسبة لها؛ بل ويمكن القول أن الشعور بفداحة الغبن إذا لم تصل إلي ذروة الاستمتاع مثل الرجل؛ لم يتضح بشكلٍ حادٍ إلا حديثاً جداً؛ بل كان إهمال إشباعها حافزاً لطلبها المزيد من الجنس: وتطوير عملية الانتقاء الطبيعي لتحقيق التلاقى؛ وأكثر من ذلك نحن نذهب إلي القول بأن المرأة كانت تحقق الإشباع في غالب الأحوال؛ حتى ولو لم يكن ذلك ضرورياً من وجهة نظر الطبيعة المستغرقة في تحقيق الإخصاب وحده. إلا أن المرأة تعلمت بغيريزتها أو من خبرتها كيف تضاعف من جهودها لتلحق بالرجل فتصل إلي ذروة منحنى استمتاعها معه أو حتى قبل أن يفرغ هو .. خاصة وأن المرأة تستطيع أن تتحمل الرجل للحظات بعد أن تفرغ؛ بعكس الرجل الذي ينحدر منحنى شهوته رأسياً فور القذف. كذلك استطاعت المرأة إقناع الرجل أن صبره عليها حتى تصل هي أيضاً إلي ذروة الشهوة؛ يضاعف من لذته ويرفع حرارة الممارسة الجنسية؛ ويبرز رجولته ويبرز اعتزازهما



معاً بهذه الرجولة .. وتري الرجل من عامة مُصرّ يفخر لا بعدد المرات التي جامع فيها المرأة في ليلته بل بعدد المرات التي استطاع أن يستفرغها.

ولكن المرأة لم تنسَ أبداً؛ أنَّ عليها أنْ تلهث لكي تلحق بالرجل؛ وأنْ تكشف بصورة صارخة استمتاعها وحرصها بل استعطافها له لكي يضاعف من جهده ويطيل صبره ليكون كوصف صباح لفريد شوقي في الأغنية العجيبة : " عليه صبر وطولة بال .. وعليه قوه تهد جبال ! " كما لا يفوت المرأة أنَّها في أغلب الأحيان تبذل جهداً أكثر مما يحتاجه أو يبذله الرجل لتصل إلى ما يصل إليه .. ثم لا يخفي تأثير الوضع الذي جري عليه الجماع " الرسمي " وهو افتراش أو علو الرجل للمرأة؛ حيث يطرحتها تحته كأنَّها فريسة يلتهمها الوحش الأقوى؛ أو شيء مُلقى أسفله؛ وهو وضع يخلق - علي الأقل خلال تلك اللحظات البالغة الأهمية والمكثفة الزمن - شعوراً بأنَّ الرجل " يعلوها " وأنَّها لا تصل إلي لذتها إلا بقبول علوه هذا والاستسلام له. ويمكن أن أضيف عنصراً آخر هو اللغة ففي سائر اللغات يعني فعل الجماع الفعل بالمرأة فهي المفعول به مما جعل أنصار حرية المرأة في الغرب في تطرفهم المعتاد يصرون علي تغيير اللغة ويجعلون الفعل صالحاً للاستخدام علي الوجهين فتكون المرأة فاعلاً ومفعولاً به وكذلك الرجل .. فهي تجماع الرجل وتطأه ..

وقد ساعدت الفلسفة البولسيّة وما تفرغ عنها في الفكر الغربي علي تأكيد إحساس المرأة بانحطاط مكانتها من خلال التركيز علي أن هدف الجنس الوحيد هو حفظ النوع؛ وهو يتحقق - كما رأينا - دون اهتمام بمشاعر المرأة أو رغبتها. كذلك كرهت الكنيسة الغربية تعبیر المرأة عن استمتاعها، وباستثناء مرحلة المراهقة والكبت الطويل: لا يمكن للمرأة أن تصل إلي الاستمتاع إذا ماحرصت علي كبت انفعالها حتى لا يصدر عنها قول أو حركة تدل علي اللذة أو

الاستمتاع .. كما نصّت تعاليم الآباء علي أن وضع افتراش المرأة هو  
الوضع الطبيعي والشرعي ..

" كانت محاكم التفتش تسأل المتهم في غرب المكسيك سنة ١٦٩٧ :  
هل حاولت أن تطء امرأة وهي راکعة كالحيوان علي أربعة أقدام؟! ".

ومن ثم فنحن لا نملك إلا أن نفتح أعيننا دهشة أمام وعي الإسلام بكل  
هذه العوامل وحرصه علي معالجتها اقتلاعاً لما يُسمي أو يروج عن  
انحطاط مركز المرأة. ولم تكن معالجة الإسلام بالغاء الطبيعة فليس ذلك  
في وسع الإنسان ولا من رسالات الأديان؛ وأيضاً لم يقفز الإسلام إلى  
التطرف المضاد مكتفياً بإعلان مساواة المرأة ولو علي مستوى  
الشعارات أو حتى أمام القانون انتصاراً علي الرجل! بل شرّع ما يمكن  
من السيطرة علي قوانين الطبيعة وتطوير آثارها بما يكفل سعادة المرأة  
والرجل معاً وتخلصهما من أية شعور بالاستغلال من طرف لطرف .. فقد  
حرص الإسلام علي تحقيق اكتفاء المرأة أو بلوغها شهوتها في الجماع  
مع زوجها ابتداء من النهي عن الجماع قبل الملاعبة؛ بل ذهب بعضهم  
إلي أن الملاعبة فرض بنصّ القرآن تفسيراً لقوله تعالي : " نِسَاؤُكُمْ  
حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ " ( البقرة ٢٢٣). فقالوا إن التقديم هو  
الملاعبة: والملاعبة كما شرحنا تثير المرأة وتسهّل بلوغها مأربها  
خلال الجماع الذي يعقب هذه الملاعبة .. ونهي الرسول عن أن يقع  
الرجل علي امرأته كما تفعل البهائم .. والبهائم بالطبع لا تهتم علي  
الإطلاق بمزاج أنثاها ولا إشباع هذا المزاج وتذكر مثال الكلب .. كذلك  
أباح الإسلام كافة أوضاع الجماع بلا تحديد ولا فرض لوضع شرعي ..  
ومن ثمّ فقد يعلو الرجل المرأة أو قد تعلوه هي فلا إحساس بمركز أسفل

..

وهناك أحاديث تتحدث عن قذف المرأة ماء مثل ما يفعل الرجل وقول الفقهاء أنّ الغُسل لايتوجّب عليها إلاّ إذا أنزلت .. وبصرف النظر عن التفسيرات العلميّة في ذلك الوقت فإنّ الحديث عن إنزال المرأة وجعله شرطاً للإخصاب وللجنابة؛ يُعطي المرأة الحق في المطالبة بحقوقها الشرعيّة ويحث الرجل علي الاهتمام بتليبيتها، وما أظنّ أنّ رجلاً مسلماً يسعد بروية امرأته تقوم من جماعه فنتوضأ وتصلي لأنّه لم يستطع أن يوجب عليها غُسلًا! (١)

(١) إذا كانت لا تأخذ برأى الجمهور في وجوب الغسل إذا التقى الختان.

## الموقف من المرأة

وإن كان هذا خارج موضوع البحث نوعاً ما إلا أنه لا بأس من الإشارة هنا، إلى ارتباط الموقف من الجنس بالموقف من المرأة .. فإيمان المسيحية الغربية ينقص المرأة، وأنها كانت السبب في طرد آدم، وظهور الجنس أو اللذة، كان له تأثيره المزدوج علي انحطاط مركز المرأة في التصور الكنسي، وعلي كراهية الجنس الذي يلجئ الرجل إلي الركوع بين رجلي المرأة !!

وقد ورثت الكنيسة انتقاص مكانة المرأة من الحضارتين الإغريقية والرومانية، وأضافت إليه تفسير " الخطيئة الأولى " وفقاً لرواية التوراة.

" وفي أثينا لم تكن للنساء من حقوق سياسية أو قانونية أكثر من العبيد، وكنّ يلحقن بأقرب ذكر، ولاتأكل مع زوجها إلا نادراً، ويستحيل إذا كان عنده ضيوف، ولا تخرج من البيت إلا نادراً ". وفي كتابات الإغريق أنّ المرأة غير موثوق بها، وغير عاقلة وشهوانية منحطة. " وكان زنا الزوج بلا عقوبة، ولكن الزوجة تُعاقب إذا زنت ".

---

(١) راجع كتاب الجنس في التاريخ وقد نقلت المؤلفة رواية بلوتراك عن زوجة أحد الحكام الإغريق الذي عرف من أصحابه أنّ رانحة فمه كريهة، فرجع غاضباً إلي بيته وسأل زوجته .. لماذا لم تخبره فردت عليه ببراءة: كنت أظن أنّ كل الرجال كذلك! وهذا يذكرنا بنكتة مصرية معروفة، ولا سبيل لذكرها!

---

" وفي القانون الروماني كانت تابعة للرجل، تنتقل هي وأملكها إلي ملكية الزوج ". في مجلس الشيوخ الروماني: " المرأة حيوان لا لجام له ". وكان القانون الروماني يُلزم الأب بتربية كل الأولاد الذكور، والبنت الأولى فقط، أمّا بقية البنات فيلقين في العراء عند عمود مخصّص لذلك، يمُتن أو يلتقطهنّ مديرو بيوت الدعارة.. .

وقال بولس الرسول، المؤسس الحقيقي؟؟؟ للكنيسة الكاثوليكية: " المرأة خلقت لينتفع بها الرجل، ولذلك يجب أن تخضع له في كل شيء. ويجب ألاّ تعلم في الكنيسة فقد شاء المسيح ألاّ يجعل أي امرأة، ولا حتّى العذراء مريم من الحواريين، وقد حافظت الكنيسة علي تقليد الذكورة باستمرار، فالقسيس يجب أن يكون شبيهاً بالمسيح، وإذا ما قامت امرأة بالقداس سيكون من الصعب رؤية صورة المسيح فيها". وهذا رأي الفاتيكان في عام ١٩٧٧ أن الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر نفسها مخوكة برسم قسيسات. بل والرأي الذي أعلنه البابا أخيراً في الثمانينيات في أثناء زيارته للولايات المتحدة(١).

وقال بولس: " يجب أن تمارس المرأة الصمت والطاعة لكل ما تؤمر به، فهي ابنة حواء التي أغوت آدم بالتعدي ". وقال كلمنت بابا الإسكندرية: " إن المرأة مساوية للرجل في كل شيء. ولكن الرجل أفضل منها في كل شيء ".

وفكرة الخطيئة الأولى، تحمّل المرأة مسئولية شقاء الجنس البشري، فهي التي غررّ بها الشيطان، وهي التي تولّت إغراء الرجل فكانت الخطيئة الأولى التي رزح تحتها البشر.. وطردوا من الجنة حيث لا شقاء ولا متاعب .. ولا جنس في رأي ترتوليان: " فلو كان آدم لم يعص ربّه، لعاش طاهراً حصوراً، ولتكاثر النوع الإنساني بطرق غير هذه الطرق البهيمية ".

والعهد القديم صريح وواضح في تحميل حواء مسئولية هذه الخطيئة الفادحة:

" فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، وأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل ". ولما سأل رب التوراة آدمها هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها، وشي آدم التوراة بزوجته: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة ". وفي العهد الجديد " إن آدم لم يغو، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي ".

أما الإسلام، فالآيات التي أشارت إلي حديث الشجرة، تحمل المسؤولية للطرفين بلا تخصيص، إلا في آية واحدة، ينفرد فيها آدم بالمسئولية، وتلقي الكلمات التي غفر بها لآدم وزوجه.

" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ". (البقرة ٣٦).

" فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ". (الأعراف ١٥٢).

" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " (طه ٢٠٥ و ٢١١).

فلا خطيئة لحواء عندنا، بل إن هذه المعصية قد انتهت بغفران الله لهما .. إنه لغفور رحيم ..

ثم إن الخطايا في ديننا لا ثورث. وربنا الغفور الرحيم لا يطارد الجنس البشري بمعصية آدم وحواء ..

ومن ثم فلا حقد علي حواء، ولا عقوبة أبدية لبناتها .. بل هن نور حياتنا وحبّات قلوبنا، وكمال ديننا، والجنة تحت أقدامهنّ.

### علمنا أوروبا المسيحية احترام المرأة:

وقد أجمعت الدراسات الحديثة علي أنّ الحضارة الإسلامية هي التي علّمت أوروبا المسيحية احترام المرأة، والنظر إليها كإنسانة بل كأجمل نعم هذا الوجود، بالنسبة للرجل علمناهم " حبّ " المرأة والغزل المهذب فيها، وأيضاً نحن الذين

علمناهم حبّ " مريم " العذراء واحترامها؟؟؟؟؟ .. وإن كانوا قد فعلوا ذلك علي طريقتهم ...

تقول مؤرخة الجنس:

" كل الذين جاءوا إلي العالم الإسلامي، ولو حتى إلي أسبانيا وصقلية فقط، عادوا بسلب لم يحسوا به ولكنه كان أثنى من كل ما حققوه أو سلبوه، وهو نظرة جديدة للحياة من الاحتكاك بحضارة أكثر تقدماً ورقياً مما كان بوسع نبل الغرب تخيله .. حفنة من الأفكار والإنطباعات والوعي والتصور ولكنها كانت كافية لجعلهم أكثر انسجاماً مع التغيرات التي كانت قد بدأت فعلاً في أوروبا " وقد سافر إلي أسبانيا أو فلسطين نصف فرسان فرنسا خلال الثلاثين عاماً التي تلت عام ١٠٩٧ ( بداية الحروب الصليبية ).

ولكن التأثير لم يقتصر علي هؤلاء الذين ذهبوا، ولا كان الصورة الأنقي، فالذين بقوا في أوروبا أو " القاعدون " سواء لأنهم أصغر أو أكبر من سن القتال - أو أعجز أو أحكم وأعقل من المشاركة في المغامرة الاستعمارية .. كان هؤلاء " القاعدون " يتذوقون تجربة مثيرة بشكل آخر خلال أعمال المسلمين ومؤلفاتهم، عن علم وحكمة المسلمين، وأيضاً مؤلفاتهم عن علم وحكمة العالم الكلاسيكي ( أي ثقافة اليونان والرومان ج ) هذه المعرفة وصلت مصفاة نقية عبر أسبانيا المسلمة التي عبرها أيضاً جاءت الآداب التي ستؤثر علي وضع المرأة في أوروبا(١).

### **السيدة مريم هدية المسلمين للعالم المسيحي:**

الكنيسة الغربية كانت تنظر للمرأة من خلال صورة حواء المسئولة عن سقوط البشر، فلما حلت " مريم " التي جاءت مع العائدين من الحروب الصليبية تغيّرت النظرة لصالح المرأة، وكان ذلك في القرن الرابع عشر.

فالحق أنّ الإسلام أهدى " ماريه " أو " ماري " للغرب المسيحي وساهم مساهمة مباشرة في تحرير المرأة الأوروبية، ومن سخرية التاريخ أنّ هذا تمّ في

ذات الوقت الذي كانت المرأة المسلمة تتراجع لتدخل الحريم التركي، المؤلم في خلفه.

تعتقد " راي تناهيل " أنّ العرب أخذوا الحجاب عن بيزنطة " حيث كانت المرأة معزولة عن الحياة العامة ومحجّبة، لا يسمح لزوجها برفع الحجاب إلا خلال العقد وللحظة قصيرة يختلي فيها العروسان " .

وسنثبت بتوسّع في دراسة أخرى، تعلم أوروبا احترام المرأة من العرب، وأنّه قبل الاحتكاك بالمسلمين والإطلاع على القرآن والموقف الإسلامي من السيدة مريم لم يكن لها كبير ذكر في الأناجيل ولا في الكنيسة.. ولكن نعلق هنا علي ما ذكرته مؤرخة الجنس وهو أنّ الذي علّم أوروبا حبّ " مريم " العذراء هم شعراء التروبادور، أي الذين نقلوا هذا الشعر من الأندلس المسلم، نقول أنّها كمؤرخة منصفة واسعة الإطلاع كان يجب أن تدرك أنّ حبّ مريم جاء من الفكر الإسلامي، ومن صميم الدين الإسلامي، بعد الاحتكاك العظيم في الحروب الصليبية، وإذا كانت بيزنطة قد سبقت الكنيسة الغربية في احترام مريم وتقديسها فلأن بيزنطة جاورت الإسلام أربعة قرون قبل أن تبدأ الحروب الصليبية، ولا حاجة للقول بأنّ آية مقارنة بين الإنجيل وأعمال الرسل، وتراث الكنيسة في القرون الأولى، وبين القرآن، حول مريم، تؤكّد أنّه لا وجود " لمريم " في الفكر المسيحي الأوّل، أو أنّها كما تقول المؤرخة ظلّت إلي القرن الثالث عشر: " مجرد قديسة عادية " أمّا في الإسلام فقد أعلنت منذ القرن السابع " سيدة نساء العالمين " فهي التي اصطفاها الله علي نساء العالمين، هي " البتول " التي أحصنت فرجها ليس لها في الأناجيل الأربعة سفر، ولها في القرآن سورة كاملة. وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة وفي ١٤ سورة. وذكر " عيسى " في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوباً إلي أمّه " عيسى بن مريم "، وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة، منها ثماني مرات " المسيح ابن مريم ". ولم يرد ذلك ولا مرة في الأناجيل ولكي لا يُقال أنّ ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنّه ابن الله، نقول أنّه حتي عندما أراد كتاب الأناجيل إثبات نسب المسيح الآدمي، لتأكيد أنّه " ابن داود " نسبه ليويسف النجار وليس لمريم !!.

مريم عندنا بالنصّ القرآني أفضل من أم نبيّنا عليه الصلاة والسلام وأفضل من



جميع زوجاته وبناته .. وتأمل ذلك الصحابي رضي الله عنه الذي " ثبت له وسادة ليحدث " فقال: .. خديجة هي خير من ركب الإبل من النساء " ثم تنبه إلي خطورة المنزلق الذي ساقه إليه لسانه فبادر قائلاً: .. ومريم بنت عمران لم تركب الإبل قط "!

حسبك هذه الواقعة لتعرف مدى مكانة مريم عليها السلام في نفوس المسلمين وإذا كان المسيحيون تعلموا احترام مريم من المسلمين، فقد شوّها الموقف، إذ كرموها باعتبارها أم المسيح أو أم الإله .. أمّا عندنا فمكانة السيدة مريم، وما أكرمها الله به لا يرجع إلي أنّها ولدت المسيح؟؟؟ .. حاشا لله أن تُكرم الأمهات في ديننا بنباهة أو صلاح الأولاد، وإلا كان لآمنة بنت وهب السبق الذي لا يُدرك فقد ولدت خير الخلق، وخاتم الأنبياء والرسل وإمامهم يوم المعراج والإسراء .. وحبیب الله والشفیع إليه ..

ولكن مريم حازت تلك المكانة لعاملين:

**الأول:** أنّها كانت صالحة عابدة قاننة .. مؤمنة صابرة. أحصنت فرجها، وكانت لها معجزاتها التي شاهد زكريا بعضها .. وهو الرزق الذي كان يأتيها من عند الله .. وكلما عجب زكريا من وجود ذلك في غرفتها التي اعتكفت فيها للعبادة، ردّت عليه رد المؤمنة الواثقة: " هو من عند الله "، " إذ الله يرزق من شاء بغير حساب ".

**والعامل الثاني:** هو أنّ الله ابتلاها بأقسي امتحان تتعرض له عذراء عابدة، ناسكة زاهدة محصنة عفيفة .. وهو الحمل بدون زواج، ولا والد معروف لحملها .. مما عرضها في زمانها ومحيطها وجيلها لأشنع اتهام، بل مازال اليهود والمشركون يرددونه إلي اليوم. وقد أبلغها سبحانه وتعالى بذلك، وأدركت هي خطورة ما سيطرتب علي هذا الاختيار الإلهي لها .. بل وتمنّت لو كانت قد ماتت قبل هذا وصارت نسياً منسياً، لإدراكها الكامل بما سيُقال عنها، وما ستعرض له، وأهون ما جوبهت به هو التذكير بأنّ أمها لم تكُ بغياً؟! ومع ذلك آمنت وصبرت وصدقت ما يستحيل علي كثير من العقول حتى اليوم تصديقه ..

وقبول مريم ومباركتها وتفضيلها علي نساء العالمين، بعبادتها، سابق علي إبلاغها فضلاً عن حملها للمسيح ..

" إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٣٥} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ {٣٦} فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ {٣٧} " (آل عمران ٣٥-٣٧).

" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَيٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ " (آل عمران ٤٢).

من هنا يحق لنا القول أن " مريم " في المسيحية حالياً، هي هديّة المسلمين للعالم المسيحي. وإذ كانت صورتها أو ممارسات حبّها وتوقيرها، قد اتخذت صيغة مخالفة للعقيدة الإسلامية. بحكم العقلية الغربية، والتطور الذي أصاب الفكر المسيحي.

تقول مؤلفة .. الجنس في التاريخ:

" حتى مطلع القرن الثاني عشر لم تكن " مريم " أكثر من إحدى القديسات في التقويم المسيحي الغربي، ولكن بمجرد ما استوردت عبادتها من بيزنطة ( وقد شرحنا مصدر ذلك ) حتى جذبت عواطف وإعجاب القديس برنارد رجل الكنيسة المشهور الذي كان مسئولاً عن إصلاح نظام الرهبنة، وبنفوذه أنشئت مئات الأديرة

في أوروبا حيث وهب الرهبان أنفسهم فيها " للعدراء " يلبسون الرداء الأبيض تحية لطهارتها، ويضيفون محراباً خاصاً " للسيدة " في كنائسهم. ولم يكد يحلّ القرن الثالث عشر حتى كان الشعر والشعراء الجوّالون يخلطون بين " السيدة " و " العذراء " بين " الحبّ المقدّس " و " الدنس "، وأصبحت العذراء سيدتنا **Our Lady – Notre Dame** شخصية ارستوقراطية مميّزة أكثر انسجاماً في بيت الأمراء في قصور الغرب منها في الخان المشهور في بيت لحم. ولكن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، تحوّلت بتأثير الفرنسيين إلى أمّ الفقراء والبؤساء، والعائلة المقدّسة التي لم يكن لها مكان في الأناجيل، أخذت مكانها في مجتمع القرن الخامس عشر في روما " ولو أنّ العامة - الذين لا يرتبط الدين عندهم بالمنطق - كانوا علي استعداد لقبول مريم كعروس المسيح وأمه .. مما أثار مشاكل منطقية في العقيدة، وعند جودفري أوف إدمونت، أنّها أيضاً عروس العضوين الآخرين في الثالوث ( أي الأب والروح القدس ). وقد ظلّت " ماري " شوكة في جنب الفكر الكنسي لمخالفتها لنظرة المسيحية عن وضع المرأة، حتى اضطرت في النهاية لإعلانها حالة خاصة " (١)!!!!!!

---

(١) ص ٢٥٧ وانظر دراسة موسعة لنا عن مريم في الأناجيل في كتابنا: " خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل " .

---

## لماذا الزنا؟

وقد يبدو من النظرة السطحية أنّ مفاهيم الكنيسة الغربية أكثر " عفة " أو تخلق مجتمعاً أكثر عفة من المجتمع الإسلامي - ولكن هذا غير صحيح؟؟، لأنها مخالفة للطبيعة. وقد اضطر كبار رجال الكنيسة ذاتهم إلي الاعتراف بالعجز عن " خصي " المؤمنين، ومن ثمّ ترى " قديساً " مثل توماس الإكويني، الذي يُعتبر فيلسوف الكنيسة ومجدّدها فكرياً، يُقرّ البغاء كوسيلة لمكافحة اللواط، ويقول إنّ البغاء مثل " المراحيض " إذا ألغيتها امتلأ المكان بالأقذار .. كذلك إذا ألغيت البغاء، انتشر " اللواط ". وكانت هناك كنيسة للدعارة في " أفنيون " حيث تقضي الفتيات بعض الوقت في الصلاة والواجبات الدينية، ثم يتفرغن بقية النهار والليل لخدمة الزبائن، الذين يشترط فيهم أن يكونوا مسيحيين، إذ لم يكن يُسمح لغير المسيحيين بالدخول!!!!!!

---

وقد ظل هذا التقليد متبعًا من المومسات المسيحيات في الخليج إلى عام ١٩٥٦، هذا يذكرنا بقصة الغلام الشهيد ومك قرطبة(١).

وقد أعجب البابا جوليوس الثاني " بكرخانة " أفينون هذه إلى درجة أنه في مطلع القرن السادس عشر أسس واحدة مماثلة في روما ذاتها، وأصبحت مارية المجدية، قديسة المومسات "!. .

ويمكن أن ندرك مدى انتشار البغاء من حقيقة أن كولومبوس سافر إلى أمريكا عام ١٤٩٣ مع خمسين بحارًا أصيب بعضهم " بالزهري " في أمريكا، ولكن بعد عودتهم بثمانية عشر شهرًا كان الزهري منتشرًا في معظم أوروبا!.

وتوماس الأكويني الذي أباح البغاء هو الذي قيل فيه " لو أمكن تحميل رجل واحد مسئولية تشديد موقف الكنيسة من اللواط، فهو توماس الأكويني فيلسوف وفقه القرن الثالث عشر ".

وقد عزل أحد رجال الدين في بريطانيا عام ١٢٧٤ بعد ما أنجب ٦٥ طفلاً غير شرعي(٢).

ولكن استخدام أو إباحة البغاء لم يقصد به مجرد تطهير المدينة من قذارات اللواطيين، بل استعين بها علي فرض التقشف في المعاشرة الزوجية! فإن محاولة الكنيسة التدخل في فراش الزوجية، ومقاومة المشاعر الطبيعية، أدت إلي ازدهار البغاء، ففي العصر الفيكتوري فضل الرجال أو حتي نُصحوا بتفريغ شهواتهم مع المومسات أو العشيقات، ليكون الجنس مع الزوجة رفيعًا مهذبًا باردًا رصينًا! " أمن آباء الكنيسة أن الجنس حتي في الزواج لا يُسمح به إلا إذا كان الهدف منه هو التناسل فقط، ولو أن الكنيسة الكاثوليكية آمنت بذلك ولونت تلك النظرة، الفكر الكاثوليكي كله، فيما يتعلق بالجنس، إلا أن تأثيره كان محدودًا ولكن من

(١) أنظر فصل اللواط. وهو الغلام المسيحي الذي رفض حب الملك اللوطي المسلم لأنه وثني.

(٢) المسيحية واللواط ١٣٣-١٤٧.

الغريب أنه خلال القرن التاسع عشر تبني البروتستانت تعاليم القديس أغسطين أكثر مما فعل أسلافهم الكاثوليك وقال الدكتور أليس ستوكمان الأمريكي عام ١٨٩٤ " إن أي زوج يطلب من زوجته الجماع بغير هدف الإنجاب، إنما يحولّ زوجته إلي مومس خصوصية " (١)، " وإذا لم يكن رجال العصر الفيكتوري قد ذهبوا في التطرف مذهب الدكتور إلا أنه كانت هناك قناعة عامّة بأنّ الرجال لا يجوز لهم إظهار شهوتهم الحيوانية مع زوجاتهم إلا في أضيق الحدود مرّة في الشهر وهو الأمل، أو مرّة في الأسبوع إذا كانت الحالة حرجة " (٢). ويمنع تمامًا في فترة الحمل أو الحيض. ولكن الرجال وجدوا مصرفًا، بل اعتقدوا أنّهم يخدمون زوجاتهم بتصريف طاقاتهم في الخارج، وأنّ اللجوء إلى المومسات يتفق مع الدين. فالقديس أغسطين خلال مناقشته للجنس قال : إنّه لولا خطيئة المرأة، والتفاحة، والحية .. لبقى الجماع باردًا وعمليّة عقلية محسوبة وخالصًا من كل إثارة وليس إلا بعد الخطيئة الأولى ظهرت الشهوة والعاطفة في الموضوع. وقد حمل أطباء القرن التاسع عشر هذه النظرة إلى نتيجتها المنطقية، ففضلوا الجنس مع المومس الذي يتمّ بلا حبّ، عن الجنس مع الزوجة، فازدهر البغاء علي نحو لم يسبق له مثيل. ورغم قلّة الإحصائيات. فقد اعترف البوليس بوجود ثلاثين ألف مومس في باريس.

ولكن المصادر الرسمية تقدّر الرقم الحقيقي بمائة وعشرين ألفًا، ونفس الخلاف، في لندن، فقد اعترف البوليس بوجود سبعة آلاف مومس، بينما قدرهم تقرير إحدى الجمعيات بثمانين ألف مومس. وفي فيينا (١٨٢٠) كانت توجد بغي لكل سبعة رجال، وفي نيويورك (١٨٣٠) عشرون ألف مومس وفي الفترة ما بين (١٨٣٠-١٨٤٠) كانت تُحال سبعة آلاف امرأة معظمهن من البغايا إلي العلاج من السيلان أو الزهري، وفي عام ١٨٦٥ عالجت ثلاث مستشفيات في لندن، ثلاثين ألف حالة من الرجال والنساء، وفي باريس (١٨٦٠) كان أكثر من ستين

(١) الجنس في التاريخ

(٢) وقد وعدّها الإعرابي " أربعًا في أربع " في ليلة واحدة هي ليلة الميابة!.

بالمائة من المومسات اللاتي دخلن سجن " سانت لازار " مصابات بمرض سرّي، وخلال ثلاثة شهور فقد الحرس الإمبراطوري عشرين ألف يوم عمل بسبب تردد رجال الحرس علي المستشفيات للعلاج من الأمراض السريّة. وفي كوبنهاجن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان كل رجل أو امرأة من بين ثلاثة يحمل أو تحمل إصابة بمرض سرّي. وفي أمريكا في عام ١٩١٤ قدر أحد الخبراء أنّ نصف الذكور في الشعب الأمريكي مصابون بالسيلان " (١).

وهكذا ترى أنّ المُنبَت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى .. وأنّ التعاليم الإسلاميّة هي التي نظمت وضبطت الحياة الجنسيّة بما يكفل الإشباع الكامل النظيف والإنساني ... ووضعت العلاقة التي تنتفي معها الحاجة إلي الزنا .. [ تعليق: كان أجدر بالكاتب أن يذكر الإحصائيات، إن وجدت، عن البغاء والأمراض السريّة بالبلاد الإسلاميّة، في نفس الفترة، حتي يتثنى للقارئ عقد مقارنة خالية، بالرغم من أنّ البغاء كان مقنّن في البلدان الإسلاميّة حتي بعد الحرب العالميّة الأولى. وما زواج المتعة إلا دعارة شرعية تمارس في بلدان إسلاميّة حتي أيامنا هذه. ]

فالزواج في الإسلام، وهو المصرف الطبيعي للغيرزة الجنسيّة، مطلوب ومأمور به .. وهو أيضاً سهل جداً، لا يحتاج إلي طقوس خاصّة، ولا إلي رجل ذي صفة خاصة لعقده، بل يستطيع أي رجل وامرأة أن يتزوجا .. إمّا بالشهود أو بالإعلان، أو بهما معاً .. وأجاز أبو حنيفة الزواج بلا ولي وبشهادة فاسقين. ومالك أجازه بلا شهود وإن كان الإجماع علي الولي والإعلان أي الإشهار. والمرأة البالغة تختار وليّها، أو بالأحري تعينه.

وواضح أنّ اشتراط الشهود، أو الإعلان أو هما معاً إنّما يحميان حقوق الزوجة والأطفال، فالعادة عند إنكار الزواج، أنّ يأتي هذا الإنكار من جانب الزوج ... ومن النادر جداً وقوع حالة عكسية، وإن وقعت فغالباً بعد وفاة الزوجة، إثر نزاع علي الميراث. ولكن الشهود والإعلان ليست مراسيم، وكتابة عقد الزواج ليست من نوع الطقوس التي بغيرها لا يتم الزواج شرعاً، إنّهُ كما رأينا ضمانات قانونية لحماية الشريك الأضعف. ولتحويل الزواج من سلوك ذاتي بين ذكر وأنثي إلي سلوك اجتماعي، بإشهاد المجتمع عليه. ذلك أنّ القيد الذي يضعه الإسلام علي

حرية الفرد، هو دائماً أبداً لمنع تعسف الفرد في استخدام حريته بما يضرّ مصالح الآخرين.

وما دام يستطيع أي فتى وفتاة بلغ بهما الحبّ حالة السعار التي تتحدث عنها " فرانسوا ساجان " ... أن يستمتعا بها علي سنّة الله ورسوله .. دون انتظار مباركة شخص بعينه ... فلماذا يزني المسلم؟ إلا إن كان الزنا يتمّ مع سبق الإصرار عليه ..

ولا أظنّ أننا سنقف طويلاً عند البغاء، فذلك ليس جنساً ولا حباً، ولا حتي آدمية ... وما من أحد يجرو علي المطالبة به اليوم أو الدفاع عنه. وإن كان تاريخنا لم يخلُ من بعض الرقعاء. طالبوا بإباحته لمنع الكبت والأمراض السريّة! .. منطلقين من نظرية المجاري! ...

البغاء العام انحطاط للرجل والمرأة ... فلنتركه سريعاً، حتي ولو سمّوه باسم " مشاعية النساء " واقترن بما يسمونه " الشيوعية البدائية " ... فإنّ تكوين الأسرة هو أول الصفات الأدميّة، والملكيّة الفرديّة لا دخل لها في استمرار الأسرة.

نناقش إذن الزنا الفرديّ ... والمرأة في الأغلب الأعمّ لا ترفض الزواج بالرجل الذي أسلمته جسدها إلا إن كانت تسلّم هذا الجسد وحده، دون قلبها سواء بدافع من الشهوة الحيوانية وحدها، لأنّ الحيوان يمارس الجنس بلا حبّ (١) بل هناك حيوانات عليا لا يخلو جنسها من حبّ - والجنس بلا حبّ حيوانية، بل سلوك حشري! أو حرصاً علي مكسب غير عاطفيّ ... أو لأنّها ترى الرجل غير كفاءٍ لها، ولكنها تشتتية ... هذه المرأة تهين نفسها، وتقرّ ذلك في أعماق ضميرها وهي تزني ... لأنّها تسلّم جسدها لمن لا تحترمه ... إذ لو احترمته لتزوجته، ومثل هذه الزانية سبّة للجنس كله ... أمّا إذا سلّمت المرأة قلبها، فليس أسعد منها ولا أعظم عندها من أن يختارها الرجل الذي امتلك قلبها، ومنحته حبّها، شريكة لحياته، ومكمّلة لدينه، وأمّاً لأولادها.

(١) والغريب كما رأينا أن الإمام الغزالي امتدح ذلك!.



الغالب إذن أنّ الرجل هو الذي يحب التملص ... الرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة، وهو لا يريد أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادهما اسمه ... هذا الرجل مهما كان فوراً عاطفته، يخفى احتقاراً للمرأة ...

فتحريم الزنا هنا، يعني - ضمن ما يعنيه - تحريم احتقار المرأة.

وحالة أخرى للزنا، هي تلك التي تتم مع اتفاق الطرفين علي استبعاد الزواج وهو في الغالب الزنا بحليلة آخر... وهذا هو الجنس المشوّه، الذي يقوم علي خيانة ثالث ... وعلي إقرار من الطرفين بأنّها علاقة لا تتجاوز هذه الرعشة المؤقتة مهما أحيطت بالشبيق والحنان ... فهي مدمّرة، خاوية، ممتزجة باحساس وضيع بالخديعة.. خديعة الرجل للمرأة، يقول بلسانه مالا يتجاوزه إلى قلبه .. قلبه الذي يوقن أنّها علاقة عابرة بلا مسئوليات ... يهمس في أذنها أنّه مستعد " للموت " في سبيل حبّهما ... وهي علي يقين برفضه " الحياة " في سبيل هذا الحب! ...

وخيانة المرأة للرجل، تريد أحضانه ولكنها لا تقبل العيش معه سوى لحظات مختلصة، علاقة يغلفها الكذب والشك في واحدة من أصدق اللحظات ... وكيف يصدق الرجل رعشة امرأة وهو يعرف أنّها تكرّرها مع غيره ... ربّما بعد ساعات، وربما قبل ساعات ... وأنّى لرجل أن يكتشف الزيف في هذه اللحظات من الصدق؟! وكيف تصدق المرأة رعشة رجل مطمئن تمام الاطمئنان، أنّه لا يحمل مسئولية عواطفه، بل يحملها لرجل غيره؟ ...

وماذنب الطفل الضائع بين يقين كاذب، وشك لا يجرو حتى علي الشك! ...

من هنا كان زنا المحصن يستحق الرجم ... وكان حديث الرسول عن ابن مسعود " سألت رسول الله: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: قلت له إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تزاني حليلة جارك "

نعم! الشرك بالله لا يتفق وقدسية التوحيد، وهو انحطاط بالإنسان عن المرتبة

التي رفعه الله إليها، فلم يجعل له ربًّا إلا ربَّ العالمين وحده، والزنا بين المتزوجين، شرك بالعاطفة الأنسانية الصادقة، وخيانة للحب وإهدار للجنس .. لأنَّ الزواج عندنا ليس ورقة، إذ لا بدَّ في الزواج الإسلامي، من الإرادة الواعية في الاختيار الحرّ، فما دامت قد اكتملت الإرادة الواعية وعبرت المرأة باختيارها الحرّ عن رغبتها في هذا الزواج، فليس من حقها أن تخون ثقة شريكها في هذا الزواج ... ونفس الشيء للرجل المتزوج.

فإن قيل: إن القلب متقلب، وإنَّ الاختيار قد يخطيء، والإرادة قد تضلّ ... قلنا: إن الدين يسر لا عسر ... فإن حق تصويب الخطأ مكفول عندنا ... ما الذي يمنعها من الطلاق وزواج من تحب؟! ... .

والإسلام قبل أن يُشرّع رجم الزانية التزوّجة ... ألغى القيود التي كانت تعترض زواج المطلقة .. ففي الشرائع الأخرى، كان زواج المطلقة زنا! .. ومن ثم كان القرار الذي يتخذ بالزواج يستحيل إلي قيد رهيب علي إرادة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، لا يستطيع الفكك منه ... فجاء الإسلام وحررنا من هذا الرق .. ولذا فليس ثمة مبرر واحد لكي يزني المسلم أو المسلمة ...

والحرية الشخصية عندنا قد اكتملت للرجل والمرأة بحق الحب والزواج ثم بحق الطلاق ... لا بالتفريط أو بالإباحية الجنسية، فليست الإباحية هي مرادفة الحرية ...

فتحريم الزنا في الإسلام لا يبعث من كراهية الجنس بل من احترام الجنس ... وتنزيهه عن العبث، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل ... وحتى لا ينسب الطفل لغير لحظة الحب التي أنجبته ... وإذا علمت أن الزنا لا يجوز إثباته بالتجسس أو الشبهة، وأنَّ عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ الإسلامي إلا علي معترف أو معترفة، وأنَّ هذا الزاني المعترف لو أنكر بعد أن أصابته الأحجار، بل لو فرَّ هاربًا من لوجب الأحجار وقف تنفيذ الحدّ ... وأنَّه في العصور الوسطى للإسلام، لا لأوروبا، أوشك سلطان المماليك أن يواجه ثورة حقيقية

لأنه رجم زانياً معترفاً، ولكنه عدل عن اعترافه في آخر لحظة! ..  
أقول: إذا علمت هذا، إذن لعرفت أن عقوبة الزنا قد عبرت فيما عبرت  
عنه، عن احترام عميق للمرأة، وتقدير عميق للجنس ... فما من شبهة  
فرض، ولو خيالي لظرف، يُجبر فتى وفتاة علي الزنا في نظام الزواج  
الإسلامي، الذي بلغ القمة في تحرره وبساطته، وقدسيته في نفس الوقت

..

وإذا عرفنا أن " الخلفاء والفقهاء أفتوا بأن الرجل إذا شرط مبلعاً من  
المال أو شيئاً ذا قيمة مقابل وطء المرأة، فلا حد للزنا ولكنه زواج، فقد  
أعطاهما أجرهما وهي قبلت " والفكرة أن الزواج عرض وقبول من طرفين  
ليس بينهما مانع شرعي - قانوني من الزواج. وما عدا ذلك فهو طقوس  
لا أهميّة لها. وهذا ما جعلنا نستنتج أن " الزنا " الذي يحاربه الإسلام  
ويركز عليه هو الزنا الذي يتم بين شخصين يستحيل زواجهما، وهذا هو  
" الزنا بحليلة جارك " أي بالمرأة المتزوجة عموماً، وإن كان الحديث قد  
ورد بصيغة الوصايا العشر.

وقد حلا لبعض المشككين، فترة من الوقت، الطعن في الأسباب التي  
أدت إلى تحريم الزنا. مما يطرحه الذين يحاولون " تبرير " الإسلام ..  
فقالوا عن اختلاط الأسباب أنه يمكن ضبطه بوسائل منع الحمل، ولما  
اكتشفت مركبات السلفا عام ١٩٣٥ والبنسلين عام ١٩٤١، شاع اعتقاد  
بأن الإنسان قد تخلص نهائياً من الأمراض السرية، وسقطت حجة  
الأخلاقيين والمتدينين في نقد الزنا أو العلاقات الجنسية غير المحدودة.  
وقل حرص طلاب اللذة الحرام، حتى أصبح يعالج من " السيلان " كل  
عام في الولايات المتحدة وحدها ثلاثة ملايين .. وفي العالم كله مائة  
مليون! ولكن من ذا الذي يهتم إن هي إلا ( كورس بنيسيلين ) ..

ولكن سرعان ما تلبّد الجو .. فالميكروبات ككائن حي لا تكف عن تطوير مقاومتها للمبيدات. فهي لا تقل حرصاً علي الحياة، ولم يقتصر الأمر على ظهور أجيال من ميكروب السيلان أو الزهري تحتاج إلى جرعات أكبر، وربما مركبات أقوى وعلاج أطول، بل تطوّر ميكروب عادي من ميكروبات البرد إلى أخطر وأوسع الأمراض السرية انتشاراً ( Herbs ) وهو غير قابل للشفاء حتى الآن، ولذلك نسميه نحن " الإنفلونزا الجنسية " إذ يُقال إنّه من فصيلة ميكروب الأنفلونزا .. وهو ينتقل بأي تلامس جنسي، من الفم أو الجهاز التناسلي، أو حتى الشرج .. ويبقى في الجسد فلا يخرج منه، وسرعة انتشاره، وعدم القدرة على علاجه، جعلتنا نختار له تسمية " الانفلونزا " . ويُقدّر عدد المصابين به في الولايات المتحدة بعشرين مليوناً! وهو أبرز آثار " الثورة الجنسية " التي اجتاحت أمريكا في الستينيات، وبعد انتشار المضادات الحيوية، وحبوب منع الحمل، وشيوع أو علانية الشذوذ الجنسي. وتبادل الزوجات، والجنس الجماعي ... وقد أشرنا إلي المرض الآخر الأشد خطورة والذي لا علاج له، الذي ينتشر بين اللوطيين، وهو الإيدز.

ولا حاجة لأن يردّ أحدهم بأنّ الطبّ سيكتشف دواء للمرضين حتي وإن كان لم يكتشف دواء للأنفلونزا رغم مرور سبعين عاماً على فتكها بالعالم في حمي الأنفلونزا الأسبانية (١٩١٩). ولكننا جد واثقين أنّ العلم سيكتشف دواء لكل الأمراض الموجودة حالياً، فهذا هو نصّ الحديث النبوي الشريف(١) إلا أننا أيضاً وبنفس اليقين نؤمن أنّ الأمراض ستطوّر نفسها، وستظهر أجيال أكثر قدرة علي مقاومة الدواء - بل وستظهر ميكروبات وفيروسات جديدة، متحوّلة أو مولدة تحمل أمراضاً وأعراضاً لم يسبق ظهورها، ولا دواء لها لفترة من الوقت ... فما دام " البغاء " أو الزنا يُمارس .. أي الاتصال الجنسي المفتوح، غير المحدود الأطراف .. فلا بد أنّ تظهر الأمراض السرية ..

---

(١) لكل داء دواء وقد ورد في ما سبق.

والأصل في الاستمتاع الجنسي هو الإقبال أو الإشتهاء بلا تحفظ، والممارسة بلا قلق، ثم الإسترخاء بلا ندم أو خوف .. وهذا لا يتأتى إلا في علاقة شرعية حتى إذا أمن الطرفان كل القوانين والمفاجآت وكان الزنا مباحاً كما هو الحال في بعض البلدان .. فإن هذا الاستمتاع لا يتحقق إذا كان المستمتعان يبدآن بالشك في نظافة كل منهما، ثم يتخذان الاحتياطات، وينتهيان بالقلق والمبادرة لإزالة الآثار تحسباً للأخطار .. !! وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أنه بعد ظهور المرضين الجديدين " الهربس والإيدز " .. هبطت نسبة ممارسة الجنس بشكل حاد في أمريكا .. وتشهد المحاكم الآن دعاوي مرفوعة من " محبين " ضد بعضهم بتهمة " رمثي بدائها وانسلت " .. .

وباختصار إذا كان أشنع الزنا، هو الزنا بين المتزوجين، فإن الزنا عموماً يحمل شراً خطيراً، والجنس يجب أن يكون في دائرة مقفلة (١).

### الرجم في الإسلام ولماذا نسخه الله؟:

وقد شرحنا في كتابي " دراسة في فكر منحل "، رأينا في سبب تشريع عقوبة " الرجم " حيث أثبتنا أن المسلم المحصن لا يحتاج للزنا إلا إذا كان قد انتوى الغدر والفاحشة ... غير أنني أحب اليوم أن أقول كلمة حول هذه العقوبة ...

وقد سبق منا القول، أنها موجودة في التوراة. وأن الإسلام لم يخرعها، حتى يسمح المبشرون المنافقون لأنفسهم بالحملة علي " وحشية " الإسلام! أو أنهم يرون أن ما كان يليق " دينياً " في عهد " موسي " لا يليق في عهد المسيح أو محمد، أو بمعنى أكثر دقة، ما كان جزاء عادلاً في شريعة موسي يصبح وحشية وتخلفاً في شريعة محمد؟! هذا موقف من مواقف النفاق الفاجر، فإما أن ينتقدوا التوراة ويقولوا أنهم اضطروا إلي تنقيح قانون إله التوراة لأنه متخلف، وإما أن يكفوا ألسنتهم عن نقد الإسلام.

(١) أي تشمل تعدد الزوجات، لأنها ما دامت مغلقة على الرجل الواحد ونسائه فلا سبيل لتفشي الأمراض السرية. [تعليق: ولكن ماذا يحدث في حالة المطلقات؟ ألا يسهم ذلك في تفشي الأمراض الجنسية السرية؟] .

وقد كان أول تطبيق للرجم في المدينة. أو في تاريخ الإسلام كله. في حادثة اليهودية التي احتكم أصحابها إلي النبي فحكم فيهم بالتوراة، وكان في ذلك ما فيه من إعلام النبوة، وعدل النبي.. ففيها علم رسول الله بأحكام التوراة وإثبات أن اليهود لا يلتزمون بتوراتهم وإلا ما جاءوا إلي الرسول يطلبون حكماً، وكأنهم يلتمسون مخرجاً من أحكام دينهم. وفيها أيضاً فقه حكم الأقليات غير المسلمة، وفيها العدل بإخضاعهم لشريعتهم.

أما المسيح فقد رفض رجم الزانية في حادثة تماثلها، ويبدو أن زانيات اليهود يُمتحن بهنّ كل نبي! والسبب في امتناع المسيح، أنه لم يجد في متهميها من يرقى إلي مرتبة الشاهد العدل، فقال لهم: " من كان منكم بلا خطيئة فليقذفها بأول حجر ". وشهد الله أنهم لم يجمعوا خطيئة المعصية مع خطيئة النفاق. ولذلك امتنعوا عن الرجم.

ورفض المسيح صلوات الله عليه أن ينفذ هو الحدّ لأنه كان - كما قلنا - يتجنب ممارسة السلطة، يتجنب التدخل بأية صورة فيما يتعلق بنظام الحياة في المجتمع أو الدولة.

أما الرجم في التشريع الإسلامي، فلا شك أنه مورس في عهد الرسول في حادثتين. نشأتا بالاعتراف الاختياري والإصرار عليه، والروايات مُجمعة علي أن رسول الله كان يتمني لو وجد سبيلاً لمنع تنفيذ الحدّ. وتمني لو أن أصحاب القضية لم يبلغوا السلطة الإسلامية بأنفسهم، فقد حاول الرسول بكافة الطرق والحجج منع تنفيذ الحدّ بالبحث عن شبهات، ولكن المذنب في كل حالة، أصرّ علي الاستشهاد، أو التطهير.. وثابت أن الرسول لم يرجم بنفسه، ولا شاهد الرجم. بل عاتب المنقذين، لأنهم استمروا في الرجم حتي بعدما حاول المتهم النجاة بجسده من ألم الضرب، فقد اعتبر ذلك التصرف منه " عدولاً عن الاعتراف .."، وعاتب النبي خال ماعز لأنه لم يستر عليه بثوبه أي لم يخف خبر زناه عن السلطة!.

كذلك أشرنا إلى القيود التي وضعها الشارع لثبوت التهمة، وهي الأربعة شهود، وهي الأربعة شهود من الرجال - الذين كان يستحل توافرهم قبل ظهور الجنس الجماعي .. وحجتنا أن هذا النصاب لم يتوافر قط في تاريخ الدولة الإسلامية عبر ١٤ قرنًا، فلم نسمع عن عقوبة الرجم للزنا ثبتت بالشهود، ومرة أخرى فإنَّ الشاهد الرابع الذي برأ " المغيرة " وجعل عمر رضي الله عنه يهتف " الله أكبر " إذ ثبت بشهادته براءة المغيرة .. هذا الشاهد " النفسى " .. شهد بأنَّه رأى " أقدمًا بادية وأنفاسًا عالية، وأمرًا منكراً " . واعتبر ذلك غير كافٍ لإثبات الزنا .. إذ لا بد كما هو معروف من إثبات التفاصيل اتلى أشرنا إليها .. .

وشروط الشهادة، واستبعاد شهادة النساء(١)، واشتراط وقوع الشهادة وقت الفعل، وتحت تأثير الانفعال من المنظر، وليس بعد مدة لكى لا تكون عملية ابتزاز أو ضغينة. ولذلك قال عتمر " أيما قوم شهدوا علي حد، ولم يشهدوا عند وقوعه، فإنما شهدوا عن ضغن ولا شهادة لهم " .

ثم حضَّ المسلم علي كتمان الشهادة، أو التستر علي الفاعلين بعكس جرائم الحقوق حيث يحت الدين المسلم علي إظهار الحق، ويحثُّ المسلم علي الشهادة، إلا في جرائم الجنس، فقد طلب من الفاعل أن يكتُم ذنبه، فلا يُعرِّي نفسه للعقوبة بالاعتراف، بل يكتفي بالتوبة بينه وبين الله. ولا يعلن الأمر ولا حتّي للسلطة فقد قال رسول الله: " من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بسرّ الله، فإنَّه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله " .

وقال: " من أصاب من ذلك شيئًا فستره الله عليه فهو إلي الله عز وجل إن شاء

(١) حكمة منع شهادة المرأة في جرائم الزنا متعدّدة: منع الثرثرة وانتشار الأقاويل، وأهم من ذلك تجنّب حياء المرأة من مساءلة القاضي والدفاع في التفاصيل المطلوبة لإثبات صدق الشهادة وإلا تعرضت لعقوبة القذف، ثم لا يخفى ما يثور في محيطها هي من تساؤل عن كيفية تمكّنها من دقة الروية ؟ .

غفر له وإن شاء عذبه". وعن الشافعي: "نحن نحب لمن أصاب حداً، يستتر وأن يتقى الله عز وجل ولا يعود لمعصيته".

ثم طالب الدين الناس بتجنب الشهادة في هذا اللون من الأفعال الامتناع عن التبليغ عن مرتكبي هذا الفعل، بل وجعل الكتمان أو التستر عملاً صالحاً يكافئه الله عليه: "من ستر علي مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة" حديث. وعن ابن ماجه عن ابن عباس عن رسول الله: "من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه في بيته".

ولا أدري ما الذي يغري مسلم بالتبليغ عن واقعة جنسية وهو إن اضطربت شهادته أو تناقضت مع شهادة واحد من ثلاثة آخرين، تعرض للجلد والتشهير ورفضت شهادته بعد ذلك علي جميع مستويات التقاضي. وإن ثبتت شهادته كان ذلك "بشري" له بأن الله سيفضحه في بيته !!

لا أظن أن أحداً يفعلها إلا إن كان من هواة الشر والشغب والذين يحبون أن تشيع الفاحشة، ولذلك تلمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه براءة "المغيرة" بما توسمه من صلاح الشاهد، ولا بد أنه أدرك أن تطوع هؤلاء بالشهادة يخفي أهدافاً سياسية تتعلق بخلافهم مع المغيرة أو السلطة أكثر مما هو غيرة علي الحرمات أو فهماً للدين.

ثم يأتي حض السلطة علي تلمس إسقاط العقوبة بكافة الوسائل، ومنها إغراء المتهم بالانكار أو طرح شبهة كأن، يقول بأن الفعل لم يقع تماماً.. إلخ... وعن عائشة: "ادروا الحدود بالشبهات عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن السلطان لنن يخطئ العفو خير من أن يخطئ بالعقوبة".

وهذا ما جعل بعض الفقهاء يقولون: "إن عقوبة الزنا، عقوبة قصد بها الزجر والردع والإرهاب أكثر مما قصد بها التنفيذ والفعل" (١) ومعهم حق فنحن أمام



عقوبة لا تطبق إلا علي " معترف " يتحدّي السلطة ويصر علي اعترافه، ويُطالب بتنفيذ القانون فيه... شخص قرر أنه لا يستحق الحياة، وجاء يستعدي السلطة علي نفسه... ولكني أفضل لو قلنا أن العقوبة القاسية قصد بها " التبغيض " وإبراز مدي بشاعة الجُرم، ومدي استنكار الدين له، حتي أن مرتكبه تسقط حرمة، ويسقط حقه في الحياة، فهي أكبر من الحياة، لأننا لو قلنا إنها عقوبة لم يقصد بها التنفيذ والفعل، استدلالاً من القيود الهائلة التي تُبطل التنفيذ العملي، أو كما قال سيد سابق: " فاشترط المشرع شروطاً يكاد يكون من المستحيل توافرها ". فإنَّ حكمة الزجر والردع والإرهاب تنتفي، فالعقوبة قصد بها ردع النفس المسلمة وإبراز أن زنا المحصن امتهان للنفس وامتهان للشريك وخيانة وغش لطرف ثالث، فهو جريمة لا تليق بكرامة إنسان حرّ، رجلاً كان أو امرأة .. وهذه هي الفاحشة.

فالمُشرع يعتبر " إشاعة الفاحشة " أخطر من " الفاحشة " ذاتها، فهو يودّ لو لم تقع " الجريمة " ويودّ أيضاً ألا تنفذ عقوبة .. ولذلك كان التحذير من رمي المحصنات ومن إشاعة الفاحشة أقوى، بل وبداية التشريع.

وهذا عن جرائم الزنا " بتعريفنا " **أما ما دون الوطء فيُستحسن التغاضي عنه حتى من قبل السلطة** وبعد إبلاغه إليها وخاصة إذا كان من طرف الفاعل.

قال رجل لرسول الله: " إنّي عالجت امرأة من أقصى المدينة فأصبت منها، دون أن أمسّها، فأنا هذا فأقم عليّ ما شئت. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ستر الله عليك لو سترت علي نفسك " (تأمل!) ولم يردّ النبي - ص - شيئاً فانطلق الرجل فأتبع النبي رجلاً فدعاه فتلا عليه: " وأقم الصلّاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " (هود: ١١). فقال له رجل من القوم يارسول الله أله خاصة أم للناس عامة؟، قال: للناس عامة (١).

واستدل الشيخ " سيد سابق " من ذلك علي أنه: **" إذا كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبية فيما دون الفرج فإنّ ذلك لا يوجب الحد المقرّ لعقوبة الزنا وإن اقتضى التعزير "**.

" وسئل عليّ بن أبي طالب: لي ابنه عم أهواها، وقد كنت نلت منها  
!؟".

فقال: إن كان شيئاً باطنياً ( يعني الجماع ) فلا .. وإن كان شيئاً ظاهراً  
( يعني القبلة ) فلا بأس !!! .  
( حرفياً من موسوعة فقه عليّ بن أبي طالب عن ابن أبي شيبه ).

ولا أظن أن الشباب يتجاوز هذا، فيما يحدث في العربات، أو أثناء  
المذاكرة أو حتى في دور السينما أو في خلوة مختلصة سريعة بفعل  
الرغبة وفورة الشباب والعاطفة، والله غفور رحيم.. فإن أتاحت الخلوة  
" الشرعية" وتأكّدت النية والفرصة للطرفين لفعل الوطء. فما من سبب  
يحول دون إتمام ذلك بالزواج ولو فيما بينهما. والزواج العرفي معروف  
ومشهور ( وإن إتجه الرأي الآن لكراهيته فليسوء استخدامه، ولما ترتب  
عليه من مشاكل وإهدار لحقوق المرأة. ثم هو إذا حرمه القانون صار  
ممنوعاً. ) بل وبعض الشيوخ افتوا بزواج المتعة في بلاد الغربية وأنا  
أميل لرأيهم.

وقبل أن ننتقل لحديث العقوبة، نقول إن الإسلام الصالح لكل زمان  
ومكان، يُثبت اليوم أن العقوبة لم تكن خيالية، إذ يمكن أن يأخذ المشرع  
يوماً بقبول الصورة أو الشريط السينمائي وتأكيد أربعة خبراء أن ما جاء  
به هو فعل الوطء الكامل، كما يجوز إثبات الزنا بالحمل مع استحالة  
نسبته للزوج، أو بتحليل دم الطفل .. إلخ ما يمكن أن يكتشفه العلم .. .

## في عقوبة الزنا:

وعقوبة الزنا كما قلنا هي الرجم والجلد، الأولي بالسنة والثانية بالقرآن قال الله تعالى:

" وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا " (النساء ١٥).

ففي البداية كانت عقوبة النساء هي تحديد الإقامة هي المنزل، مع وقف المعاشرة الزوجية - علي الأرجح - ويقول الشيخ سيد سابق إن العقوبة كانت أولاً الإيذاء " وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاَدْوَهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا " (النساء ١٦). ثم تدرج ذلك إلي الحبس في البيوت وذهب إلي القول: أي والنساء اللاتي يأتين الفاحشة وهي السحاق الذي تفعله المرأة مع المرأة فاستشهدوا عليهن أربعة من رجالكم فإن شهدوا فاحبسوهن في البيوت بأن توضع المرأة وحدها بعيدة عن من كانت تساحقها، حتى تموت أو يجعل الله لها سبيلاً إلي الخروج بالتوبة و " الزواج المغني عن المساحقة ".

وفي موضع آخر قال إن الآية يُقصد بها اللوطين والسحاقات، وهذا علي آية حال يعني أن اللواط والسحاق إذا كانت قد وردت لهما عقوبة في القرآن فهي الإيذاء مع إتاحة الفرصة للتوبة والصالح فلا يمكن أن يصل الإيذاء إلى حد القتل كما أفتى البعض إذ ليس بعد القتل توبة ولا إصلاح.

ثم نزلت آية: " الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشُهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ " (النور ٢).

ويُنسب لرسول الله - ص - قوله عند نزول الآية: " خذوا عني .. خذوا عني .. قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ".

وذهب " سيد سابق " إلي أن الله قد جعل لهن بهذه الآية سبيلاً يُخَلِّصهنَّ من انتظار الوفاة في البيت!!.

والحديث المنسوب لرسول الله يحتاج لتأمل، إذ لا يمكن أن يكون الرجم سبيلاً لخلاص امرأة محددة إقامتها؟! فالحياة أفضل سبيلاً من الموت. والأمل في التوبة أو ثبوت البراءة أكبر مع استمرار الحياة.

أما الموت فبئس السبيل. كذلك فإن الرسول لم ينقذ ما ورد بالحديث فهو صلوات الله عليه لم يجمع الجلد مع الرجم. وإنما الذي جمع هو علي بن أبي طالب.

أما " سيد سابق " فيفهم من تعليقه أنه يتحدث عن " الجلد " فهو السبيل المخلص من انتظار الوفاة بالبيت.

وقد ثار الشك في نفوس المسلمين حول مصدر التشريع في عقوبة الرجم في صدر الإسلام. مما جعل عمر يقول أو يُنسب له القول. فعن ابن عباس قال خطب عمر فقال:

" إنَّ الله بعث محمداً - ص - بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ورعيناها ورجم رسول الله - ص - ورجمنا. وإني خشيت إن طال زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله تعالي فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالي فالرجم حق علي من زني من الرجال والنساء إذا كان محصناً وإذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف. وأيم الله لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله تعالي لكتبتها".

أما الآية المنسوخة، تلك التي يتحدث عنها، قد وردت عن أمامة بن سهل عن خالته العجماء وعن أبي بن كعب: " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة ". وأول ما يتبادر إلي خاطري أن هذه ليست آية قرآنية ولا يمكن أن يقبلها من له حسّ قرآني!!!، ولكني أقول لكي لا نطعن في شهادة خالته العجماء وأبي بن كعب - وإن كنت قد لاحظت أن رواية ابن عباس عن عمر لم تتضمن الآية - أقول إن من إعجازه سبحانه وتعالى أن الآية التي تنسخ تفقد جرسها القرآني أو موسيقاها!!!، وليس ذلك علي الله بعزیز. أما خطبة عمر فقد كان يمكن أن نحذفها كليّة، لضعف آخرها، وننوه عن منطلق أمير المؤمنين عمر " لولا أن يقال زاد عمر .. إلخ " ! ما أبرده من سبب وأسخفه من قول؟؟؟، معاذ الله أن يصدر عن أمير المؤمنين. أكلّ ما يمنع عمر من الإضافة للقرآن، وإعادة قيد ما نسخ الله، هو مخافة قول الناس؟؟؟؟! وأي عجب أن يقول الناس " زاد عمر " إذا أضاف فعلاً، وإلا فماذا يعني قوله " لكتبتها " إلا الزيادة؟!.

هذه الفقرة لم ترد علي لسان عمر ولا ابن عباس، بل هي زيادة مستزيد لا يخشى أن يقول الناس عنه " زاد في خطبة عمر "!!!!.

فإذا سلّمنا بجوهر الحكاية فإننا نستخرج منها الآتى:

■ الآية كانت موجودة وهى التى تنصّ علي رجم الزاني والزانية، ولكنها نسخت أي حُذفت من القرآن، حذفها الله سبحانه وتعالى، وعلي هذا إجماع المسلمين .. وإن قالت أغلبيتهم بأنّ حكمها بقي .. ودليلهم فعل رسول الله.

■ ونفهم أيضاً من خطبة عمر رضي الله عنه، أنّ من حق المسلمين، أن يقولوا الرجم لم يرد في القرآن، فمن حقنا إبطاله، لأنّ عمر بنصّ الرواية قال: " أخشي إن طال زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى .. إلخ " فرغم ثبوت السنة بالرجم، إلا أنّ أمير المؤمنين عمر رأي، في عدم وجود نصّ قرآني، حجة يستند إليها من يدعو لإبطال العمل بهذه السنة. وهو قول شديد الأهمية ويحتاج لتدبر. ومن ثم حرص علي التأكيد بأنّها " فرض " من الله سبحانه وتعالى ورد في القرآن، وإنّ نسخ النصّ.

■ وقد ذهب الخوارج وبعض المعتزلة هذا المذهب الذي خشاه عمر بن الخطاب فقالوا بأنّ الرجم غير واجب، وحجّتهم أنّه لم يُذكر في القرآن. وعلق سيّد سابق علي ذلك بأنّه باطل، وهو يقصد طبعاً أنّ السنة ملزمة، ولكن الرواية المنسوبة لعمر، تشير إلي أنّه لم يذهب هذا المذهب، وإلا لاكتفى بتأكيد السنّة، ولم يخف أن يقول قائل بإبطال الرجم لأنّه لم يرد في كتاب الله .. وكل الذين يركّزون اليوم علي الآية التي سُخت ينطلقون من نفس المنطلق.

■ ونحن نتساءل عن تفسير لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " إجلبدها بكتاب الله وإرجمها بقول رسول الله، وفي رواية " بسنة رسول الله " وذلك عندما جمع بين الجلد والرجم.

لماذا لم يقلّ علي بن أبي طالب: " وإرجمها بحكم الله "!!!?  
لماذا فرّق بين مصدر التشريع، فنسب الجلد إلى الكتاب والرجم إلى السنّة؟!!!! .

إلا لأنَّ هذا هو الواقع فعلاً، فالرجم لم يرد في كتاب الله ولا أمر الله به سبحانه وتعالى مباشرة وبصريح اللفظ.. .

وإذا كانت الآية قد نُسخَت وبقي حكمها - كما تقول الأغلبية - أكان ذلك يُخفي عن علي بن أبي طالب شيخ الفقهاء وأولهم بإجماع الأمة؟؟ أو كان يُعجزه التعبير عن هذا المعنى وهو سيّد البلاغة؟! .. ولماذا ندور كالدبور وقد وضّحها أمير المؤمنين بأوضح ما تكون الألفاظ: "الجلد من كتاب الله والرجم سنّة" .. .

ولعل هذا هو ما استند إليه بعض الفقهاء في قولهم إنَّ الرجم هو نسخ للكتاب بالسنة.

وعقوبة الجارية نصف عقوبة الحرّة قال الله تعالى: " إِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (النساء ٢٥).

فلو قلنا أن حدّ المحصنات هو الرجم فكيف ينتصف هذا الحدّ؟ ألا يوقنا هذا السؤال في حيرة أمام النصّ الواضح؟!.

وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود والحسني والنخعي ومالك والأوزاعي وأبو حنيفة والشافعي رأوا " أن حدّ العبد والأمة خمسون جلده بكرين كانا أو ثيبين ". ألا يعني هذا أنهم قضوا بنصف العقوبة "؟!.

وذهب بعضهم إلى جلد الأمة مائة جلدة إذا لم تحصن والاقتصار علي خمسين إذا أحصنت؟! لكي ينسجم مع حكم الآيتين، الأولى لما ورد بها من تعميم الزاني والزانية فاجلدهما مائة جلدة. والثانية بالتخصيص! وهو تناقض من أصحاب هذا الرأي إذ تصبح عقوبة الثيب أو المحصنة أقلّ من عقوبة البكر؟!.

علي آية حال، يبقى السؤال: إذا حكمتم بأن نصف العذاب علي المحصنات - خمسين جلدة، فإنَّ المنطق والفهم والحساب يجعل العذاب

الكامل = مائة جلدة وليس الرجم. وسبحان من لا ينطق وحيه عن الهوي.

ويبقى من حقتا أن نتساءل، ومن حق الله علينا أن نتفكر: لماذا نسخ الله الآية؟ .. لماذا نسخ العزيز الحكيم، آية الرجم من القرآن ومحاها محوًا من كتابه الكريم؟ بل محاها من قلوب الناس، فإن كان هذا النصّ الركيك، فقد نسخ حرفها وجرسها وبيانها، حتي جاءت غريبة تنكرها أذن المسلم؟.

لقد أشبع القدماء قضية حدوث النسخ بحثًا .. ألم يحن الوقت لأن نتفكر في سببه؟! (١).

(١) مدرس بإحدى الكليات هاجمني في كتابه الذي لا يقرأه بالطبع إلا البؤساء الذين سيمتحنون فيه، وقال إنني " كصحفي " أيجوز أن أكتب في هذه القضايا، وقد أخطأ في اسم كتابي هذا وقال إنني أرمي من وراء ذلك إلي إضعاف الحكم الشرعي تمهيدًا لإلغائه بدعوي أنه لم يثبت بالقرآن ". ورغم قلة علمه وسوء أدبه فهو نفسه يحس أن عدم ورود النصّ في القرآن يعطى حجة لإبطاله".



## الجنس من الظاهر

فإذا انتقلنا إلى بحث أنواع الجنس الأخرى، غير الجماع بين الرجل والمرأة، فإنه تجدر الإشارة إلى ما يقوله علماء النفس " عن تطور إحساس الإنسان الجنسي، أو طلبه للذة الجنسية عبر ثلاثة اكتشافات، خلال نضوجه البيولوجى والنفسى وهي:

جسده ...

الجنسية المثلى.....

ثم اكتشاف الجنس الآخر...

ونحن لن نخوض فى مناقشة صحّة أو خطأ ذلك، ولا مدى صوابية تعميمه، فهذا أمر خارج نطاق البحث. ولكن نناقش الأفعال الجنسية المحتملة في كلّ حالة، من الحالات الثلاث. وما يمكن أن يترتب عليها من حدود، وما ورد فيها من نصوص، وآراء .. ومن ثم ما الموقف الإسلامى منها ..

## جلد عميرة

وأول مرحلة هي - كما قلنا - استحداث اللذة من ذات الجسد، ويتبادر إلى الذهن علي الفور مايسمّيه العرب " جلد عميرة"، وهو معروف لدى الذكر والأنثى، ويطلق عليه العلماء " الإستمناء" والتسمية الشائعة هي " العادة السريّة" وهي تسمية قبيحة ونحب أن نحدده بأنه: كل حالة قذف يحققها الذكر أو الأنثى

---

بدون الجماع ( الشائع أن الأنثى لا تقذف، والمقصود هنا، هو وصولها إلي منحني النشوة، كما يحدث للذكر ولو دون خروج سائل ملحوظ، وهو ما يميز الذكر، ولكن منحني الأنثى شديد الوضوح وإن كانت دراسات حديثة تشير إلي وجود قذف عند المرأة، إلا أن هذا ليس المهم. فما نتحدث عنه هو وقوع الاستفراغ .. أو قضاء الشهوة، فإذا تم بين الإنسان نفسه، أي بدون اشتراك طرف آخر، فهو هذه العادة السرية، أو الإستمناء أو جلد عميرة .. أما الحالات الأخرى التي يتم بها القذف أو الاستفراغ بمشاركة الطرف الآخر دون الجماع، فأحكامها متعددة وهي ما تندرج تحت الاصطلاح الإسلامي الجميل " الملاعبة " وبالاصطلاح الغربي الغليظ Oral sex .. الجنس الجاف .. أو الشفهي ..

وأول ما يرد علي خاطر بالنسبة " لجد عميرة " أو العادة الجنسية هو سؤال أو بالأحرى نكتة لا يفهمها من قست قلوبهم: **إذا كان قد أبيع لنا نكاح ما ملكت اليمين .. لماذا لا نكح اليمين ذاتها .. !؟**

لقد حرمت التوارة، جلد عميرة أو " الإستمناء " انطلاقاً من قصة " إينوس " الذي ضنذ بمنيه علي أرملة أخيه التي تزوجها رغماً عنه بموجب شريعة اليهود، التي تفرض علي الأخ، التزوج من أرملة أخيه، ولكنه كرهه أن تنجب منه، فكان يهدر منيه علي الأرض بالإستمناء. فالأصل في الاستنكار هو إهدار المنى. ولا شك أن الإهدار المتعمد مستنكر من ناحية نتائجه الإجتماعية والديموغرافية أو الحضارية خاصة الإهدار المتضمن نزعة عصرية، ولكن في حالة المراهقين غير المتزوجين وغير القادرين علي الزواج أو الصوم الدائم، فإن الإهدار محتوم، ولعل أكثر صورة طهارة أو بعداً عن الشبهات، هي حالة الاستكفاء الذاتي هذه، فلا إهدار، ولا فاحشة، لأن الفاحشة لا تتم إلا بالمشاركة أو المجاهرة، أو بهما معاً .. كذلك لو تصورنا حالة زوجية يتعذر فيها الإخصاب مثل فترة الحيض، أو الحمل، أو مرض الزوجية، أو المفارقة المؤقتة، فإن اللجوء إلي جلد عميرة يُبقي الرجل عند حدود الحرمات، ويجنب أبا عميرة نفسه ارتكاب معصية قد تفضي إلي جلده هو.

وقد قال الحنابلة عن الإستمناء: " إذا استمني الرجل خوفاً علي نفسه من الزنا، أو خوفاً علي صحته، ولم تكن له زوجة، أو أمة، ولم يقدر علي الزواج فلا حرج عليه ". وقال الأحناف بوجوب الإستمناء إذا خيف الوقوع في الزنا. وقالوا: " لا بأس به إذا غلبت الشهوة، ولم يكن عنده زوجة أو أمة، واستمني بقصد تسكينها".

وقيل مسّ الرجل ذكره بشماله مباح بإجماع الأمة كلها .. أما الإستمناء فلم يرد فيه تحريم، وأباحه ابن عباس والحسن وبعض كبار التابعين. وقال الحسن: " كانوا يفعلونه في المغازي "، وقال مجاهد: " كان من مضى يأمرون شبابهم بالإستمناء .. يستعفون ذلك ".  
وحكم المرأة مثل حكم الرجل فيه.

أنظر كيف كان من مضى أكثر تسامحاً، وأكثر فهماً لروح الإسلام، وأكثر قدرة علي تفهّم احتياجات الإنسان، وكيف يجار الآن داعية مكبوت من فوق المنابر يحذر الفتيان من العادة السرية - وهو مصطلح غربي منحدر من الديانة اليهودية - المسيحية - وتأمل أنهم أباحوا ذلك في زمن كان يمكن فيه للمراهق في سن الثالثة عشرة أن يمتلك جارية يفرغ معها شهوته، بينما يحرمونه الآن علي شباب يعيش في أوروبا وأمريكا بلا زوجة ولا جارية حتي مشارف الثلاثين ..

### التفخيز والمص

وأذهب إلي القول بأن مساعدة الزوجة لزوجها في التخلص من التوتر بغير الوطء، تجعل العملية أكثر حلاياً، وأقل شبهة، وأكثر صحية. وإذا كان عليه الصلاة والسلام قد مارس مع زوجاته أو مع عائشة بالتحديد، أنواعاً من الجنس غير الوطء، مثل حديث كان يأمرها أن تأتزر إذا جاءها الحيض ثم يباشرها، أي من الخارج، أو كما ورد في إحدى الروايات " كان يفخذ لها ". فهذا دليل صريح علي مشروعية ما يسمي في الغرب " بالجنس الشفهي "، أي الوصول إلي الإشباع بغير الإيلاج أو الوطء. وما وصل إلينا من سنته صلوات الله عليه، ما هو إلا المؤشر، أو المبشّر الميسر علي الأمة، فهو ليس أكثر من رمز، ولا يتصور أن ترد

الحالات علي سبيل الحصر. وليس لنا أن نحرم ما لم يحرم علينا، فكل ما يسبق الجماع أو حتى يحل محله مثل التقبيل والمص، والتفخيذ، والإستمناء للرجل بواسطة الزوجة، واستفراغ الزوجة أو استنزالها بغير وطنها، كله مباح، ومستحب. بل قد نهينا عن الواقعة - أي الجماع - قبل الملاعبة، وقال الرسول للذي أراد الزواج: " فهلا بكر تلاعبها وتلاعبك " ويذهب البعض إلي أن الملاعبة قبل الجماع فرض بنص الآية: " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (البقرة ٢٢٣) والملاعبة وإن أفضت غالباً إلي الجماع، إلا أن ذلك ليس ضربة لازب ولا نتيجة محتومة في كل مرة، فقد تنتهي الملاعبة بالحرث في البحر، وقد تكون هدفاً في حد ذاتها، دفعاً للسأم أو من باب التغيير، أو لزيادة الألفة والمحبة، وبحثاً عن مزيد من المتعة، أو في وقت لا تكون الأرض فيه صالحة لا للبذر ولا للحرث. **فأقبل يا أخى المسلم وأدبر واستمتع كما شئت في حالك واتق الحيضة والدبر أصلحك الله ..**

### الوطء في الدبر

وهذا ينقلنا لحديث الوطء في الدبر، وإن كنا من الرأى الذى يستكره .. إلا أننا نحب أن نعرض وجهات النظر المختلفة:  
**وأولها أن إتيان المرأة في دبرها، لم تشرع له عقوبة، ولا عُرف عن رسول الله أنه عاقب أحداً عليه، واختلف الفقهاء حوله، فمنهم من أباحه، إذ نسب إلي ابن عمر تفسيره لآية: نساؤكم حرث لكم بقوله: " أتدرى يانافع فميم نزلت هذه الآية، قال: لا .. قال في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها، فوجد من ذلك وجداً شديداً فأنزل الله سبحانه: نساؤكم حرث لكم "**

وقد يتساءل البعض إذا كان ما ذهب إليه المفسرون الآخرون، من أن " أنى شئتم " .. تعني كيف شئتم .. فكيف استنتجوا منها أنها تعني " أي وضع ما عدا الدبر " .. والتفاسير التي وردت حول نزول الآية تطرح أسئلة كثيرة .. فهي تدور حول افتراض أن اليهود يحرمون وطء المرأة من الخلف، أي وجهاً لظهر، وفي حديث عمر: " يا رسول الله ... هلكت .. قال وما أهلكك .. قال حولت رحلي البارحة "

فلم يردّ عليه النبي، فأوحى الله بالآية: " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (البقرة ٢٢٣)

أولاً: اليهود لا يحرمون وطء المرأة من الخلف، وإن كان آباء الكنيسة في زمن متأخر، اعتبروا وضع الاستلقاء علي الظهر، وافتراش الرجل لها، هو الوضع الشرعي، إلا أنّ الحقيقة المؤكدة، هي تحريم اليهود لوطء المرأة في الدبر وكذلك المسيحية، والفكرة الأساسية هي كراهية إهدار المنى. وكراهية البحث عن اللذة غير مقترنة بالهدف الإلهي، وهو التناسل في مفهوم الآباء الأوائل، ثم تقديس " الوضع الطبيعي " من احترام الطبيعة عند الفلاسفة المسيحيين .. وعلي سبيل المثال فإنّ تعبير Sodomy في ولاية فرجينيا الأمريكية يشمل بالتحريم ليس فقط اللواط، بل يشمل أيضاً الجنس الجاف أو اللوطء في الدبر بصرف النظر عن جنس الفاعل والمفعول معه. وقد أدان سان أوغسطين الجنس الجاف وكافة أشكال الجماع التي لا تكون فيه المرأة متلقية علي ظهرها، وتحت الرجل، أو التي لا تحقق الإيلاج في فرج الأنثي ( اللواط تاريخ ص ٢٦).

الإل أن الاستشهاد باليهود في تفسير الآية والحديث، يعزز الرأي القائل بأنّ الحديث كان يدور حول الإتيان في الدبر ولا نرجح القول بأنّ عمر بن الخطاب " رضي الله عنه قصد بقوله " حولت رحلي " أنّه غير وضع الجماع ولكن في نفس الموضع .. فالتعبير " حولت رحلي يوحى بتغيير الموضع، وليس فقط الوضع .. والعرب كانوا يستخدمون شتي الأوضاع، حتي أنّ مسيلمة الكذاب في الشعر المنسوب إليه يُغري " سجاحا " المتنبة بقوله: فإن شئت سنلقاك وإن شئت علي أربع .. وعلي أربع هو الإتيان من الخلف .. وموافقة المرأة في قوله: " وإن شئت... " .

ولكن يبدو أنّ المفسرين استفظعوا نسبة ذلك إلى عمر - حتى قبل التحريم - رغم الرواية التي تقول أنّه جاء يصرخ: " هلكت يارسول الله .. " .

وسكوت رسول الله لأنه لم يجد له من عنده مخرجًا .. أو مايقطع بعدم  
هلاكه فيبشّره به .. بل انتظر حتى يفصل الله سبحانه وتعالى في الأمر!!!

يُعقل أن يكون كل هذا التحرّج من أجل وضع خاصّ تمتّ به المجامعة  
الشرعية في المحل المعتاد بين زوج وزوجته؟!!!.

ويمكن أيضًا القول بأنّ أحاديث الوطء في الدبر طعن في معظمها،  
فحديث أبي هريرة: " ملعون من أتى امرأة في دبرها " ورد في إسناده  
ابن مخلد وهو " لا يُعرف حاله ". وحديث أبي هريرة: " من أتى حائضًا  
أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل علي محمد " في  
إسناده أبو تيمية وعنه قال البخاري " لا يعرف لأبي تيمية سماع من  
أبي هريرة ". وقال البزاز: " هذا حديث منكر " وفي إسناده حكيم بن  
الأترم، وهو " لا يُحتج به " وحديث خزيمية بن ثابت أن النبي " نهى أن  
يأتي الرجل امرأته في دبرها " في إسناده عمر بن أصبحة وهو مجهول.

ولكن ورد في حديث عمرو بن شيب قال النبي عن وطء المرأة في  
دبرها هو " اللوطية الصغرى " ولاحظ أنّ اللوطية الكبرى ذاتها لم يُشرع  
لها لا في القرآن ولا السنة حدّ. كذلك حديث: " أقبل وأدبر وإتق الحيضة  
والدبر " ذكره أحمد والترمذى ..

وقال صاحب " الفقه على المذاهب الأربعة ": **اتفقت كلمة علماء  
المسلمين على من أتى، امرأته أو أمته في دبرها وترك القبل فلا يُقام  
عليه حدّ،** حيث لم يرد من الشارع الحكيم حدّ في هذه الحالات. وذهب  
الشيخ " سيد سابق " إلي أنّ الشافعية يرون شبهة في وطء المرأة في  
الدبر، **الشبهة المبطلّة للحدّ ( هذا وليس في القرآن ولا السنة حدّ لهذا  
الوطء )** قال الشيخ: " الشافعية يقسمون الشبهة التي تُبطلّ الحدّ إلي  
ثلاثة أقسام: شبهة في المحلّ، أي محلّ الفعل، مثل وطء الزوجة  
الحائض. أو الصائمة أو إتيان الزوجة في دبرها. فالشبهة هنا قائمة في  
محلّ الفعل المحرّم،

إذ أن المحلّ مملوك للزوج ومن حقه أن يباشر الزوجة - وإذا لم يكن له أن يباشرها وهي حائض أو صائمة، أو أن يأتيها في الدبر - إلا أن ملك الزوج للمحلّ وحقه عليه يُورث شبهة، وقيام الشبهة يقتضي درء الحدّ، سواء اعتقد الفاعل بحلّ الفعل أو بحرمة، لأنّ أساس الشبهة ليس الاعتقاد والظنّ، وإنما أساسها محلّ الفعل - وتسلب الفاعل عليه شرعاً " ( وهذه الفتوى تنطبق أكثر علي سائر " المحلّات " الأخرى في جسد المرأة، والتي لم يرد فيها أي نصّ ج ).

وفي رأينا أن النصّ الذي يُستفاد منه التحريم ليس آية " نساؤكم حرث لكم .. " .. وإنما " فاتوهن من حيث أمركم الله " . وإنّ تجنّب القرآن التحديد الصريح، إلا أنّ المعني مفهوم .. **غير أنّه لا حدّ علي من فعله لا في القرآن ولا في السنة، بل حتّي إن وجد هذا الحدّ من القياس ( عند من سمّوه اللوطيّة الصغرى ) فهو مدروء بشبهة الملكيّة للمحلّ ( بين الزوجين طبعاً ) وهو علي آية حال ممّا يجري بين المرء وزوجه، ما لم يقع فيه الغتصب والإكراه، فلا سبيل لوصوله إلي علم القضاء. وهو في اعتقادنا فعل غير مستحب، ليس انطلاقاً من مفاهيم التوراة والكنيسة التي لا ترى للجنس سبباً أو مبرراً إلا الإخصاب، فنحن نذهب إلي أنّ اللذة الجنسيّة هدف في حدّ ذاتها ومباحة شرعاً في الإسلام بلا أدنى شبهة، ولا تحرّج ..** ولكن هذا الفعل يُعطي المرأة حظاً أقل من المتعة التي تستحقها، والمؤهلة لها بالجماع الفطري، وقد تكون له مضاعفات جانبية من الناحية العضوية أو النفسية، والعامّة في مصر يرددون قولاً بذيئاً ولكنّه يحتوي علي قدر من التجربة الصادقة (١).

### الجماع في فترة الحيض:

أمّا عن الحيض فأقول إنّه يُوجد شبه اتفاق عام بين الجنس البشري علي كراهية الجماع في فترة الحيض، وربما تكون من حيل الطبيعة التي تريد تركيز الجماع في فترة الإخصاب، والحيض ليس منها، وربما يتكشف العلم عن ضرر غير واضح الآن، والأخطار التي يحملها الدم تتكشف كل يوم عن أمراض عجيبة، وآخرها هذا الميكروب الذي يسلب الجسم مقاومته فيصبح سهل المنال، لأية جرثومة،

(١) وهو قولهم: عايز تغيظها .. الخ ولا حياء في الدين أو العلم.

تعبت فيه كما شاءت .. أفلا يجوز أن يكون ذلك وقاية للرجل مخافة أن يكون به خدش بسيط فيتلوّث بهذا الدم المتدفق وينتقل إليه ما قد يكون بدم المرأة من أمراض أو فيروسات كامنّة؟! أو حتى من أجل المرأة التي لا تكون في أحسن حالاتها فترة الحيض، ولا أظنّ أنّه يطيب لها حالة الرجل الغارق في الدم والملطخ به...

ولا أظنّ أن القائلين بشهوة البعض للجماع في فترة الحيض لما يزعمون من حرارة ولزوجة، ولا أظنّهم يقولون ذلك عن صدق أو تجربة وإلتما عن مكابرة ومعاذرة، ولمجرد شهوة تتحدّي المحرّمات التي تبدو لهم غير مفهومة الأسباب.

علي آية حال، لقد اكتفي القرآن بقوله: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَىٰ فَأَعْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " (البقرة ٢٢٢).

**فهو لم يصفه بأكثر من أذي ولم يقل نجس**، أمّا الحضارات الأخرى فقد أسرفت في كراهية الحيض، وبالتالي المرأة في الحيض، وتقول " تاناهيل مؤرّخة الجنس " إنّه حتّى القرن التاسع عشر كان الأطباء الأوروبيون يعتقدون أنّ لمسة المرأة الحائض تُعفن لحم الخنزير! "

أما وقد وسّع الله عليكم - يا أخي المسلم، وأختي المسلمة - في فترة الحيض، بغير الجماع، من أسباب اللذة، فلماذا اللجاجة، وهي فترة أيام ليس إلا.. تستمتعان فيها بريادة أفاق جديدة في الحلال؟ (١).

(١) لاحظ أنّ الوطء في الدبر، والحيض، قضايا أثّرت من جانب المسلمين بسؤالهم للنبي، وذلك نتيجة احتكاكهم باليهود في المدينة، وربّ قائل: لو لم يسألوا ما حرّمت! ولكن الإيمان يفترض أنّ السؤال فد طرح بإرادته تعالس.



## اللواط

### الإشتهاء الجنسي لنفس النوع:

وننتقل الآن إلى علاقة متفق علي شذوذها واستنكارها، وهي الجنسية مع المثل، أو الشذوذ الجنسي.. أي ممارسة الجنس مع نفس النوع، الذكر مع الذكر، وهو ما يُعرف عندنا باللواط، والأنثي مع الأنثي، وتسميه العرب " المساحقة " وهو فعل جنسي مخالف للصيغة التي يتم بها تكاثر الأنواع.

وهو عند علماء النفس، يُوجد بمُجرد الإشتهاء، وليس بالضرورة إتيان فعل مُعيّن، ولا حتي وقوع الإتصال أو المصارحة، إنما مُجرد الإشتهاء الجنسي لشخص من نفس النوع، يعني وجود حالة شذوذ جنسي.

ولم يصل العلماء - حتي اليوم - إلي رأي نهائي في أسباب هذه الظاهرة، إلا أننا نحاول أن نحصر مُجمل الآراء في هذه التفاسير:  
الذين يرونها ظاهرة طبيعية موجودة في كل إنسان تنتظر ظروفًا خاصّة لتُعلن عن نفسها، فإن لم يُتح لها ذلك ظلت مكبوتة في اللاوعي أو قد تُكبت بظروف مانعة من القانون والتقاليد في المجتمع، وقيم الفرد ومعتقداته. ولكنها موجودة، ومهما كُتبت تُعبّر عن نفسها بصيغة ما، وإن صعب علي غير المتخصّص اكتشاف صيغ هذا التعبير.

---

ودليل هؤلاء أنه ما من مجتمع أو حضارة أو ثقافة قد خلت من تلك الظاهرة مع اختلاف الظروف وتباين الأفكار، سواء في مجتمع يفرض الحجاب علي المرأة ويُعقد الاتصال الجنسي العادي أو في مجتمع يُبيح الاختلاط الشديد إلي حدّ الإباحية بين الرجل والمرأة. ورغم ذلك يُوجد الشذوذ الجنسي، بل لقد لوحظ أنه - أي الشذوذ - ينتشر مع الإباحية الجنسية بعكس ما كان متوقعًا، من الذين نادوا بالاختلاط كوسيلة لمحاربة الشذوذ. فإذ به يكشف عن انتشار أوسع للشواذ.

وقد أخذ بهذا الرأي - اعتبار الجنس الشاذ ظاهرة طبيعية في الإنسان - كلاً من فرويد، وتقرير كنسي الشهير في الولايات المتحدة فهما يران أن الناس يُولدون ولديهم الإستعداد لإشتهاء الجنسيين، ولكن العوامل الإجتماعية تفرض عليهم تفضيل أحد الجنسيين.

وهو نفس رأى الإغريق و الرومان. فقد اعتبرها ارستوفان: " حاجة طبيعية " وقال اكينوفون أنها " جزء من طبيعة الإنسان "، وزعم وتراك " إنَّ عاشق الجمال ينشده حيثما وجده في الأثني والذكر " (١).

وقد زعم تقرير " كينسي " المشهور، أن ١٣ % من الذكور البالغين و ٧% من البالغات هم من الشواذ أي يفضلون نفس الجنس. وأن ٤٠% من الذكور البيض وعشرين بالمائة من البنات مرّوا ومررن بتجربة لواط أو سحاق، بعد سنّ البلوغ. إلا أن الدارسين المعاصرين، وجماعات الدفاع عن حقوق قوم لوط، يشككون في هذه الأرقام الآن. ويقولون إنَّ التقرير نُشر في الأربعينيات، وكان المناخ العام ضد إعلان هذا الشذوذ، لما جره عليهم من متاعب. ويستشهدون بما جرى من مطاردة اللوطيين في الخمسينيات فترة المكارثية. وقالوا أن البعض لا يدري أنه شاذ، والبعض يرفض أن يعترف بشذوذه، ولو بخداع نفسه! والبعض

---

(١) انظر: حوار حول الحب ترجمة هلمس هولند، الناشر: جامعة كمبردج بالولايات المتحدة عام ١٩٦١ صفحة ٤١٥.

يخشى أن يُصرّح حتي ولو كان علي يقين من شذوذه ويُصرّ هوؤلاء علي رفع النسبة في الولايات المتحدة إلي حوالي ٣٠%، وهي نفس النسبة المقترحة لغرب أوروبا.

### هل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل علي النفس البشرية:

وهناك من يرونها مرحلة في التطور الجنسي، فكل إنسان طبيعي، مُكوّن عندهم من شقين، سالب وموجب، أو أنثوي ومذكر، ولكنه بالنمو والنضوج البيولوجي والنفسي، يتغلب فيه أحد العنصرين، ويتراجع أو يضمّر العنصر الآخر. ولذا تمرّ مرحلة يشتهي فيها الصبي اللعب مع الصبيان، ويكره البنات، أو يفرّ منهن، ونفس الشيء، بالنسبة للبنات الصغيرات. ثم يجتاز كل منهما هذه المرحلة ليأخذ إتجاهه الجنسي، الصيغة الشائعة، وهي الميل للجنس الآخر. ولكن بعض الحالات يحدث لها ما يُسمّى بالثبوت، أو التخلّف الجنسي، فتظل في المرحلة التي أشرنا إليها، ولا تتطور، وهؤلاء هم من يُسمّون باللوطية والسحاقية أو الشواذ جنسياً أو قوم لوط أو Gay في المصطلح الغربي الحديث. ولهذا التخلّف أو الثبوت أسبابه العديدة عند أهل هذه النظرية فمنهم من يرجعه إلي خلل في الغدد، ومنهم من يرجعه إلي ظروف البيئة، أو أحداث خاصة في حياة الفتى أو الفتاة في سن التكوين الجنسي. فمن يرى أنّه خلل في الغدد، وأمثلتها واضحة فيما نراه من تبدل ملحوظ في الشخصية المصابة. فهو يحمل اسم ذكر ولكن مظهره العام ومسلكه أنثي، والعكس كذلك. وهذه حالات مرضية تعالج بعمليات تعديل الجنس. ويجمع العلماء هذا التفسير يتناول قطاعاً شديداً الخصوصية، في ظاهرة أكثر شمولاً وتنوعاً. ( وهم الذين عرفوا عند العرب بالخنثي ).

ويرى العلماء أنّ نسبة كبيرة جداً تكاد تكون الأغلبية من اللوطيين والسحاقيات، هم من ذوى الإشتهاء المزدوج Bisexual، أي يمارسن الجنس العادي والشاذ معاً، ومعظم مشاهير اللواط، كانوا متزوجين. وليس هناك ما يمنع السحاقية من الزواج والإنجاب بالطبع، إلاّ إن اشتدّ انحرافها، إلي حدّ كراهية الرجال.

وفي الأدب العربي حديث طويل عما يسمونه " نواسي المزاج " نسبة إلي بيت شعر سخي، منحول إلي أبو نواس " الحسن بن هانيء " والذي يقال فيه علي لسانه أنه بيت ما بين جارية و غلام... إلخ.

وبصرف النظر عن نوعية الممارسة، فإن العلماء يعتبرون الممارس، من اللوطين واللواطيات إذا كانت نشوته أو نشوتها الحقيقية مع الطرف المماثل، حتي ولو كانت تستمتع أو كان يستمتع أيضاً مع الجنس الآخر .. ولا يابهون بمن يدعي " أنه سيان " ولا بالحالات النادرة التي يكون فيها الأمر كذلك فعلاً ..

وهناك من يرى أنها مسلكية دخيلة علي النفس البشرية، يمكن أن تنقرض أو يمكن تفاديها إذا ما أحسنت التربية، ومنعت مسبباتها، وهؤلاء يرون أنها مسلك خلقي وأن المجتمع سيبرأ منها إذا ما عزل أو قمع كل شاذ يعرف، فلا تنتقل إلي الجيل الجديد. فهي تعلم ولا تولد في الإنسان كالتدخين مثلاً .. وهذا رأي جمهرة الأخلاقيين ورجال الدين، وأمير المؤمنين الذي قال: " لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن ما ظننت أحداً يفعله ".

ونقول إن الباحثين لم يجمعوا علي تعليل علمي وإن اعترفوا جميعاً بأنها ظاهرة وجدت في كل المجتمعات بنسب متفاوتة من العلنية، وأنها ظاهرة آخذة في الانتشار في الحضارة الغربية اليوم، إلي الحد الذي يجعل المشرعين وعلماء النفس والاجتماع يميلون إلي إخراجها من دائرة الشذوذ والتجريم إلي الإباحة، لا القانونية فحسب، بل وحتى من ناحية القبول الإجتماعي والأخلاقي. فنسبتها تتجاوز الأربعين بالمائة بين الذكور في بريطانيا وأمريكا، ومعظم الدول الغربية أسقطت عنها العقوبة بين البالغين مع تفاوت في تقدير سن البلوغ ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .. ويلاحظ أن سن الجنس القانونية بين الذكر والأنثي يكون دائماً أقل، مما يؤكد أن المشرع حتي في هذه المجتمعات، ما زال ينظر إلي اللواط أو المساحقة، كفعل غير مرغوب فيه، يتمنى شفاء المواطن منه وذلك بتأخير سن السماح به. فهم في بريطانيا يسمحون للفتى بالزواج وأن يكون أباً

في سن السادسة عشرة، ويعطونه حق الانتخاب، وخدمة العلم في الجيش الامبراطوري من سن الثامنة عشرة، ولكن لا يُسمح له بالشذوذ إلا في سن الحادية والعشرين، عندما يصبح حالة ميؤسة، ويصبح المنع - في نظرهم - سبباً لمخالفات قانونية ومدخلاً لجرائم أشدّ ضرراً علي المجتمع.

### العلاقة بين تلك الظاهرة وأفول الحضارات:

ومن وجهة نظرنا: فهي ظاهرة ترجع إلي هذه الأسباب مجتمعة، وهي تنتشر وتأخذ شكل الفاحشة العامة في مرحلة انهيار الحضارات، أو بمعنى أدق في مرحلة ازدهار الحضارة وترفها، واطمنانها الخارجي، عندما يصل منحنى الصعود إلي نقطة القمة ويبدأ في الانحدار حتي وإن استقر فترة، أو بدا مستقرًا عند القمة.

وهي أيضًا تنتشر أو تبقى منتشرة في المجتمعات التي انهارت حضارتها، وأتيح لها لأسباب غير طبيعية، وسائل الترف، مع فقدان القوة الذاتية، وفقدان الرغبة والقدرة علي الخروج من مرحلة التخلف.

وإذا كنا سنشرح نظريتنا بالتفصيل، إلا أنه تجدر الإشارة إلي رفض " جون بوزول " لهذا التفسير الحضاري. فهو يقول إن اللواط موجود في كل العصور والمجتمعات. وأن الفارق هو فقط، في إباحته، أو تحريمه. ويرفض القول بأنه يظهر في مرحلة الانهيار. فيقول: " إنه خلال القرنين الأولين من عُمُر الإمبراطورية، عندما كانت روما في قمة القوة والنفوذ، انتشرت كتابات الإغريق اللوطيين ". ونحن لا نقول خلاف ذلك. إن الظاهرة لا تشيع بعد الانهيار. ولا هي من نتائج الانهيار، بل هي من علامات الأفول، ومن أسباب الانهيار. وهي تبدأ في الظهور عندها يصل المنحني - كما قلنا - إلي أعلي نقطة. وقد يبقي المنحني ثابتًا في الظاهر، وتبقي الدولة أو الإمبراطورية، أو الحضارة المعنية متربعة علي القمة لعدة قرون، لسبب بسيط، أنه لا توجد حضارة أخرى قادرة علي إزاحتها، أو جاهزة لقبها. ولكن الحضارة السائدة، تتوقف عن النمو والصعود، ومن ثم تبدأ رحلة الانحدار بظهور عوامل الإنهيار، وممارسات الترف، ويعكف مترفوها علي الفسق فيها، حتي يأتي أمر الله في شكل قوة إنسانية أكثر خشونة وأكثر تقشفًا. وظهورها عند وصول الحضارة إلي ذروة تألقها يخدع الدارس، ويجعله

يظن أنها علامة أو حتب سبب التقدم. وهي حقاً قرينة علي التقدم، ولكنها في نفس الوقت مؤشر الإنهيار.

ففي مرحلة الصعود الحضاري، تنتشر القيم التي تحقق القوة، فالعربي، مثلاً، في الأمة الحبلي بالميلاد الحضاري، كان يفخر بأنه والد عشرة وأخ لعشرة وعم عشرة، وخال عشرة . . . وكانت مقاييس الجمال هي التي تطبق علي الأنثي الولودة القادرة علي حسن تغذية وليدها: كبر الصدر وكبر العجيزة ... ذلك أن الصعود الحضاري، يتطلب الكثرة العددية، ويغلب مصلحة الأسرة علي حساب الفرد، والمجتمع علي الأسرة.. ومن ثم يندفع الرجال إلي الزواج للتكاثر ومباهاة الأمم.

ولا تري المرأة لها من مهمة أشرف ولا أسمى من إنجاب وتربية محاربيين وبناءة، عناصر مباهاة الأمم، ولو كان هذا علي حساب متعتها الفردية، ذلك أن سعادتها القومية والحضارية تغطي، وتعوض متاعبها الفردية، بل إن متعتها الفردية تتحقق من خلال هذا التفوق الحضاري . . . ولا توجد حضارة صاعدة، مارست تحديد النسل أو أحببت المرأة العجفاء العاقر، أو استغرقتها المتع والذات الفردية - أو كما في موضع بحثنا - أباحت اللواط، أو تفشت فيها هذه الظاهرة . . .

فإذا ما انتصرت الحضارة علي تحديها، وحققت أمنها القومي، وبدأت في الاستمتاع بنتائج بنائها الحضاري، تغيرت المقاييس ونما الشعور الفردي علي حساب المسؤولية الجماعية، ويتضخم إحساس الفرد بذاته، وحرصه علي زيادة تمتع هذه الذات . . . وتتراجع الرغبة الاستشهادية، أو الاستعداد للتضحية، علي مستوي الجيل الواحد، وعلي مستوي الأجيال، فالجيل الحاضر لا يعنيه ولا يريد التضحية من أجل الجيل القادم.

يسود شعار: أنا ومن بعدي الطوفان، أو ما يتردد في الغرب الآن " هذه حياتي " وهي " حياة واحدة " فلماذا أضحي بها من أجل جيل آخر

..

لا يحبون الادخار، ولا التقتير علي النفس لإعطاء مستوي أعلي من التعليم أو الحياة لأطفالهم إلا في أضيق الحدود، أو إلي الحد الذي لا يسبب لهم متاعب أكبر من المتع التي يتطلعون إليها .. ومن خلال إقناعهم بأنّ الانفاق علي الأولاد " استثمار " جيّد لأموالهم .. بل يتحوّلون إلي كراهية الإنجاب، فيلجأون إلي تحديد الأسرة، وتصبح الأسرة النموذجية التي بها " ولد و بنت " لكي لا ينخفض مستوي معيشتهم، ولكي لا تتبدد حياتهم في تربية الأولاد، وتكفّ الأمهات عن أرضاع أولادهن، لأنّ الرضاعة تفسد الثوب وجمال الصدر. وتنقلب المقاييس بما يخدم هذه الأهداف، فتصبح المرأة الولود مذمومة، والعائلة الكبيرة الأفراد غير حكيمة، بل حتب مقاييس الجمال تتغيّر فيبدأ الإعجاب بالمرأة النحيفة التي لا تستطيع الحمل إلا بصعوبة، ولا صدر لها لإرضاع ابنها أو " الغلامية القد " .. ثم تأتي الخطوة الطبيعية نحو عشق " الغلام " الذي لا ينجب ولا يحمل مسئولية عائلية ولا قومية ولا حضارية .. أي الفردية في قمتها .. ومن هنا فنحن نراها ظاهرة انقراض حضاري.

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده  
ويكاد من شبه العذار ي فيه أن تبدو نهوده.

الحسن المهلبى

وكان المخنثون موجودين ومعروفين في الجاهلية، واستمروا لفترة علي زمن رسول الله في المدينة وكانوا يدخلون علي النساء ويقومون بدور الخاطبة .. ثم اختفى حديثهم صدر الإسلام ليظهروا في ظل الدولة الإسلامية الأولى في شكل الفنانين أو المغنيين كما هو الحال الآن في الغرب. فأول مغن هو " طويس " كان مخنثًا يحلي يديه ويلبس ملاءة مصقولة ويضرب بالدف. وكما نشاهد الآن في الغرب تنتقل الموضة أو الانحراف من الفنانين للشباب ويشتهر بها المحترفون ويتغني بها الشعراء بل تصبح صفة من صفات الطبقة الحاكمة المترفة وعلامة علي الأرستقراطية يقول الشاعر الفاجر:

بأبي طبي كلفت به واضح الخدين والفلج  
مرّبي في ذي خنثٍ ... .. (١)

وقال أبو سويد:  
كان لحبيب بن أوس حمار وحصان وغلام مخنث فإذا نزل أخذ الحمار  
ينهق والغلام يمجن في كلامه (٢).

وكانت مراوح الخلفاء مكتوب عليها:

أنا في الكف لطيفة مسكني قصر الخليفة  
أنا لا أصلح إلا لظريف أو ظريفة  
أو وصيف حسن القدّ شبيهه بالوصيفة (٣)

ونحن مرّة أخرى نخالف " جون بوزول " الذي رفض القول بأنّ  
إباحة الشذوذ تؤدّي إلي انقراض السكان. لأنّ هذا الرأي - يقول - يعني  
التسليم بأنّ لو أبيع الشذوذ لانصرف الجميع وتركوا الجنس الطبيعي!...

ونقول إنّ الاتهام والدفاع كليهما فيه مبالغة شديدة، فصحيح ستبقي  
النسبة الكبرى تفضّل الجنس الطبيعي، فحتي في سادوم وعامورا احتاج  
الأمر لغضبة إلهية لكي ينقرض السكان. وصحيح أنّ نسبة كبيرة من  
الذين يمارسون الشذوذ، إذا استحال عليهم ذلك سيتجهون إلي الجنس  
المعتاد، ومن ثمّ يتناسلون ولو علي حساب لذتهم الحقيقية.. إلا أنّ  
انتشار هذه الظاهرة تكمن فيه رغبة انتحارية، رغبة في الإنقراض،  
كراهية الإستمرار البيولوجي، ومن ثمّ يتمّ تصريف الجنس بلا حرث ولا  
زراعة، وحتي الزارعين يقلّ إنتاجهم، وفي المجتمعات التي ينتشر فيها  
اللواط كظاهرة حضارية، تنخفض نسبة تزايد السكان ليس بسبب  
انصرافهم

(١) العقد الفريد ٧.  
(٢) العقد الفريد ٨ ص ١٣٠.  
(٣) الأغاني ٧.



للشذوذ، ولكن كمناخ عام. وقد أشارت بعض الدراسات إلي انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي في مستعمرات القردة إذا ما ازدحمت بسكانها وضاق المكان بالقردة، أو شحّ الطعام أو حتى ساد القلق بين الذكور ..

الحضارات عندما تصل إلي القمة وتبدأ في الإحذار يكون قد توقر لها الأمن الوطني، أو علي المستوي الجماعي، ولكن ينتشر فيها القلق الفردي. أنظر مثلاً، علو نسبة الإتحار في بلاد آمنة من الناحية الوطنية أمّا شبه مطلق مثل السويد والولايات المتحدة. وانعدام هذه الظاهرة تقريباً في اللاجئين الفلسطينيين أو الكمبوديين.

باختصار، إنّ حضارة صاعدة يُصبح شعارها: الفرد في سبيل المجموع " وزرعوا لناكل فنزرع لياكلوا" ومن " كانت بيده فسيلة وقامت عليه الساعة فليزرعها ". أمّا الحضارة الآفلة فشعارها " غد بظهر الغيب واليوم لي " " لا تشغل البال بما في الزمان، ولا بآتي العيش قبل الأوان .. واغنم من الحاضر لذاته .. " .

وفي الحضارات المنهارة فعلاً: " بيت أبوك خرب خذ لك قالب " .

### **المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط:**

فإذا انتقلنا إلي التطبيق، نقول أنّه لا توجد أيّة إشارة لا من قريب ولا من بعيد في التاريخ الفرعوني القديم للواط. ولا أزعّم أنني قد درست أسباب ذلك، أو أنّ لدينا ما يكفي من نصوص لإصدار حكم قاطع في هذا الشأن. ويمكن القول أنّ التاريخ الفرعوني، كان تاريخاً شديد " الرسمية " وأنّ الكتابة لم تكن ظاهرة عامة أو شائعة، ومن ثم فإنّ معظم الآثار المكتوبة التي وصلت إلينا تدور أساساً حول تاريخ الفراعنة ملوك البلاد والآثار، " والأمناء علي تاريخها " . وهؤلاء بالطبع لا يشبتون في تاريخهم إلا ما يعتبرونه مشرفاً، وهذا في حدّ ذاته - إنّ كان مقبولاً كتفسير - يعني - علي الأقل - استنكار الظاهرة، من جانب المجتمع، فهي سوأة تُخفى ولا يتفاخر بها! ولكن يلاحظ أيضاً أنّه لا توجد حتي قصص غرام في تاريخ الفراعنة المكتوب، مثل الإغريق، بل وحتى التوراة .. وكل الفراعنة نراهم في وضع رب الأسرة المثالي، كالمرشح الأمريكي - بجانب زوجته ويحيط

بهما الأطفال. وقد يُقال: وماذا نتوقع من الصورة الرسمية التي ينشرها البلاط الملكي؟ ولكن حتى الأساطير الفرعونية عن الآلهة تلتزم بالعفة، فلا شذوذ بين الآلهة ولا مشاعية جنسية كتلك التي نراها في ديانات اليونان والرومان. فقصّة أوزيريس التي تعتبر محور الدين الفرعوني في مصر القديمة، هي قصة وفاء زوجة لزوج محب، قصة تعتز بها وتحرص عليّ تدريسها، أية مؤسسة أخلاقية. كما أضيف، أنّ جميع تماثيل وصور الآلهة والفراعنة والرجال والنساء العاديين محتشمة، مغطاة بالثياب، ولو علي الأقل حول العورة. بعكس تماثيل ورسومات الإغريق التي تحرص كلها علي إبراز عورة الذكور بالذات، مع أنّ المناخ كان يفترض العري في مصر الإفريقية، والكساء في أوروبا الأكثر برودة!! كما لا توجد في ملايين الأواني والمزهريات الفرعونية التي عُثر عليها مثل تلك المزهريات التي سجّلت الفعل الجنسي في شتى الأوضاع أو التخيلات، عند الرومان واليونان والهنود وغيرهم. فهناك، إذن، موقف مختلف جذرياً من المسألة الجنسية.. .

وقد يكون السبب أن المجتمع المصري ككل لم يمر بمرحلة التفسّخ الحضاري المترف. فعندما وصل إلي قمته، تعرّض للغزو الخارجي والاحتلال والدخول تحت سيطرة حضارات أخرى. وهو تفسير ضعيف لا نُصرّ عليه. ثم أنّ قلة الوثائق المتاحة تجعل طرح تفسير لهذا الرأي، مجرد تخمين، وقراءه في المجهول، لولا أنّ لدينا - لحسن الحظ - النصّ القاطع الذي يُبريئ ساحة الفراعنة، وهو قوله تعالي لقوم لوط: " مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ " (سورة العنكبوت ٢٨) والفراعنة سبقوا قوم لوط في الوجود وهذه براءة من الله.

## اللواط من علامات النبيل وتمتيازات التفوق عند الإغريق

### والرومان:

أمّا الإغريق فقد مارسوه، أو علي وجه الدقة، مارسته الطبقة الحاكمة، وهذه هي التي وصلنا تاريخها، فلم تكن هناك وسائل لنقل الكثير عن سلوك العامة.

ونحن علي يقين من انتشارها بين الخاصة بشكل علني(١) ومقبول. حتي أن الدراسات الحديثة - وربما ببعض المبالغة - لا تكاد تستثي أحدًا من المشاهير أو الفلاسفة أو الآلهة في حضارة الإغريق، من ممارسة الشذوذ الجنسي. وكثير من الألفاظ العلمية المستخدمة حاليًا لوصف أنواع الشذوذ الجنسي مقتبسة من القاموس الإغريقي.

وقال المؤرخون أن إسبرطة اشتهرت بالسحاق، وأثينا باللواط، وكانت هناك بلدة اسمها " لسبوس "، منها اشتقت الكلمة الدارجة الآن في عصرنا هذا " Lesbian " لوصف المرأة السحاقية(٢) وكلمة " Catamiti " وتعني لوطيًا سلبياً مشتقة من اسم شاب إغريقي اغتصبه " زيوس " كبير الآلهة.

**تشرفنا!.**

**Christianity, Social Tolerance and Homosexuality. By: (١)  
John Boswell**

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب - المذكور أعلاه - جهداً غير مُبرر لإثبات أن الطبقة الراقية كانت تمارس الشذوذ مع الطبقات الفقيرة أو العامة. ويستشهد " لقد نام الأباطرة مع ممثلين، والملوك مع الجنود، والسناطور مع العبد ". وهذا صحيح ولكنه لا ينقض النظرية التي أخذنا بها والمستمدة من قوله تعالى: " أمرنا مترفيها ففسقوا فيها " فالطبقة الحاكمة أو المترفة هي التي تشرع القيم وتسن الأخلاق للمجتمع، فهي التي تبدأ المجاهرة. ولكن هذا لا يعنى أنها تمارس ذلك داخل إطارها وحدها فلو فعلت لما كانت المجاهرة المدمرة، وكانت الفاحشة محدودة، ولكن من عوامل الانهيار التي يتم بها القوانين الإلهي، أن تفقد تلك الفئة احترامها ومهابتها لدي العامة وهذا لا يكون إلا بوصول العامة إلي مخادعها، والاطلاع على فضائحها. والعامة بدافع الرغبة في المال والسلطة يستجيب بعض أفرادها لإغراء مضاجعة الطبقة الحاكمة. ولكن اللواط لا يصبح ظاهرة عامة بين العامة إلا في حالة سادوم وعامورة .. حتى في أوروبا وأمريكا اليوم فإنها أكثر شيوعاً بين المثقفين، والبروليتاري الذي يمارسها يفعل ذلك كمظهر للتحضر ولاندماج في الطبقة المثقفة، التي لا تستطيع الإكتفاء الذاتي، ولا تصبر عليه، بل تحتاج دائماً إلي دم جديد من الشعب.

(٢) اللواط عند العرب هو ما يكون بين ذكرين من جنس، أما المساحقة فلم ترد في القرآن ولا في قصة لوط لأن الآية صريحة في وصف جريمتهم إنكم لتأتون " الرجال " شهوة. ولكن اللغة العربية تعني بالمساحقة ما يكون بين المرأتين من فعل جنسي.

## الحب الأفلاطوني:

وكان اللواط من خصائص الطبقة الحاكمة، والآلهة، أو من علامات النبيل، وامتيازات التفوق. وليست بمفهوم الشذوذ المرضي .. فمعظم النبلاء كانوا يجمعون بين زوجة و غلام معشوق، وإن وجدت حالات غلب فيها الشذوذ مثل أفلاطون الذي لم يتزوج حتي مات في سنّ الثمانيين. ووضع نظرية " الحب الأفلاطوني " (١)، في حبّ الغلمان (٢)، والغريب أنّهم كانوا يعلموننا أنّ الحبّ العذري بدأ عند أفلاطون، وهو كما ترى حبّ الغلمان، أمّا الحبّ العذري الحقيقيّ فهو حبّ قيس وليلي وجميل وبثينة!!! .. حبّ صحراء نجد!!! .. حبّ رجل لامرأة، ولكنه لا يصل إلي الجنس لأسباب خاصة بهما.

وأفلاطون علي آية حال ( ٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م ) تعرّف بسقراط وهو صغير.. وسقراط مشهور باللواط، متهم بإفساد الشباب. وأعدم عام ٣٩٩ ق.م.

وقد دافع أرسطو عن اللواطيين ووصفهم بأنهم يكونون أفضل الرجال عندما يكبرون!.

وقد عبد الإغريق " هرقل " بسبب شجاعته وقوته وفحولته، فقد فضّ بكارة خمسين عذراء في ليلة واحدة، ومع ذلك كانت له علاقة جنسية مع ابن أخ Tolaus ، كما سقط في حبّ هيلاس الجميل ذي الشعر المجعد المرسل علي جبينه (١) وكان له عشرون عشيقًا!.

وقد وضع ستارتون دليلاً لمراحل الإثارة في الغلام " إنّ زهرة غلام في الثانية عشرة مرغوبة، ولكنه أحلي في الثالثة عشرة وأشهي في الرابعة عشرة، ويزداد

---

(١) وقد علق سيسرو على الحب الأفلاطوني للغلمان فقال: " إذا كان مجرد حب عذري فلماذا لم يحب أحد غلاماً قبيحاً أو شيخاً جميلاً ( من كتاب الاله المحبوب. قصة هارديان وأنطونيوس بقلم روبستون لامبرت ).  
(٢) الجنس في التاريخ

سحره أو جاذبته في الخامسة عشرة، أمّا السادسة عشرة فهي السن المقدّس! ".

وفي تاريخ اليونان إنّ الديموقراطية في أثينا، أقامها لوطيان عاشقان ..!

وهناك روايات عديدة عن شذوذ سقراط، وقد أعدم بهذه التهمة ولكن مغامراته مع تلاميذه، بقيت لنا، وعشق هؤلاء التلاميذ له، واضطجاعه علي فراش واحد مع أحد التلاميذ، ومفاجأة بقية الطلبة له، وغيره الذي كان يعشقه بينهم، إلي حدّ الصياح في وجه أستاذ الفلاسفة " إنك تقلب الدنيا رأساً علي عقب لتجلس بجانب الفتى الجميل ". وردّ سقراط الهاديء أو البارد دائماً - كما عرفنا من محاوراته مع زوجته، وإن كنا نتعرف الآن علي سبب جديد وأكثر جدية لخلافتهما الزوجية!.

رد سقراط: " إنّ حبّي لهذا الفتى يجلب لي المشاكل فهو لا يسمح لي بأن ألقى نظرة أو لمحة علي غلام جميل فضلاً عن أن أكلم أحداً غيره .. إنّهُ يغار علي الفور. وأخشى أن يغتصبي هذا الفتى في يوم من الأيام .. "

ولم تكن مخاوفه من باب التمنيّات - كما يقولون - بل لقد حاول فعلاً تلميذه " Alcibiades " اغتصاب سقراط في الفراش.

وإن كانت معظم الروايات لا تشير صراحة إلي ممارسة فعلية، إلا أنّ عشق الغلمان كان شائعاً، بل لعله كان من مميزات الطبقة المثقفة! (١).

(١) وهذا تفسيرنا للواقعة التي وردت في تاريخ المتنبي، عندما بعث أحد معاونيه يستأجر مومساً مذكراً مشهوراً في عصر المتنبي، واحضره سكرتير المتنبي فعلاً. ولكن الشاعر الكبير - وفقاً للرواية - ترك الغلام في الفراش ينتظره، وظل هو طوال الليل يكتب، ولم يرفع نظره إليه ( كما روى الغلام للسكرتير الذي روى القصة للعالم - أنظر كتاب الأستاذ محمود شاكر عن المتنبي ). ولا يمكن أن نجد تفسيراً لذلك إلا رغبة المتنبي في أن يشاع عنه أنه قضى ليلة مع هذا الفاعل المشهور. وقد حدث وشاعت القصة، وأثبتت في التاريخ. فإذا عرفنا أنّه كان عصراً شاع فيه عشق المذكر في الأدب، ولا تكاد نجد بيتاً واحداً للمتنبى يوحى بذلك. كان لنا الحق في استنتاج أنّه أراد تأكيد التدوق، والاعتذار عن خلو شعره من هذا الباب، لينسجم قيم عصره. ونستغفر الله من سوء الظن وخطأ الفهم. إنّهُ التواب الرحيم .. .

أفلاطون كان عشيق ألكس أوف ديون وخلال ثلاثة أجيال كانت رئاسة الأكاديمية التي أسسها تنتقل من عاشق إلى عشيقه.

أرسطو كان عاشقًا لتلميذه **Hermias** الذي خلّده في قصيدة أورفيدس، الكاتب المسرحي كان عاشقًا للشاعر أغاثون، فيداس النحات كان عاشقًا لتلميذه **Agoracritus**.

ويبدو أنّها كانت قد تفتّت علي نحو، أثار المثقفين ذاتهم فنجد أرسطو يسخر من انتشارها في الطبقة الحاكمة، وتقبّلهم لها كرمز من رموز النبّل، فيقول أرسطو علي لسان أحد النبلاء يُعاتب صديقًا: "أيصح يا ملعون أن يأيك إبنى من الملعب، خارجًا لتوه من الحمام، نظيفًا منتعشًا نشطًا، فلا تغالزه، لاتقبّله، ولا تحتضنه ولا تلعب في خصيته .. وتدعي مع هذا، أنك أحسن صديق للعائلة؟! " وإلا حنا مش قد المقام!..

والسخرية واضحة، والصورة كاريكاتورية، ولكنها تعكس علي الأقل تقبّل هذه الطبقة لذلك السلوك. وإن لم تصرّ عليه علنًا كما وضعه أرسطو. الذي زعم أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين...

وهناك مزيّيات وأواني شراب وصلت إلينا، عليها رسوم اللواط، سواء بالإيلاج أو الملامسة، وما بين ذلك وذاك .. ومعظمها بين رجل و غلام مراهق.

ويقول هانزليخت: " إن فكرة الإغريق عن الجمال مذكرة تمامًا حتي الفتيات كانت ترسم أو تتحت بملاح غلامية "

ويؤكد نفس المؤلف: " إن الإغريق كانوا يشجّعون الشذوذ في مرحلة قصيرة في حياة فتيانهم منذ

أن يقص شعره في السادسة عشرة، فخلال التدريب في الجيش حتى يصبح مواطنًا كاملًا. ثم يفترض فيه أن يتزوج ويُنجب، علي أنه يفترض أيضاً أنه في مرحلة متقدمة يأخذ مرافقًا تحت حمايته ويكرّر الدورة".

وقال إن لفظة ( Pederasty ) بالإنجليزية وهي التي تعني عشق الغلمان مأخوذة من paiderastia وجاءت من **pias** وتعني ولد، و **erastia** وتعني عشق. ومعناها حبّ الراشد **adult** لـغلام في سنّ البلوغ".

ويقول جون ادينجتون: " إنّ اللواط نشأ في معسكرات الجيش اليوناني " ص ٢٥.

وعند سوفوكليس أن " أوديب " ملعون لأنّ أباه أحبّ غلامًا. وفي تاريخ الإغريق قتل أكثر من سياسي " علي يد غلمان رفضوا الإستجابة " أو بدافع الغيرة لهجرانهم إلي غلمان أكثر غلمنة ". « وكان الشاعر أغاثون يستقبل ضيوفه وهو في زي النساء وبالمكياج ".

وكما تقول مؤلفة " الجنس في التاريخ " فإنّ اللواط وجد في سائر المجتمعات حتي التي توفّر فيها المومسات أو الجواري، وملك اليمين. وأنّ معظم المجتمعات حرّمته أو تجاهلته إلا اليونان، وحضارة المايا في أمريكا الجنوبية، فقد حاولتا تنظيمه. وكان البغاء المذكّر موجودًا في اليونان ويُمكن استتجار الغلمان، بالساعة أو الليلة. ويصل الأمر في بعض الأحيان للقضاء. وقد قضى المشرّع " سولو " بإعدام من يُضبط في مدرسة أطفال تحت سنّ البلوغ. كما حرم ممارسة اللواط بين عبد و غلام ولا حرًا " (١). أو إرغام الفتيان علي البغاء. وزعم أرسطو في كتاب

---

(١) ولكن العكس كان مسموحا به بالطبع، فقد قبض علي رجل في غرفة متزوجة، فنجما من العقوبة بإعلانه أنه إنمّا تسلّل من أجل غلام عيد. ويرى " جون بوزول " أنّ سولون حرّم اللواط علي العبيد باعتباره ترفًا يختص به السادة الإحرار. وفي الأدب العربي في العصر العباسي، وأواخر الأندلسي نجد تعبير غلام " مؤاجر " وهو الذي يستأجر لفعل الفاحشة نظير أجر. وهو المومس المحترف بلغة العصر الحالي. وفي روما " كان في كل بيت عبد غلام لاستعمال المراهقين من أهل البيت قبل زواجهم " ( انظر المسيحية واللواط ص ٧٨).

---

الجمهورية: أن اللواط نُظِم في جزيرة كريت. بواسطة الدولة كوسيلة لتحديد النسل. كذلك عُرفت السحاقيات، وشاع استخدام الآلات التي تشبه عضو الرجل: " قطعة من الخشب مغطاة بالجلد وتدهن بزيت الزيتون قبل الاستعمال " .

وزعم أفلاطون أن " تحريم اللواط يرجع إلي الشرف في قلوب المشرعين. والطغيان من الحكام والخنوع من جانب المحكومين. وأن البرابرة والشعوب المستعبدة يعتبرونها مخجلة أو عاراً مثل الفلسفة والرياضة، وهكذا كان طغائنا إلي أن حطمهم حب اريستوتوتيون وهارموديوس " - وهما كما أشرنا - مؤسسَا الديموقراطية اليونانية، كذلك كتب Philostratus إلي غلام رافض: " إن رفضك يثبت أنك لست من أثينا ولا إسبرطة، ولا بد أن تكون من بلد بربري غير متحضّر " .

ولاحظ أنه مع اختلاف الموقف، فإنَّ وجهتي نظريهما تتفقان مع تحليلنا، وهو أنها ظاهرة ترف في مجتمع " متحضّر " .

وقد يُقال إنَّ شيوع اللواط بين الإغريق سبق إمبراطورية الإسكندر، مما ينقض نظريتنا عن الانهيار الحضاري. والعكس هو الصحيح، لأنَّ إمبراطورية الإسكندر، كانت المدَّ العسكري لحضارة وصلت ذروتها، كانت تعبيراً عن تفوق الحضارة الإغريقية، الذي أنجز فعلاً في مرحلة التطهّر، وقد زال التفوق العسكري فور موت الإسكندر، وإن استمرت الحضارة عدة قرون بعده، وكانت هي الحضارة العالمية إلي ظهور الرومان. ومن ثمَّ فنحن نتحدث عن عملية نشوء الحضارة، عملية الخروج من شرنقة التخلف والتبعية الحضارية. هذه هي المرحلة التي تحتاج للتطهّر والروح الجماعية. ولكن الحضارة بعد أن تجتاز هذه المرحلة، وتبدأ في العطاء بل وتبدو أكثر تحضراً وإنتاجاً وثقافة من مرحلة النشوء (١). هذه المرحلة هي التي نعتبرها مرحلة الانهيار الحضاري.

(١) كان للإسكندر غلامه وقد غرق في النيل واسمه هكتور.



تمامًا كالكائن الحيّ، فهو يصل إلي ذروة نضجه وقوّته في الأربعين مثلاً، ولكن هذه هي بالذات، سنّ الانحدار والاتّجاه نحو الموت ( أنظر **دراستنا عن المواجهة الحضارية** ). ونفس الظاهرة سنجدها في حضارة بابل عندما وصلت إلي الذروة وأصبحت لديهم واحدة من عجائب الدنيا، فأباحوا الشذوذ الجنسي بكافة أنواعه. واندثرت حضارتهم.

كما توجد بعض الشواهد علي انتشارها في الحضارة اليابانيّة والصينيّة في عصور الانهيار. فالقسّ البوذيّ في اليابان في القرن العاشر كان يحيط به عدد من الغلمان يطلب منهم " الحبّ والإخلاص " ثمّ تطوّرت بين المحاربين إلي قسم بالإخلاص مدي العمر وفي القرن السابع عشر تحوّلت إلي لواط ( **الجنس في التاريخ** ).

وقطع امبراطور الصين " آي تي "، أكمامه لكي لا يجذبها من تحت رأس حبيبه تونغ مين المتوسّد علي ذراع الإمبراطور (١).

وقبل أن ننتقل إلي الرومان نشير بسرعة، إلي الشعب الذي اختار أن يكون خارج التاريخ أو المجري العام للحضارة البشريّة، وإذ كان قد بذل جهداً صاخباً في لفت الأنظار إليه، وكان لديه من الكبر ما جعله يدّعي أنّه هو التاريخ، والبشريّة علي هامشه .. ونعني اليهود.

حرّم اليهود اللواط تحريمًا شديدًا فاق موقف أي حضارة أخري (٢)، فقد نصّت التوراة علي قتل الفاعل والمفعول به ودمّهما عليهما (٣) ونلاحظ أنّ المجتمع اليهودي " المستقل " ظلّ محاربًا ومتوترًا متوجّسًا طوال تاريخه ( بحكم إصراره

(١) المسيحية واللواط ص ٢٧.

(٢) مع ان « جون بوزول » يزعم في كتاب المسيحية والشذوذ الجنسي. أنّ " التسامح الديني والعنصري " وقبول اللواط في المجتمع، يسيران جنبًا إلي جنب وأنّ المجتمعات التي تضطهد اليهود هي التي تحرم اللواط وتتشدّد في قسوتها علي اللوطيين والعكس بالعكس، ويعتبر النازية أوضح مثال لذلك " . والملاحظة صحيحة ولكن التفسير يحتاج لوقفة طويلة جدًا ..

(٣) وربما كان هذا هو أساس فتوى بعض الإثمة من المسلمين.

علي عدم الاندماج في محيطه ) ومن ثمّ لم يتعرّض لظواهر انحلال الحضارات، بعد اكتمال نموّها. بعكس اليهود في المهجر إذ يضمّون أعلي نسبة من اللواط المُعلن(١)، وتعتبر بعض الدراسات الحديثة، أنّ التوراة هي مصدر كل المواقف والتشريعات المعاديّة للشذوذ الجنسيّ بسبب قصة سيّدنا لوط مع سكّان مدينة أو مدينتيّ " سادوم و عامورا " وقد اشتق فعل اللواط في اللغة العربيّة من اسم سيّدنا " لوط " رغم معارضته الشديدة لهذا الفعل وكونه هو وحده - في المدينة - الذي لم يمارسه صلوات الله عليه. أما في اللغات الأوروبيّة فإنّ الفعل Sodom أي الإتيان في الدُبر مشتق من اسم مدينة لوط.

ويذهب بعض الكتاب أنّ التشدّد اليهوديّ في إدانة اللواط هو مظهر من مظاهر مقاومة الحضارة الإغريقيّة، وأوضح مصدر لذلك - كما يقول كتاب اللواط / تاريخ - هي كتابات يهودي مصري هو " فيلو جيودايس " .

### اللوواط عند الرومان:

وسنعود لحديث سيّدنا لوط في الحديث عن المسلمين .. وننتقل الآن إلي الرومان بعد الإغريق جاء الرومان، ويزعم " نورمان كانتون " أنّ الشذوذ الجنسيّ كان سبب انهيار الامبراطوريتين الرومانيّة والعربيّة ولا توجد شواهد ولا حتّي تلميحات عن وجود هذه الظاهرة في الأدبيّات الرومانيّة، خلال سنوات تحوّل " روما " من قرية مجهولة إلي عاصمة إمبراطوريّة عالميّة .. سنوات الصراع من أجل البقاء، ومن أجل فرض الذات الرومانيّة علي العالم.

ويقول كانتون : " ولو أنّ اللواط وُجد في زمن الرومان، ولكن من الواضح من سجّلات التاريخ أنّه في عصر الجمهوريين كان يُعاقب عليه بشدّة، وكذلك في نهاية الجمهوريّة وبداية الامبراطوريّة كان يُنظر إليه بعداء أدّي إلي

(١) ولكن يجب دراسة ذلك في إطار نظرة اليهود للجنس مع الأميين، إذ أنّ الظروف القاسية التي تعرضوا لها في ظل المجتمعات الغربيّة، جعلت " الجنس " إحدى وسائلهم لحفظ النوع اليهودي.

تحريمه خلال تلك الفترة كان اتهام أحد باللواطه يعني نعته بأقبح الصفات:

. ( Homosexuality A History by Vern. L. Bullough ) .

" في عام ٣٠٠ ق.م. أعدم مسئولون وقواد كبار في الجيش لأنهم حاولوا اللواطه مع مجندين أصغر. ولكن بعد مائة سنة ألغيت عقوبة الإعدام - وتحولت إلي غرامة! "

" وفي حوالي سنة ٦٩ بعد الميلاد كان يجري إغتصاب الأولاد والمجندين الحسنى الوجه. بل وكان الجنود يُجبرون علي إشباع شهوة الأمباشية "

" وقد استخدمت تهمة اللواطه ضد يوليوس قيصر، واتهموه بأنه وطأه ملك Birtyrians "

وقال عنه سيسرو " رجل كلّ زوجة، وامرأة كلّ رجل "

" ثم تطوّرت من فضيحة تهدّد بدمار سمعة السياسيّ الذي يرتكبها، إلا أن أصبحت عذراً يُبرّىء الساحة، فقد دفع متهم بأنه لم يكن يتأمر مع دوميتيان، بل اجتماعاً لمجرد ممارسة الحب، وقد علق السناتور الذي كان يحقق في المؤامرة : الحق أن شكله مثير! "

وهكذا فما أن أصبحت " روما " سيّدة العالم، والممثلة لحضارة العصر، وتجمّعت فيها ثروات وثقافات وفنون ومهارات العالم، حتي دبّ الترف والاحلال في الطبقة الحاكمة، وظهر اللواط علي أوسع نطاق .. وقد جاء في " انهيار الإمبراطورية الرومانيّة " إدوار جبون ( طبعة ١٧٨٩ ) أنه من بين الخمسة عشر امبراطوراً الأوائل الذين حكموا الإمبراطورية الرومانيّة منذ تحوّلها إلي إمبراطورية. كان واحد منهم فقط هو السويّ المزاج من الناحية الجنسيّة، وهذا يعني أن الامبراطورية حكمت حوالي ٢٠٠ سنة بأباطرة شاذين جنسياً.

" وأحد الأباطرة أرسل وفوداً من القصر إلي جميع أقطار الإمبراطورية يلتمسون

الرجال الذين لهم غرمول كالبالغال. وفتح الحمامات العامة لكي يتجسس علي هذا النوع من الرجال للعمل في " الخاصة " الإمبراطورية " (ص ٨٠ المسيحية والتسامح).

" وتعلم نيرون كما تقبل اللواط من معلمه سيكا الذي كان بدوره لوطياً " ص ١٣٠.

وسنسمع أن كل امبراطور كان له غلام عشيق، وهو نفس ما سينقله التاريخ عن الإمبراطورية التالية، أو الخلفاء العباسيين والأندلسيين .. ولا يفوتنا هنا أن نسجل مفارقة بين وضع الأباطرة، والملوك في حضارتنا التي اعتاد الغربيون تخصيصها بالاستبداد. منذ أن اخترع اليونان في حربهم مع الفرس تعبیر " الاستبداد الشرقي " وصوروا حاكم شرقي علي أنه فرعون أو إله يخضع لمشيئته الشرقيون لما فطروا عليه من خضوع، ولكن هل في حضارتنا حاكم مهما كان طغيانه استطاع أن يعلن زواجه من غلام ويُجبر الناس علي تحيته باعتباره الإمبراطورة؟! أو هل استطاع طاغية مسلم مهما كان فجوره أن يعلن معشوقه إلهًا ويبنى له مدينة؟! .. إن أحد ملوك الطوائف في الأندلس أخرج جاريته في العرض العسكري في زي الرجال فأصبح مثلاً! ..".

وبقدر ضخامة الامبراطورية، وطول المدة التي قضتها متربعة علي قمة العالم بلا مزاحم، بعد ما حطمت قوتها العسكرية، كل المراكز المنافسة، أو حتي لتي تحمل خطر التحدي مستقبلاً .. ومع تدفق ثروة لم يسمع بها العالم من قبل، فقد كانت أضخم إمبراطورية عرفها التاريخ حتي وقتها، وواكثرها دقة وتنظيمًا في نهب الشعوب واستثمارها. بقدر هذه العوامل كلها، كان اتساع الترف وعمق انحلاله، وبشاعة الفاحشة، والتباري في التهلك. فالأمم كالأفراد، أو قل هي مجموعة أفراد، إذا أمّنت الحاجات الأساسية، بحثت عن الكماليات، فإذا تحققت، سعت إلي الترف، والتفنن في اختراع اللذات والكشف عن شهوات ما كانت لتوجد لولا الفراغ والسعة أو: " فما تشتهي إلا أن تشتهي " وسبحان

القائل : " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَنِي " (سورة العلق ٧ و٦)  
.. كذلك فإنَّ الطبقة الحاكمة، بل وقطاعًا كبيرًا من الطبقة الوسطى فقدوا  
القناعة بالدين أو الوثنية الشائعة وقتها. وانحراف الأباطرة، جعل الشذوذ  
تقليعة المجتمع كله.

الشعراء كانوا ينظمون الشعر في جمال " غلام الإمبراطور " لكسب  
وده وعطاياه! وبعد ما تزوج الإمبراطور **Elagabalus** بشاب رياضيّ  
أصبح رجال البلاط يحرمون الدخول علي أي رجل إلا إذا كان مصطحبًا  
معه زوجه ( وليس زوجته! ) مما اضطر بعضهم إلي التظاهر بالزواج  
من الرجال لمماشاة التقاليد الإمبراطورية.

أما نيرون فقد تزوج مرتين، وفي كل مرة كان العروس رجلاً وفي  
احتفال عام، وقد عومل العريس الثاني واسمه " سبورس " معاملة "   
الإمبراطورة " رسمياً. وكان يحضر الاحتفالات الرسمية، ويعانقه  
الإمبراطور في شبق وبلاحياء وظل مخلصاً له إلي الوفاة. وانطلقت نكتة  
تقول لو أن والد نيرون تزوج علي طريقة نيرون لكان العالم أكثر سعادة.

أما " هارديان " الذي عهده، عهد " هدوء وسلام " قمة حبه مع  
الفتي الإغريقي " أنطونيو " الذي فقدته أثناء عبورهما نهر النيل في  
أكتوبر ( ١٣٠ م ) وحزن عليه الإمبراطور " الوفي " وخلد ذكره  
بعشرات التماثيل في جميع أنحاء الإمبراطورية، والاستادات والدورات  
الرياضية، وبنى علي اسمه مدينة كاملة علي النيل بين ممفيس وطيبه،  
حيث غرق ...

ويبدو أن النيل هو مقبرة غلمان اليونان من هذا النوع، ففيه أيضاً  
غرق غلام الإسكندر. وفي ١٨٣٧ م غرق فيه " غلام يوناني جميل كان  
بدوره غلام الرحالة البرنس بوخترموسكاو ".

ويعتقد بعض المؤرخين أن سبب شيوع قصة شذوذ " هارديان "  
والهجوم علي غلامه.

ليست قضية اللواط، ولا أنه تطرّف في حزنه، فأعلن أنّ غلامه هذا إله! فقد كانت قائمة الآلهة تضمّ أكثر من لوطي ومأبون، بما فيهم كبير الآلهة نفسه الذي إتخذ لنفسه صاحبة وغلماً! .. بل لأنّ أنطونيوس هذا كان آخر " إله " في عالم الوثنيين، قبل انتصار المسيحية، ولذلك اهتم المسيحيون وإلي اليوم بنهش سيرتهما، وقد صدر حديثاً كتاب بعنوان الإله المحبوب يقول أنّ معشوق الإمبراطور كان علي درجة من الجمال الصارخ الذي ما زال شاغل العالم المتحضّر خلال ألفي سنة ( ! ) وكان الغلام يونانياً اسمه أنطونيوس " ومات في حوالي سن الثامنة عشرة. وقد حزن الامبراطور عليه وبنى له مدينة في مصر وهي أنطونيوبولس. وصنع له ألفي تمثال.

وأعتقد أنّ الحملة الدينية عليه، قد تكون خلف الاتهامات التي انهالت علي الفتى، فالمتدينون رأوا أنّ إهانة آخر آلهة الوثنيين، عملاً صالحاً يخدم الرب. وكذلك التركيز علي سيرة هذا " المأبون " يفضح ويخزي الديانة الوثنية المنهارة..

ولنذكر أنّ التراث الإسلاميّ، قال أنّ اللات والعزي كانا فاسقين، زنيا في الكعبة فسُخطا حجارة. ثم مضت السنون فعبدهما الناس. وكان الرومان الوثنيون، قد حاولوا الإدعاء بأنّ أنطونيوس افتدي سيده بإغراق نفسه في النيل. وقد استمرت حملة الكنيسة علي الفتى، فوصفه الأب جيروم عام ٣٥٠ م بأنه " مومس مذكّر " وقال: " وهكذا فإنّ الإله الجديد أنطونيوس كان عبداً لشهوات الإمبراطور، غير المشروعة، وأنّ الذين عبده رضوخاً لأمر الإمبراطور كانوا يعرفون أنّه مجرد إنسان، بل وليس حتي إنساناً جيداً. بل ولا يستحق حتي أن يكون رجلاً فضلاً عن إله ".

وحتى سنة ١٨٧٨ كان المتحف البريطاني يرفض إطلاع الجمهور علي أيقونات أنطونيوس .. نظراً لتعصّب الرأي العام ضد اللواط ..

وكانت الحكومة تفرض الضرائب علي اللوطيين المحترفين، وتضمن للغلمان المستخدمين إجازة سنوية، ويقول " جون بوزول " إنّ الأباطرة استمروا يحصلون

هذه الضريبة حتى القرن السادس ( الميلادي ) بما في ذلك الأباطرة الوثنيين والمسيحيين وأصبح اللواط ظاهرة إقتصادية. ففي خطاب كاتو ( القرن الثاني قبل الميلاد ) اشتكى من التضخم، إذ أصبح سعر المأبون أغلي من سعر الأرض الزراعية!

و " سيسرو - الحجّة في القانون الروماني - رفع قضية يُطالب فيها بالاعتراف بديون أبيه علي شخص كان يعاشره معاشرة الأزواج " و " في القرن الثاني الميلاديّ قدمت شكوي في أحد الموظفين الرومان بأنّه يحابي ولدًا عمره ١٧ سنة وقد اعترف الموظف بالتفصيل بعلاقته الجنسية مع الغلام. ولم يثر ذلك أي اعتراض من والد الغلام ". .

وعلي أية حال، نكتفي بقول مؤلف أصرح كتاب عن الشذوذ الجنسي، صدر حتى وقتنا هذا. " إنّ الميول الجنسية لقيادات المجتمع الرومانيّ يستحيل نشرها حتى في القرن العشرين " والإمبراطور الرومانيّ الوحيد الذي حرم اللواط هو الإمبراطور فيليب العربيّ الأصل ( منتصف القرن الثالث ).

وكان أن سقطت روما، أو شقها الأوروبيّ تحت ضربات البرابرة، وبقي قسمها الشرقيّ في بيزنطة يحاول الاستمرار بالمسيحية.

والمسيحية قد مرّت بعدة أطوار، ومن ثمّ اختلفت مواقفه .. فالمسيحية لم تظهر كثورة ولا كفلسفة لحضارة وليدة، ولم تكن تمثّل أو تواجه أي تحدّ حضاريّ، بل في المرحلة الأولى إتخذت موقف ردّ الفعل، ففي مواجهة الإغراء في الجنس المنحرف والمنحل في الإمبراطورية المنهارة. ولد عند آباء الكنيسة الأوائل، كراهية عميقة للجنس بكافة أشكاله، حتى الزواج الطبيعي؟؟؟. ولهذا الموقف أسبابه الفكرية أيضًا، إلّا أنّ العنصر الأساسيّ فيه كان رفض حالة الإباحية والتهتك الرومانيّ.

قال بول عن الرومان: حتى نساءهم غيروا الطبيعة إلي مخالفة الطبيعة مثل

رجالهم الذين تخلوا عن الاستعمال الطبيعي للمرأة، واحترفوا شهوة الرجال مع الرجال " رومان ١ / ٢٧ .

وقد ساد هذا التعفف " الفكري " الكنسي إلي يومنا هذا. ولا نقول السلوك بالطبع، فالحياة دائماً أقوى .. ولكن ليس بالعفة وحدها تقوم الحضارات، وإن كانت شرطاً أساسياً لا تقوم بدونه، والعفة غير الإخفاء طبعاً.. بل لا بد من تصور شامل للوجود والتحديات المطروحة وامتلاك حلول لها، أو المنهاج القادر علي طرح الحلول، وامتحانها، ورفض ما لا يصلح منها.

ولم تكن المسيحية في قرونها السبعة الأولى صالحة ولا مؤهلة للقيام بهذا الدور، لأنها كما شرحنا في مكان آخر. دخلت في الدولة الرومانية، أو أدخلت الدولة الرومانية، في الكنيسة، المهم أن دولتها لم تقم علي أنقاض الدولة الرومانية. بل تزوجت معها، فكان من الطبيعي أن يحمل الوليد الكبير من خصائص وطباع، وتصورات وأمراض الأب الروماني. ولم تشكل المسيحية ثورة، بل تسوية، صفقة مع الدولة الرومانية، كما سنري في استمرارية الكثير من مظاهر الانهيار الحضاري في المرحلة الأولى من المسيحية. ولكن المهم هنا، أن المسيحية الرومانية، ورثت الحس التاريخي بالزوال، وهو الحس الذي كان يسيطر علي الإمبراطورية الرومانية، ويحكم تصرفات قياداتها. ولذلك بشرت الكنيسة بزوال العالم، وكانت هذه الفلسفة الأكثر قبولاً من جانب الرومانيين الذين تعفنوا في الفساد، وفقدوا كل أمل في أي انبعاث حضاري. ولم يكن أمامهم أي مخرج من خلال المنظور الروماني، أو الدولة الرومانية، فقدمت لهم المسيحية الحل الوحيد : التبشير بأن هذه هي نهاية العالم، قرب زوال المجتمع أو الجنس البشري، ولاحظ أن كل الحضارات اعتبرت زوالها هو نهاية العالم.

بشرت المسيحية بزوال العالم بإرادة غير بشرية، بقيام عالم جديد بلا خطايا ولا مشاكل، خارج هذه الدنيا أو الأرض الخاضعة للحضارة الرومانية، والتي لا مكان فيها لحل غير روماني ..

فالمسيح الذي جاء في البداية، في صورة ملك اليهود، الذي سيقودهم في



ثورتهم ضد الرومان، ويحررهم من سيطرة الرومان، ومن النموذج الروماني ويبنى مملكتهم، أو مملكة جديدة ذات قيم أقدر علي الحياة. فهو قائد أو زعيم يحقق طموحاً دنيوياً، وتغييراً فوق هذه الأرض. ولكن لأسباب عديدة، منها - وإن يكن ليس أهمها - رفضه من قبل اليهود، فإن آباء الكنيسة فضلوا مهادنة الدولة الرومانية.

**ورغم أن المسيحية من اليوم الأول - في اعتقادنا - ما كانت لتقرر اللواط من الناحية المبدئية. ورغم أن جميع الدراسات تؤكد أن المسيحية تبنت الموقف التوراتي أو اليهودي من تحريم اللواط. ولم يكن من المعقول بالنسبة لكنيسة تحرم الجنس بين الرجل والمرأة، إذا كان لا يهدف مباشرة لزيادة النسل بل يري " بولس " مؤسسها؟؟؟ أن الجنس كله لا مبرر له، انطلاقاً من أن مملكة الله علي وشك الظهور " فالوقت قد أزف يا إخوتي، عندما يتساوى من له زوجة بالأعزب " ، ورأي آباء الكنسية الأوائل: " أن اللذة حتي أثناء الجماع الشرعي، بهدف التوالد، هي خطية " .**

من غير المعقول أن يقبل أصحاب هذه النظرة فعل اللواط (١) الذي يقوم علي اللذة المجردة من أي هدف اجتماعي أو عمراني. ومع ذلك فإن الرغبة في مهادنة المجتمع الروماني، ومن ثم التأثر به، ولأن الأخلاق المجردة، لا تخلق واقعاً، بل لابد أن تعبر هذه الأخلاقيات عن حركة حقيقية في المجتمع، لذلك لم تفلح

(١) يصعب تعقب النصوص التي تحرم اللواط في الأسفار المسيحية المعتمدة، إذ أن المسيح لم يتعرض لذلك علي الإطلاق ولكن الدراسات المتخصصة تجمع علي أن المصدر الوحيد الذي وضع أساس رفض اللواط في الفكر والتشريع المسيحي، هو إنجيل " برنابا " الذي أدان هذا الفعل. ( وهو بالمناسبة إنجيل ممنوع التداول في الأوساط المسيحية اليوم، ويتداول المسلمون نسخة منه يقولون إنها أصح الأنجيل أو أقربها للحقيقة ) أما أول مجمع كنسي بحث موضوع اللواط وأصدر فيه قرارات، فكان مجمع لاتيران الثالث عام ١١٧٩ ميلادية، عندما بدأ حركة البعث في أوروبا الغربية. وهو المؤتمر الذي حرم " المسلمين واليهود والربا واللواط " .

أخلاقيات مسيحية عصر الانهيار في تغيير المجتمع الروماني، بل بالعكس تأثرت الكنيسة بأخلاق هذا المجتمع، فبقي اللواط في المجتمع الروماني المسيحي بشقيه الغربي والشرقي ربما حتى القرن العاشر.. فقد ظل اللواط بالأجر، يمارسه المحترفون في الإمبراطورية الشرقية حتى القرن السادس الميلادي، بل واستمرّ الأباطرة يحصلون الضرائب من هؤلاء المحترفين، والتي كانت تشكل نسبة من إيرادات الدولة التي تعيش عليها الكنيسة.

وكان اللواط متفشياً بين المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادي. وتورد الدراسات الحديثة أكاداساً من وقائع ودلائل وأشعار وأدبيات تثبت وجود عشق الذكر بين رجال الكنيسة في تلك الفترة.. سنضرب صفحاً عن هذا كله فقد يكون من نوع الشعر الصوفي (٢)، وقد يكون علاقة متوقعة بين ذكور يعيشون معا بعيداً عن المرأة، وهم في فحولة شبابهم، وتباين شديد لأعمارهم. **[ تعليق: إن السلوك الفردي المغاير للطبيعة لا يُعمم علي الأخلاق التي تنادي بها المسيحية. خاصة وأنّ الكاتب كتب ما يناقض ذلك في الصفحات السابقة، ويستند الكاتب علي أن كل شاعر صوفي هو لوطي؟؟؟ ]**.

كان البابا " جريجورى " يشرف علي بيع الغلمان الإنجليز " شديدي الجمال " في سوق روما في القرن السادس الميلادي. مع معرفة الجميع بسبب " رواجهم ". وقال البابا إنّ " جمالهم يعطيهم لمحة ملائكية ويجعل الجنة مأواهم "!!.

وفي القرن الثامن نصح " القديس بازل "، رجال الكنيسة بتجب النظر إلي الغلمان المردي: " إذا رأيت الفتى الجميل، فاجلس في مقعد بعيد عنه، وعند النوم إحرص علي ألا تلمس ثيابك ثيابه. بل ضع بينكما رجلاً عجوزاً .. وعندما يتكلم

(١) المسيحية واللواط ص ١٣١.

(٢) وإن كان مترجم أشعار الصوفي الشهير " الحافظ " علق عليها بقوله: " من الصعب التفكير في الله، إذا كان عاشقه الصوفي يصفه بأنه متموج الخصلات، ياقوتي الشفاه، ممشوق القوام كغصن البان "!!.

أو ينشد أمامك لا ترفع عينيك إليه، حتى لا تزرع الشهوة في قلبك، ولا تدخل معه في مكان يغلق بابه، أو يصعب علي الناس رؤية ما يحدث بداخله، مهما كان الغرض من دخولكما" (١).

لم تستطع الكنيسة أن تخرج الامبراطورية الرومانية من أزمته، ولا أن تطرح الصيغة البديلة علي الصعيد العالمي، ومن ثمَّ كان عليها أن تنتظر حتى يأتي التحدي من الجزيرة العربية. من قوم لا توجد في شعرهم الجاهلي إشارة واحدة لهذا السلوك، ثم مجتمع المتطهرين الذي يقول فيه أمير المؤمنين: " لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن، ما ظننت أن أحداً يفعله ".

**تعليق:** نكتفي بنقل الأحاديث التالية لتكذيب ما يدعيه المؤلف بأن الجزيرة العربية كانت خالية من اللواط في الفقرة السابقة :

في صحيح البخاري: ٥٣ - باب: غزوة الطائف. حديث ٤٩٣٧، ٤٠٦٩، ٥٥٤٨ - حدثنا الحميدي: سمع سفيان: حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أمها سلمة رضي الله عنها: " دخل النبي - ص - وعندي مخنث، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، وقال النبي - ص -: ( لا يدخلن هؤلاء عليكن). قال ابن عيينة، وقال ابن جريج: المخنث: هيت. حدثنا محمود: حدثنا أبو أسامة، عن هشام: بهذا، وزاد: وهو محاضر الطائف يومئذ. [ش أخرجه مسلم في السلام، باب: منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، رقم: ٢١٨٠. (مخنث) الذي خلقه خلق النساء، ويشبههن في كلامه وحركاته، وتارة يكون هذا خلقه، وتارة يكون بتكلف، وسمي به لتكسر كلامه ولينه، يقال: خنثت الشيء فتخنث، أي عطفته فتعطف. ( تقبل بأربع) وهي عكن البطن، أي تجاعيده، ترى منها عند إقبالها أربعا. (وتدبر بثمان) هي أطراف العكن الأربع، ترى منها وهي مدبرة ثمانية. (هيت) اسم المخنث المذكور، وكان مولى عبد الله بن أمية، رضي الله عنه، المذكور معه.

وفي صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين بن شرف النووي. باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب.

١- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، كُلُّهُمُ عَنْ هِشَامٍ، ح، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ أَيْضاً - وَاللَّفْظُ هَذَا - حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ:

أَنَّ مَخْنَثًا كَانَ عِنْدَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ - ص - فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ: يَا عِنْدَ اللَّهِ بِنْتُ أَبِي أُمِّيَةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَإِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ، فَإِنهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانَ.

قَالَ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ص - فَقَالَ: " لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ".

قولها: ( كان يدخل على أزواج النبي - ص - مخنث، فكأنوا يعدونه من غير أولي الإربة.

أَقْبَلْتُ أَقْبَلْتُ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ أَدْبَرْتَ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ص - : أَلَا أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَهُنَا، لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَ، قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ. (ج/ص: ١٤/١٦٣)

٢- وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بَنِّ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ عُرْوَةَ، عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ص - مُخَنَّتٌ، فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أَوْلِي الإِرْبَةِ.

قَالَ: فَدَخَلَ النَّبِيُّ - ص - يَوْمًا وَهُوَ عَيْدٌ بَعْضُ نِسَائِهِ، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً، قَالَ: إِذَا أَقْبَلْتُ أَقْبَلْتُ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرْتُ أَدْبَرْتُ بِثَمَانٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ - ص - : "أَلَا أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَهُنَا، لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَ".

قَالَتْ: فَحَجَبُوهُ.

قال أهل اللغة: المخنث: هو بكسر النون، وفتحها، وهو الذي يشبه النساء في أخلاقه، وكلامه، وحركاته، وتارة يكون هذا خلقه من الأصل، وتارة يتكلف وسنوضحهما.

قال أبو عبيد وسائر العلماء: معنى قوله: تقبل بأربع، وتدبر بثمان، أي: أربع عكن، وثمان عكن، قالوا: ومعناه: أن لها أربع عكن، تقبل بهن من كل ناحية ثنتان، ولكل واحدة طرفان، فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية.

قالوا: وإنما ذكر فقال: بثمان، وكان أصله أن يقول بثمانية، فإن المراد: الأطراف، وهي مذكرة، لأنه لم يذكر لفظ المذكر، ومتى لم يذكره جاز حذف الهاء، كقوله - ص - "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بَيْتٌ مِنْ سُؤَالٍ" سبقت المسألة هناك واضحة.

وأما دخول هذا المخنث أولاً على أمهات المؤمنين فقد بين سببه في هذا الحديث، بأنهم كانوا يعتقدونه من غير أولي الإربة، وأنه مباح دخوله عليهن، فلمَّا سمع منه هذا الكلام علم أنه من أولي الإربة، فمنعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدُّخُولُ.

ففيه: منع المخنث من الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ، ومنعهنَّ مِنَ الظُّهُورِ عَلَيْهِ، وبيان أن له حكم الرِّجَالِ الفَحْوَالِ الرَّاغِبِينَ فِي النِّسَاءِ فِي هَذَا المَعْنَى، وكذا حكم الخَصِيِّ، والمجبوب ذكره، والله أعلم.

واختلف في اسم هذا المخنث.

قال القاضي: الأشهر أن اسمه: هيت، بكسر الهاء، ومثناة تحت ساكنة، ثم مثناة فوق.

قال: وقيل: صوابه: هنب بالنون والباء الموحدة، قاله ابن درستويه.

وقال: إنما سواه تصحيف.

قال: والهنب: الأحمق.

وقيل: ماتع، بالمثناة فوق مولى فاختة المخزومية، وجاء هذا في حديث آخر ذكر فيه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَرَّبَ مَاتِعًا هَذَا، وَهَيَّأَ إِلَى الحمى، ذكره الواقدى.

وذكر أبو منصور البادردي: نحو الحكاية عن مخنث كان بالمدينة، يقال له: أنه، وذكر أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَفَاهُ إِلَى حمراء الأسد، والمحفوظ أنه هيت.

قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان:

أحدها: المعنى المذكور في الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولي الإربة، وكان منهم، ويتكلم بذلك.

والثاني: وصفه النساء ومحاسنهن، وعوراتهن بحضرة الرجال، وقد نهى أن

والثالث: أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء، وأجسامهن، وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء، فكيف الرجال لا سيّما على ما جاء في غير (مسلم) أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها، أي: فرجها وحواليه، والله أعلم.

قوله - ص - : ( لا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ ) إشارة إلى جميع المختئين لما رأى من وصفهم للنساء، ومعرفتهم ما يعرفه للرجال منهن.

قال العلماء: المختئ ضربان:

أحدهما: من خلق كذلك، ولم يتكفّف التخلّق بأخلاق النساء، وزيّهن، وكلامهن، وحركاتهن، بل هو خلقه الله عليها، فهذا لاذمّ عليه، ولا عتب، ولا إثم، ولا عقوبة، لأنه معذور لا صنع له في ذلك، ولهذا لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم - أولاً دخوله على النساء، ولا خلقه الذي هو عليه حين كان من أصل خلقته، وإنما أنكر عليه بعد ذلك معرفته لأوصاف النساء، ولم ينكر صفته، وكونه مختئاً.

الضرب الثاني من المختئ: هو من لم يكن له ذلك خلقه، بل يتكفّف أخلاق النساء، وحركاتهن، وهياتهن، وكلامهن، ويتزيّأ بزيّهن، فهذا هو المذموم الذي جاء في الأحاديث الصحيحة لعنه، وهو بمعنى الحديث الآخر: "لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ" (وَأَمَّا الضَّرْبُ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ بِمَلْعُونٍ، وَلَوْ كَانَ مَلْعُونًا لَمَا أَقْرَهُ أَوْلَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

ونكتفي بذلك حيث كان يدخل بيت الرسول نفسه مختئين، تنفي هذه الأحاديث قوله بأن اللواط لم يُعرف عند العرب قبل الإسلام ]

جاء التحدي من أبعاد المجتمعات تأثراً بالانهيار الروماني والفراسي، في دورة من دورات المواجهة الأبدية بين الشرق والغرب. جاء الإسلام يطرد بيزنطة وكنيستها من شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض. ولكن الكنيسة كانت أعجز من أن تستجيب للتحدي .. وربما لو سقطت بيزنطة، كما كان متوقعاً مع موجة الفتح العربي الأول، لعجل ذلك بنهوض أوروبا. ولكن بقاء الكنيسة عطل الإستجابة للتحدي. حتي أنّ شارلمان الذي يصف نفسه بأنه مؤسس " أوروبا المسيحية " عبر عن يأسه وانزعاجه من تفشّي الانحرافات في الكنيسة. وقد أجمع المؤرخون علي أنه وإن حرص علي أن يجعل من نفسه امتداداً تاريخياً للأباطرة الرومان، إلا

أنه كان يخالفهم تماماً من ناحية المزاج الجنسي. ولما سمع بتفشي اللواط بين الرهبان قال: " إنَّ العفة بين الرهبان هي الأمل في خلاص كل

(١) سنجد نصاً مشابهاً في حكاية سفيان بن سعيد الثوري عام ( ١٦١ هجرية - القرن التاسع الميلادي ) الذي رفض أن يدخل الحمام مع صبي حسن الوجه صانحاً: " أخرجوه عني .. أخرجوه "، وقال إن مع كل امرأة شيطانا، ومع كل صبي جميل بضعة عشر شيطانا. كذلك نصيحة الإمام أحمد للرجل الذي جاء مجلسه ومعه صبي جميل هو ابن أخته فقال له: " لا تجيء به إلينا مرة أخرى " ولا تمش معه في طريق لنلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوء " الكبار ص ٥٩ لمؤرخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي.

المسيحيين. ونصح رجال الكنيسة بكبح النفس لحماية أنفسهم من هذه الرذائل لأنه لا يمكن أن يسمح بها في مملكته وخاصة بين الذين يجب أن يكونوا قدوة".

وهذا يوضح أنه لا يكفي وجود " الفكر " أو " الخلق " الحميد، ولا حتي الرجل " العظيم " الواعي بأهميّة الأخلاق، بل لابد من اقتران ذلك بموقف حضاري.

والقانون الذي طرحه هنا، أو حتي الظاهرة التي نسجلها، هي أن كل الحضارات التي انتصرت وقامت، بدأت بمحاربة اللواط والتشدد في مطاردته والمعاقبة عليه، وهي غالبًا ما تتهم خصمها الحضاري بممارسة " جريمة " اللواط .. فإذا ما انتصرت الحضارة وزال التحدي المواجه لها، انتشر فيها اللواط وتسامحت معه.

---

## أوروبا والشرق واللواط

مع الحروب الصليبية بدأ الانتعاش والإصلاح في أوروبا الغربية أو المسيحية، وفي الكنيسة أيضاً. ذلك أن الاستجابة للتحدي كانت قد بدأت، واتخذت شكل الثورة علي الكنيسة. وظهر الكنائس المنشقة أو الحركات الإصلاحية. ولو أن عدداً من أبطال الحروب الصليبية يُتهمون باللواط في بعض الدراسات المتخصصة في تعقب المشاهير وإثبات ذلك السلوك عليهم، فهذا النوع من الدراسات يؤكد - الآن - أن ريتشارد قلب الأسد كان علي علاقة ما مع فيليب ملك فرنسا.

### الإستجابة الناجحة للتحدي الإسلامي

إلاً أن الكنائس الجديدة في غرب أوروبا وانتصار المسيحيين علي المسلمين في أسبانيا، وظهر حركة الجزويت، كلها شكّلت الإستجابة الناجحة للتحدي الإسلامي. هذه الاستجابة تلقت دفعة أخري وحاسمة علي يد الأتراك الذين أزاحوا بيزنطة من الطريق، فتراجعت الكنيسة الشرقية إلي أكثر أجزاء أوروبا تخلقاً وتقشفاً إلي " الروسية المقدسة " أو كنيسة " روما الثالثة " .. وانطلقت الإستجابة للتحدي في " الروسية " وما زالت إلي اليوم. ولاحظ أنه حتي اليوم لا توجد أية إشارة في الفكر الروسي ولا فيما سبق الثورة عن أدب اللواط .. بل إن مشاهير الفكر الأوروبي الذين هرعوا إلي روسيا الشيوعية حاملين بمشاعية جنسية، عادوا خائبين

رافضين، لأن النظام السوفيتي اتهمهم باللواط المحرم بشدة في الدولة " اللادينية " .. وقد قادت الكنيسة والقياصرة مسيرة الأمة الروسية خلال هدف واحد لم يتغير، وهو القضاء علي الإسلام في أوروبا ثم في آسيا الوسطي والغربية. بينما كانت كنائس الغرب ودول أوروبا الغربية تشق طريقها الحضاري حول وفي قلب العالم الإسلامي في إفريقيا وشرق آسيا وجنوبها. وخلال عملية بناء الحضارة الغربية، تتضح لنا المسلكية الحضارية التي أشرنا إليها، ومن زاوية " اللواط " نري أنه ظل محرماً حتي منتصف القرن العشرين. وإن كانت الحضارة الغربية قد وصلت ذروتها وبدأ انحدارها في القرن التاسع عشر. ولو أن بعض الدراسات تنسب السحاق للملكة فيكتوريا، ولكن ذلك لا يعنينا في هذه الدراسة. لأنّ الذي يعنينا من سلوك الحاكمين - كما قلنا - هو المُعلن. والملكة فيكتوريا لما عرض عليها قانون العقوبات أبدت دهشتها ونفيها وجود " مثل هذا الشيء " بين النساء! .. فهذه هي الصورة التي أعطيت للشعب البريطاني، لكي يريق المزيد من دمه من أجل ضم ممتلكات جديدة لتاج الملكة المسيحية العفيفة!

وقد قامت الرقابة في أوروبا الناهضة بحذف وتعديل كل النصوص التي وردت في التراث الإغريقي والروماني لاستبعاد " الانحلال " فعشيق سقراط تحول إلي " سيدة اشتهرت بجمالها " . ونُسب إلي أفلاطون كذباً، استنكاره وإدانتته للواط " متأثراً بقراءة الكتاب المقدس " ! ونقحت أقوال " أوفيد " في كتابه " فن الحب " فبدلاً من قوله: " إنَّ عشق الغلمان أقل جاذبية لي " عدلت إلي " وعشق الغلمان لا يثيرني علي الإطلاق " وعلق الناشر المسيحي علي " تزويره ": " ومن هنا يتبين لك أن " أوفيد " لم يكن لوطياً " . وحتى القرن التاسع عشر اعتذر الناشرون في أوروبا " المحررة " عن شر نصوص اللواط في الأدب الإسلامي في عصر الانهيار ( ابتداء من العصر العباسي الثاني ) . ففي أشعار " سعدي " الفارسي. قلب المترجم البريطاني كل قصص عشق الغلمان إلي حبّ " طبيعي " بإضافة تاء التأنيث. وحتى منتصف القرن العشرين فإنّ قصائد غزل " حافظ " (١)

(١) شمس الدين محمد الحافظ. ولكن نشرت طبعة صريحة في باريس عام ١٩٢٧، ولا تنس أن باريس " سباقه " ! وربما يقال أنّ الغزل بالمذكر ليس كله لواطاً في الشعر العربي لأنّ القافية والإعراب فرضت إلي حد كبير علي بعض الشعراء، الغزل في الحبيب وليس الحبيبة. وهي وجهة نظر، ولكن لا نميل إليها كل الميل، لأنّ هذه الضرورة اللغوية، لم تظهر في الشعر الجاهلي ولا شعر عمر بن أبي ربيعة علي سبيل المثال ..



ما زالت تحور لتلائم أخلاقيات الأوروبيين والأمريكيين ( أنظر طبعة كامبريدج - أمريكا - ١٩٤٧ ) كذلك حذفت أبيات الغزل بالمذكر من رباعيات الخيام عندما ترجمت. وفي عام ١٩٦٩ قال " شارلس يلات " إن الحياء والحشمة تحولان دون ترجمة الجاحظ ترجمة أمينة، لما في كتاباته من صراحة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي. كما اعتذر في الطبعة الأجنبية لتحقيقه لكتاب محاورة الجوارى والغلمان .. وإن كان لم يجد ضرورة للحياء في الطبعة العربية التي نشرت في بيروت ١٩٥٧ .

وقد أدان مارتن لوثر ( ١٤٨٣ - ١٥٦٤ م ) فعل قوم لوط المخالف للطبيعة الذي غرسه الشيطان فيهم".

" وكذلك جون كالفن ( ١٥٠٩ - ١٥٦٤ م ) مفلسف البروتستانتية أدان كل أنواع الجنس التي لا تستهدف الإنجاب".

وكما أشرنا فإن القانون مازال يطارد حتي اليوم - في أوروبا وأمريكا - النشاط الفكري للوطنيين، وكما يقول مؤرخ الشذوذ الجنسي في العالم المسيحي، جون بوزيل، لم يحدث أن تعرض الشواذ لاضطهاد طوال تاريخهم في الغرب، لمثل ما تعرضوا له في مطلع القرن العشرين وكنا نعرف كيف تحطم " أوسكار وايلد " في بريطانيا الديمقراطية والليبرالية والتحررية لأنه كان يعشق شاباً. وكما ذكرنا لم يجد الاتحاد السوفيتي تهمة يدمر بها سمعة " أندريه جيد " إلا اتهامه بأنه

---

لوطي .. والخواط كان منتشرًا ومقبول في المجتمع المملوكي المنهار في مصر أكثر منه في جيش نابليون الذي كان يضم زهرة شباب فرنسا (١).

وقد أشرنا إلي أن من قوانين الانهيار الحضاري، العجز عن اكتشاف سر الانهيار، وبالتالي العجز عن مواجهته، ولكن المجتمع يحس بأنه سائر إلي

(١) في تراجم الجبرتي " ومات البليغ النجيب والنبية الأريب نادرة الزمان وفريد الأوان أخونا، محبنا في الله تعالى ومن أجله السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب ... . ولما وردت الفرنسية لمصر اتفق أن علق شاباً من رؤساء كتابهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالماً ببعض العلوم العربية .. فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر .. وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق مما قاله فيه.

علفته لؤلؤي الثغر باسمه فيه خلعت عذاري بل حلا نسكي

ولم يكن هذا الفرنسي هو وحده عشيق الشيخ بل كان هناك آخر اسمه ريج أغلب الظن أنه أيضاً من جنود الحملة الفرنسية لأنض المؤرخ لم يزد عن قوله: وله في آخر يسمي ريج .. . ثم أورد أبياتاً في الغزل بريج هذا منها:

واصل بنار الخد قلبي      واطفه ببرد ثناياك الشهية والثغر  
أريج ذكي المسك أنفاسك التي      أريج شذاها قد تبسم عن عطر.  
ولما وقفنا للوداع عشية وأمسي      بروحي يوم جد النوي سيري.

ولما قال الشيخ حسن العطار قصيدة " عارضه المترجم المذكور بقوله في معشوقه الذي ذكرناه .. " إلخ.

وليس عشق الشيخ للفتى الفرنسي هي قضيتنا ولكن ترجمة الشيخ الجبرتي الذي أورد ذلك ثم لم يأخذ علي الشيخ الخشاب من العيوب إلا خضوعه لزوجته .. " مع أنه كان كثير الانتقاد علي غيره فيما لا يداني فعله وانقياده إلي هذه المرأة وحواشيها .. نسأل الله السلامة وحسن العاقبة...".

أما عشق جنود جيش الاحتلال فلم يجد فيه الجبرتي ما ينقد !! .  
وقارن هذا بما سنذكره عن عشق صديق ابن حزم الظاهري لجندي في جيش البربر!!

الزوال. ومن ثم تقع انتفاضات تحاول وقف عجلة التاريخ أو مقاومة إرادة الغناء التي توجه المجتمع نحو مصيره. ومن هنا تتفجر نوبات " عفة " فتلغي القوانين التي تبيح " الحريات " الجنسية. وتشن الحملات علي " الشواند " الذين يجلبون الدمار للمجتمع، أو يثيرون غضب الرب .. ويغفل الجميع عن أن هذه هي ظواهر الانحلال الحضاري، وليست مسبباته .. إذا صحّ هذا التفسير لفهم الموجات المحافظة في الغرب، فإنّ تفسيراً لا يقل أهمية يحتاج لتأمل. وهو عنف العداء المسيحي للجنس، وبالذات اللواط، ليس من الناحية العقائدية بحكم سيطرة التفكير التوراتي علي المسيحية، بل أيضاً تاريخياً، لأنّ نهضة أوروبا، أو نهضة الحضارة الغربية المعاصرة اقترنت بحملة شعواء علي " اللواط ". واتهام جميع الخصوم الحضاريين أو المذهبيين بممارسته، من المسلمين إلي شعوب أمريكا اللاتينية حتي فرسان الهيكل! فالتكوين المسيحي - الغربي شديد العداء للواط، يشعر بالهزيمة الحضارية أمام انتشارها، إلا أنّ هذا الانتشار الساحق " الديمقراطي " في الغرب هو دليل انهيار هذه الحضارة .. وهو لن يتوقف إلا إذا جوبهت بتحدٍ حضاري، وكان بها بقية من قوة تجعلها تستجيب لهذا التحدي. كما استجابت للتحدي الإسلامي وانتصرت عليه بعد عشرة قرون من الغيوبة والانهزام .. وليست مصادفة أن يعكف فلاسفة الحضارة الغربية علي تنظير التحدي الإسلامي مرة أخرى - باعتباره العدو الذي يمكن هذه الحضارة اليوم من توحيد صفوفها والنهوض مرة أخرى - ويتلازم هذا البحث عن العدو الإسلامي - مع حملة جديدة شرسة ضد اللواط. لعلها كانت خلف الإعلام الذي فاز به مرض الأيدز - بل ويعتقد البعض أنّ كراهية اللواط خلف تقاعس الولايات المتحدة بالذات عن معالجته!!!.

وقد مرت علي الحضارة الإسلامية نفس قوانين النشوء والارتقاء والتدهور أو الصيرورة والعدم، القانون العام الذي تخضع له كل الكائنات المادية. والمجتمع الإسلامي ليس إلا ظاهرة مادية، وإن استرشد فترة بعقيدة غير مادية.

وأنا أعتبر نقطة التحول في الحضارة الإسلامية أو الذروة، هي تلك  
القصة

الرمزية عندما تحدى هارون الرشيد، السحابة العابرة أن تمطر خارج سلطة جباة ضرائبه! وقد سجل المؤرخون بعد ذلك تمزق الوحدة السياسية للدولة الإسلامية ولكن المؤرخ الحضاري سيسجل الوصول للقمة، وظهور نتائج النمو الحضاري، في العلوم والمخترعات، والثروة الهائلة، والثقافة، والفنون، ثم الترف المادي والفكري والسلوكي، بدأ عصر الحضارة الإسلامية، بعد الحضارة الإغريقية والرومانية ..

كانت بغداد قد بنيت عام ٧٦٣ م في نفس موقع كيش عاصمة الحضارة السومرية، وبدأت التكنولوجيا المتراكمة عبر التاريخ. وبجهود كل الحضارات السابقة، تتفاعل في حضارة الفكر الإسلامي، الذي يؤمن بحرية البحث، ورفض التقيد المسبق، والمتحرر من العنصرية!!!، أو التعصب ضد حضارة أو ثقافة جنس معين!!!، وغير الخاضع لإكليروس علمي، بالإضافة إلى الأمانة العلمية النادرة، مما جعل كثيراً من المؤرخين الذين يحترمون أنفسهم يعتبرون المسلمين، أول من أقام " علم التاريخ " وذلك في كتابة الحديث، وتحري المحدثين.

وكذلك فإن الكشوف العلمية التي كانت مجرد احتمالات أو نظريات، أو امتيازات شديدة الخصوصية أو في إطار ثقافة شديدة العزلة. وعدم القابلية للانتشار، كل هذا تحول في البوتقة الإسلامية إلى حقيقة علمية أو متداولة، ومتاحة للجنس البشري كله. فالمؤرخون الغربيون شديدي الحرص علي نسبة الورق للصين، مع التسليم والاعتراف من جانبهم بأن العرب هم الذين قدموا الورق للعالم. ونحن نضيف إن الورق في الحضارة الصينية، كان ظاهرة شديدة الخصوصية، تماماً كما لو أثبتنا أن الصين سبقت مصر أو العرب إلى اكتشاف الكتابة. فسيبقى الحرف العربي أو الفينيقي هو وحده الذي كان مهيناً لكي يلعب الدور العالمي. والنقلة الحاسمة في تاريخ البشرية. كما أن لغة الصين مهما أوتيت من بلاغة وعلم وثقافة. فإنها تشكل بصيغتها المعقدة، قيلاً ذاتياً علي انتشار معلوماتها. ولا أقول إن اللغة العربية وحدها، من ناحية تقدمها وصلاحياتها للتعبير

في شتى أوجه المعرفة، مما جعلها لغة العالم الأدبية والعلمية لأكثر من أربعة قرون، واللغة المكتوبة لعدة شعوب لا تتكلم العربية .. ولا المعرفة الإسلامية المتقدمة، ولا موقع الحضارة العربية - الإسلامية جغرافياً وتاريخياً. لا أقول إنَّ هذه شكلت العامل الحاسم في اختراع الورق أو جعله ظاهرة إسلامية بالدرجة الأولى، بل في اعتقادي، إنَّ العنصر الحاسم هو الموقف الإسلامي من " الكتاب " .. ومن " القراءة " و " الكتابة ". فالحضارة الإسلامية تقوم علي " الكتاب " ..

ما من حضارة أخرى قبل الإسلام لعب فيها " الكتاب " الدور الذي مثله ولعبه في الحضارة الإسلامية .. بل إنَّ تريب الأمم في التكريم وحسن المعاملة ينبعث عندها من امتلاكهم لكتاب، فالمسيحيون واليهود لهم حقوق خاصة في الدولة الإسلامية، وامتيازات في التعامل لأنهم " أهل الكتاب " !!!؟؟؟ وقد شهد مؤرّخ يهودي - عن حق - أنَّ هذا كان أول تكريم يناله اليهود من الأميين! .. بل إنَّ الدولة الإسلامية عندما عاملت مجوس إيران نفس معاملة أهل الكتاب، بذل الفقهاء جهداً في تبرير ذلك بأنَّ الفرس كان لهم كتاب ولكنهم ضيعوه ..!؟؟؟؟.

ولكن أهم من ذلك، أنّه حتي في الحضارات أو الديانات التي امتلكت " كتاباً " شبيهاً بالقرآن، فإنَّ وضع " الكتاب " في الحضارة الإسلامية يختلف جذرياً .. ففي اليهودية والمسيحية، كان " الكتاب " أولاً لا يحمل هذا الاسم بل " العهد " أو "العقد " الكونتراتو " بين الله والمؤمنين. فالكتاب شيء مقدّس يحق للخاصّة وحدهم تداوله وفهمه وقراءته، وتصف مؤرخة غربية التقدم الثقافي في أوروبا في القرن الثالث عشر فتقول: " لم تكن هناك أسرة أرستقراطية في جنوب فرنسا، إلا وفيها شخص واحد علي الأقل يستطيع الفخر بأنه قد قرأ كتاباً. وعدة أفراد يجدون لذتهم في لعبة عقلية " ( مثل الشطرنج ). ويمكن القول بكل ثقة إنه من القرن الثامن الميلادي وإلي الحادي عشر لم تكن توجد أسرة في العالم الإسلامي. فيها شخص واحد فوق سن السابعة لم يقرأ كتاباً واحداً علي الأقل!؟.

فالمسلم يبدأ بقراءة القرآن، ولكي يفهم القرآن يجب أن يدرس النحو فإنَّ أراد

التفسير لزمه الحديث والشعر والبلاغة، وإن أراد ضبط صلاته وصيامه، كان عليه أن يلمّ ببعض قواعد الفلك والحساب، فإن أراد فهم حقه في ميراث أهله، احتاج إلي علم الجبر .. إلخ .. ثم لا وجود لكاهن يمتلك كل الأجوبة .. ولا حدود علي المعرفة، وطلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة، وطلب العلم مأمور به ولو كان العلم في الصين المجوسية ..

باختصار.. لا يمكن تصوّر المجتمع الإسلامي بدون " كتاب " حتي في أحلك العصور ولقد رمي " المتحررون " والملاحدة علماءنا بالتخلف لأنهم يقرأون الكتب الصفراء. فنحن نقرأ ولو لنزداد جهلاً أو تخلفاً!!! ..

وقلما يأتي ذكر مدينة من مدن الحضارة الإسلامية، التي بقيت أو سقطت إلا ونذكر مكتبتها العامة أو مكتبة الأمير وما بها من مجلدات، وصلت في قرطبة في القرن التاسع الميلادي إلى أربعمئة ألف كتاب، أو ما يكفي لإعطاء جميع رجال الدين في أوروبا كلها كل واحد كتاباً خاصاً، ويبقي الكثير .. وما من ترجمة لعالم أو باحث أو فقيه أو شاعر إلا وتذكر مكتبته الخاصة وما بها من كتب لا تقل عن عشرة آلاف كتاب بأي حال، أمّا كتب بغداد فقد صبغت النهر بحبرها عدة أيام أو أسابيع أو شهور - قل ما شت - وعبر عليها حيش الغزاة ..

وفي كتابي " المسلمون والروس " أوردت ما كتبه ابن سينا في وصف مكتبة أمير سمرقند وكيف كان بها قاعة خاصة لمؤلفات الإغريق. تحتوي علي مؤلفات لم يسمع بها ابن سينا حتي زار المكتبة.

فالكتاب كان ضرورة إسلامية، ولا يمكن تصوّر الكتاب علي أوراق البردي الفادحة التكاليف، ولا علي الكاغد والعظام والأحجار أو ما شابه ذلك " من طعام إخوانكم الجن "!!! .. كان لابد من ظهور الورق، فالكتاب كان حاجة إسلامية، والورق هو مجرد الابن الشرعي لهذه الحاجة. مثل النفط عرفه العرب قبل أمريكا بقرون، ولكن " الطاقة " الأمريكية والغربية، كانت بحاجة إليه ومن ثمّ لهم سبق في طرحه عالمياً كمصدر للطاقة ..

تقول راي تاناهيل " إن لقاء العقل العربي المبدع مع اكتشاف صيني ( الورق ) خلق ثورة ثقافية وحضارية في كل تركيبة الغرب ( أوروبا ) لم يكن بوسع أحد - وقتها - التنبؤ بأبعدها. وقليل من اعترف بها بعد ذلك " ..

كذلك الصفر الذي يُنسب للهنود، لم يكن ليأخذ مكانه في التاريخ والعلوم، لولا التقدم العلمي والحضاري العربي، الذي جعل الأرقام الرومانية حجر عثرة في سبيل هذا التقدم، ومستحيلة الاستمرار ..

باختصار إن محاولة البعض نسبة المنجزات العلمية والحضارية العربية لجذور غير إسلامية، محاولة مغرضة فاشلة، لأن الحضارة الإسلامية مثل غيرها تمثلت ما سبقها من معرفة، وأفرزتها في صيغة متقدمة وأكثر شمولاً وانتشاراً وأضافت إليها كمًا ونوعًا .. تقول نفس الكاتبة: " خلال الفترة من القرن الثامن إلي القرن الثاني عشر كانت كل المعرفة الإنسانية محصورة في يد المسلمين، من جند نيسابور إلي بغداد إلي القاهرة إلي صقلية إلي أسبانيا، كان يجري نقل طب اليونان، والأرقام الهندية ( التي ستعرف بالعربية ) (١)، والتي حلت محل الأرقام الرومانية الغبية. وكانت ثورة في الرياضيات والعلوم، وكل أوجه الحياة؛ صناعة الورق الصينية التي غيرت عالم الثقافة والدراسة، والقوس العربي الذي غير وجه الحرب، وقائمة فخمة من السلع المترفة مثل الحرير المشجر، الزجاج الملون، المعادن المشغولة، أو المكففة، السراير ذات البراقع الكلة ( الناموسية )، السجاد. ألوان جديدة للصبغة، القباب في فن العمارة. المرايا الزجاجية، الحمامات العامة، المستشفيات العلمانية .. والظنهور والطوبة، وأخيرًا الحكايات والأساطير

(١) إخواننا المغاربة، ضحية سوء فهم علي ما أعتقد في إصرارهم على استخدام الأرقام الإفرنجية 234 علي أساس أنها هي العربية لأن اسمها كذلك في اللغات اللاتينية. ووجه الخطأ أن المقصود هو النظام العشري في الترقيم الذي جعل من الممكن كتابة العشرين هكذا ٢٠ وليس XX كما كان في الأرقام الرومانية أو اللاتينية. فهذا هو المقصود بالأرقام العربية .. وليس الشكل.

التي ألهمت بوكاسيو وتشوسر، فون ايسغنباخ وأخيراً لا فونتين " .

فإنهضة الأوروبية قامت بالكامل علي منجزات بل وحتى خرافات الحضارة الإسلامية، ولكن عملية التلقي والتلقن ما كانت لتتم بنجاح أو تحدث نهضة حقيقية، إلا لأنها تمت في ظل الحرب العامة ضد الحضارة الإسلامية، وهكذا أمكن أن يتعلموا منا الطب ويتهموننا بالشعوذة، ونقلوا عنا الأرقام واتهمونا بالغيبيات والقدر! وأخذوا عنا الورق!!، وتركوا لنا الأمية. وتعلموا منا الرماية والأسلحة الحديثة باستعمالها ضدنا .. ألبسناهم الحرير وعلمناهم النوم علي السرير والاستحمام وتحدثوا عن قذارة العربي.

علمناهم احترام المرأة فملأوا الدنيا بحديث الحرير واللواط عند العرب!.

ربما أساءت أوروبا السلوك، وربما أدانها التاريخ بالعقوق والكذب. إلا أن عذرها، أنه لا يمكن لمفتون أن يقهر التحدي، ولا حتي أن يتقن نقل التقدم.

وتؤكد تناهيل أن أوروبا " نقلت التقدم المادي من العرب ولكنها رفضت الفكر أو العقيدة " وهذا ما بُحَّت أصواتنا في تلقينه لأبنائنا، فأفسد تفكيرهم عملاء الغرب، دعاة الانفتاح والزعم بأن التقدم لا يكون إلا بنقل العقيدة.

وفيما يتعلق بالمرأة تقول " تناهيل " أنه بالرغم من الحملة علي الأخلاق والسلوك العربي، فإن بعض الأفكار تسربت دون أن يلاحظ أحد مما ساعد علي تغيير عقل المسيحية، كما غيرت المنجزات المادية ( الإسلامية ) وجهها، وكانت النتائج مذهلة، فإن أغاني الحب العربية، التي أفرزها مجتمع لا تزال المرأة فيه حتي اليوم تحل مركزاً تابعاً ( هذه نقطة ناقشناها في غير هذا المكان وإن كنا لا ننفي أن المرأة المسلمة المعاصرة لا تتمتع بالحريات ولا المكانة التي كفلها لها الإسلام ) هذه الأغاني هي التي كانت المحرك الذي غير نظرة الغرب للمرأة. ( وهي تقصد هنا ما اتفق عليه المؤرخون، من أن أغاني الغزل في المرأة وما يتبع هذا " الغزل " من خلع صفات شاعرية نبيلة سامية عليها ) إنما جاءت من أسبانيا عبر



جبال البرانس، فغيرت تمامًا نظرة أوروبا المسيحية للمرأة، رفعتها من المرتبة الدنيا التي كانت فيها، إلى مرتبة " اللادي " أو " السيدة " التي ينحني لها النبلاء ويقاثلون في سبيل نظرة إليها، وتطور ذلك إلى تحرير المرأة واحترامها. وتضيف إنّ الذي علّم أوروبا المسيحية، حبّ مريم العذراء هم شعراء التروبادر تلاميذ العرب.!!!!

وإذا عدنا للمجتمع العربي، فسنجد أنه في هذه الفترة بالذات، شاعت الثقافة اليونانية بين المثقفين المسلمين، وسيزداد شيوعها، حتى تصبح ظاهرة عامة، حتى نجد الشعراء يرددون أسماء الأغرّيق، وكان أرسطو وسقراط والإسكندر وجالينوس من قبيلة بنى عبس، بل ربما أكثر شيوعاً. وإذا كان يُقال أنّ المترجمين العرب، لم يترجموا آداب الإغريق، لما بها من عقائد مخالفة للإسلام، أو " انحلال " فالأحري أنّ نقول إنّ تراجمهم لم يكثر نسخها ولا انتشرت مثل كتب العلم والفلسفة، ولكنهم قرأوها وترجموها، وتداولوها في أوساط الخاصة<sup>(١)</sup>. ومهما اتسعت دائرة المعرفة وديمقراطية المعرفة فلا بد من خاصّة تتقن لغات أجنبية أكثر وتتذوق نوعاً خاصاً من الثقافات النادرة أو حتى المحرّمة أو التي لا تتجاوب مع ذوق العامة. ونستطيع أن نرجع الكثير من الروايات بل والتفاسير والصور الفنية والميول " المنحرفة " إلى ثقافات يونانية ورومانية، حتى إذا لم نجد - اليوم - تراجم هذه الثقافات في المكتبة العربية، وما أقل ما بقي من هذه المكتبة، خاصة وأنّ هذه الكتب هي أول من يصدف عنه القراء وتستغني عنه المكتبات مع زوال المناخ الحضاري الخاص الذي أفرزه وجذب المثقفين إليه.

فالجاحظ ومن نهج نهجه، في عقد المقارنة بين الجوّاري والغلمان تأثروا بما

(١) وربما أيضاً لأنّ المثقف العربي قد ربّى علي احترام النصّ، فما كان بوسعها أن يزيّف النصوص لتتفق مع الأخلاقيات المعلنة، كما فعل المثقفون الأوروبيون، ففضل المثقفون العرب عدم نشر أدب الإغريق علي تزويره.

كتبه الإغريق والرومان (١) والأقوال المنسوبة لأبي نواس بأنه كان مزدوج المزاج، متأثرة باللغز اليوناني المعروف (٢).

وهارون الرشيد بالذات الذي نعتبره قمة النمو الحضاري الإسلامي، هو الذي اتهم ابنه الأكبر بعشق الغلمان، وهو أول خليفة يتهم بذلك في التاريخ الإسلامي وربما كانت هناك مبالغة في الروايات التي ذكرت عنه، وربما كان الجهاز البرمكي خلفها، إلا أننا لا نستطيع رفضها بالجملة. وتزعم هذه الروايات أن أمه، وكانت من شهيرات التاريخ وفضليات النساء، حاولت مقاومة هذا الاتجاه فيه، بنفس الأسلوب الذي مازالت تحاوله الأمهات الصالحات في أمريكا في القرن العشرين، وهو لفت انتباهه للفتيات، ولو بالزاهن بالتري بزي الغلمان، وعُرفن في التاريخ باسم " غلاميات الأمين " (٣)، وقيل إنه خسر حربه مع المأمون لأنه كان منشغلاً بغلامه " وصيف " في صيد السمك .. وحكايات المغاضبة والمصالحة بينه وبين غلامه، عديدة، وستكرر في سيرة أكثر من خليفة وأمير وشاعر، والغريب أنها وردت دون تحوير أو تبرير في الأدب العربي بل والشعبي بالذات، ولعدة قرون بعد ذلك.

والأمين كان جميلاً وأبو النواس علي علاقة به من قبل توليه الملك والأمين

(١) أنظر كتاب " بلوتراخ " عن الأخلاق ( في مطلع القرن الثاني الميلادي ) فقد عقد فيه فصلاً عن حوار عاشق الغلمان وعاشق الجوارى. وردت فيه حجج من طراز: " أن زيوس كبير الآلهة أخذ معه غلاماً وليس امرأة. والمقصود هو الفتى جانيمة الذي يقوم بمهمة الساقى والنديم في الجنة الإغريقية لزيوس هذا " .

(٢) وهو لغز من مرحلة الانحلال الحضاري كانوا يتسلون به وهو: " ثلاثة في سرير ولكن أربعة أفعال تتم " ؟! ( منشورات كامبريدج ماسوشتس ١٩١٩ - ١٩٢١ ) .

(٣) لاحظ ما أشرنا إليه من اختلاف مقاييس الحضارة في نشونها وانهيائها، فبعد التغني بعائشة بنت طلحة التي كانت إذا اغتسلت قائمة لا يبتل فخذها لا من أمام ولا من خلف، لضخامة بطنها وعجيزتها، وكان يضرب المثل بعجيزة هند، صار المزاج العام هو " الغلامية القد " !.

بويع وعمره ٢٢ سنة ومات وهو في سن السابعة والعشرين وكان  
دعوة أبي نواس استجيبت لأسفهما فهو القائل:

إن الذي يُرضي الإله يهديه ملك تردى الملك وهو غلامٌ  
بارك الله للأمين وأبقا ه وأبقى له رداء الشباب

وهناك أبيات يصعب أن يبعد قارئها عن خاطره صورة الأمين وخاصة  
ما بها من إشارات وتلميحات من شاعر بني شهرته علي التهتك  
والمجاهرة، وفي زمن كان التغزل بذكر الاسم ليس مستنكراً، إلا أن يكون  
الخليفة بالطبع وهذا بعض مما عثرنا عليه.

فهو أولاً لا يتحرج أن يبدأ قصيدة في مدح الخليفة بغزل في غلامه:

يسقيكها ذو قرطق يلهي ويُعجل من حبس  
خنت الجفون كأنه ظبي الرياض إذا نعس  
أضحى الإمام محمداً للدين نوراً يقتبس  
ويا من لا أسميه ولا أسراره أبدي  
ويا أطيب من مسك ويا ألين من زبد  
ويا من كالثريا ه وبل أبعد في البعد

وتذكر أن الأمين هو ابن زبيدة!

وماجد في الفرع من هاشم  
مُحَنَّتِ اللَّفْظَ يَسْبِينِي بِمَقْلَتِهِ  
سَلامَ عَلِيٍّ شَخْصًا إِذَا مَازَكَرْتَهُ  
فَإِنِّي مَضَمَّرٌ أَمْرًا  
أزور محمدًا فإذا إلتقينا  
فأرجع لم أله ولم يلمني  
أمر ليس يعرفها سوانا

إذا انتمي طار بعباسه  
مقرطق قرشي الوجه عباسي  
حذرت من الواشين أن يهتكوا سرى  
أنا منه علي خطر  
تكلمت الضمائر في الصدور  
وقد رضي الضمير عن الضمير  
يحستير لطفها بصر البصير

ويقول:

إني لصب ولا أقول بمن  
إذا تفكرت في هواي له  
إني على ماذكرت من فرق  
أخاف من لا يخاف أحد  
مسست رأمي هل طار عن جسدي  
لأمل أن أناله بيدي

علي آية حال التهمة عبرت القرون والقارات حتي أثبتها صاحب  
العقد الفريد، وهو ليس بالسند الصحيح ولا كتابه كتاب تاريخ، وإن كان  
يوصف بجامع الشائعات التاريخية .. قال صاحب العقد الفريد: " إنَّ  
الحسن بن هاني قال في أمير المؤمنين الأمين اللوطي:

رشأ لولا ملاحظته خلت الدنيا من الفتن  
كل يوم يسترق له حسنه عبداً بلا ثمن  
يا أمين الله عش أبداً دم علي الأيام والزمن

### تفشي اللواط في الأندلس الإسلامي:

وإذا كان من المفيد للمهتمين، عقد مقارنة بين تفشي اللواط كظاهرة حضارية في الأندلس الإسلامي، " وتظهر " أو تزلت المسيحيين فيما تحول إلي أسبانيا، البرتغال في فترة سقوط الأندلس. وذلك لفهم قوانين نشوء وسقوط الحضارات، علي ضوء النظرية التي نطرحها، إلا أنه من الضروري التنبيه إلي أن المجتمع المسيحي، لم يكن أفضل أخلاقاً في تلك الفترة، ولا حتي أقل لوطية من ناحية الممارسة الفعلية. كذلك يجب النظر بتحفظ شديد، أو بالأحرى الرفض باحتقار لأدبيات الحرب الصليبية التي شنت ضد المسلمين والتي حاولت أن تجعل من " اللواط " ظاهرة إسلامية، وكأنها لم توجد قط ولا عرفت بين المسيحيين فضلاً عن الأوروبيين! تماماً كالإعلام المنحط حول ظاهرة العبيد، وكان المسلمين فقط هم الذين " اخترعوا " ومارسوا الرق رغم حقيقة وجود عشرين مليون إفريقي في أمريكا المسيحية استرقهم ونقلهم وباعه أوروبيون مسيحيون .. بل وأن نسبة هائلة من هؤلاء العبيد من أصول مسلمة .. ولكن الموقف المسيحي طبيعي، لأن من قوانين البعث الحضاري؛ التعصب، واحتقار المنافس أو الغريم، وتجريده من كل الفضائل واتهامه بكل ما يبزر إبادته .. في كتاب تبشيري مطبوع في القاهرة يشيد بنعمة الرب حيث قامت الكتدرائية فوق نفس المكان الذي كان ساحة لبيع العبيد في بلد إفريقي مسلم! ولو كان المبشر صادقاً لقال لمن كان يجري تصدير العبيد!؟.

وفي موضوعنا بالذات نشير إلي قصيدة راهبة ألمانية ( Horswitha ) شاعت في القرن العاشر

عن " شهيد " مسيحي، هو فتى ( Pelagrus ) عشقه ملك قرطبة المسلم، ولكن الفتى رفض الإستجابة لغزل الملك، ورفض قبلته مما أدى إلى إعدامه .. والقصيدة - كما يفسرها جون بوزول - بحق، لا تعكس رفض اللواط في حد ذاته، ولكن رفض الفتى المسيحي أن يمارسه مع مسلم. لأنّ المسيحي الذي تعمّد بالماء المقدس وطيب بزيت المعمودية لا يُعطي فمه لوثنى، ولا يعانق عابد أصنام من طين ". ومدى الصدق في القصة يمكن الحكم عليه " بالدقة " في وصف عقيدة المسلم! ولكنها علي أية حال تعكس تصلب المسيحي وشعوره بالترفع أو السموّ العقائدي، وهي مؤشرات الصعود الحضاري، وبالمقابل فإنّ تهتك الأمير المسلم، وقبوله المهانة أمام الغلام المسيحي، وكل الذين عاشوا أحداث القصة، و " تسامحه " وحبّه " للعدو " المسيحي، هي دلائل الهبوط الحضاري، لأنّ الحضارة المسيحية كانت في مسيرة الصعود، ولو كان القرن العاشر هو قمة التخلف الظاهر. [ تعليق: التأويل الشخصي للكاتب، ومحاولته دائماً البعد عن المعنى الحقيقي لمضمون القصة، وهو أنّ هذا الفتى الشهيد العفيف المضطهد، الذي قتل حتى لا يمارس الخطيئة، لأنها تعدي علي الله، ومحاولة تفسير ذلك من خلال صعود وهبوط الحضارات، ما هو إلا تسطيح للفكر وانحطاط في الفهم للعقيدة المسيحية التي تدعو إلي الطهارة والعفة ].

أما الحضارة الإسلامية فكانت في مرحلة الهبوط، كل ملوك الطوائف كان شعرهم أحمر من مصاهرة المسيحيات، ونسبة هائلة من قصص عشق الغلمان تدور حول فتية مسيحيين. وبعض المسلمين كانوا لا يسكرون إلا في الدير لمغازلة الشمامسة، وصغار الرهبان، و " المؤتمن " " أمير المؤمنين " في " سراقوس " كان مشهوراً بعشق غلامه المسيحي، وأحد كبار الشعراء تنصّر إكراماً لغلامه المسيحي، وعانق حبيبه أمام المذبح والقس بعد إتمام مراسم التنصير!.

وذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الرويدى في كتاب اللفظ والإصلاح: أنّ إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة مع علو طبقتهم في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة، " وقع في ما حرم الله عليه بسبب فتى نصراني عشقه، بأن وضع له كتاباً في تفضيل التثليث على التوحيد فيا غوثاه .. عيذك يارب من تولج الشيطان ووقوع الخذلان " ص ١٣٠.

كلاهما فعل اللواط، ولكن الفتى النصراني اشترى به تعصبه العقائدي  
وشيخ المعتزلة عبر به عن تحلله أو تحرره وانهيأه الحضاري !!!؟.

" وكنت أنظر إلي غلام نصراني حسن الوجه، فمربي أبو عبد الله  
البلخي فقال إيش وقوفك؟ فقلت ياعم .. أما تري حسن هذه الصورة ..  
كيف تعذب بالنار؟! "

ذلك أنّ الحضارة الإسلامية كما قلنا كانت في طريق الأفول، رغم أنها  
في قمة تألقها وازدهارها بل وحتى تفوقها الفكري الظاهر .. ولكنه كان  
القصور الذاتي.

فقدت الزخم الحضاري، فقدت البداوة، الخشونة، التطهر، التعصب  
الحضاري المطلوب، وليس المذموم .. انتقل ذلك إلى خصمها بمستويات  
أكثر قسوة وخشونة، وتحيزاً وعنصرية، وأقل تفهماً وإنسانية !!!؟.

### المواجهة الحضارية في اللواط:

فإذا عدنا لحديث المواجهة الحضارية في موضوع اللواط بالذات، نجد  
أنّه قد حدث تبادل مزدوج وعلي مراحل. فقد تأثرت الحضارة الإسلامية  
بالتراث الإغريقي - الروماني فانتشر اللواط كظاهرة حضارية، أو ترف  
حضاري. وكدليل علي التميّز والسمو علي العامة أو الناس " العاديين  
"، وفي نفس الوقت تأثرت أوروبا بالمجتمع الإسلامي المتقدم، الذي كان  
بتفوقه الحضاري، علي جميع الأصعدة، يُشكّل المثل الأعلى للنخبة  
الأوروبية التي أتاحت لها الفرصة للدراسة في الجامعات الإسلامية، أو  
زيارة مدن النور الإسلامية، فتعرفوا علي تلك الحضارة الزاهرة  
والمتفوقة والمترفة في نفس الوقت .. .

فإذا كان الجاحظ كما أشرنا تأثر بمحاورات الغلمان والجواري في  
التراث الإغريقي - الروماني فقد أثر بدوره في الفكر الأوروبي فانتشرت  
محاورة " هيلين

وجاينميد " أو أيهما أقدر علي امتاع كبير الآلهة الشبيق(١) وأصبح " جاينميد " يتبع الذوق العربي(٢) فهو يوصف بأن " لحيته لم تبت بعد " بينما سجل بلوتراك أن سقراط " أحب Alcibiadss بعد أن نبتت لحية الفتى".

وإذا كنا نسلم بوجود اللواط كظاهرة حضارية في المجتمع الإسلامي، والأدب الإسلامي وإذا كنا نوكد المبالغة والتعصب من جانب الفكر المسيحي في اتهام الحضارة الإسلامية باللواط .. وذلك بهدف تعبئة الجماهير المسيحية ضد المسلمين. وأيضاً القضاء علي هذه الظاهرة في المجتمع المسيحي الصاعد. فإننا أيضاً، نحب أن نلفت الأنظار إلي بعض الملاحظات قبل أن ننتقل إلي تطوّر الموقف المسيحي من اللواط.

١- مبالغة الدراسات الغربية في اكتشاف اللواط، خلف كل لفظة أو علاقة بين ذكرين أو أنثيين .. فهم في الغرب، لا يعرفون الصداقة أو التحاب بدون جنس، ومازال الناس يستنكرون في أوروبا وأمريكا رؤية ذكرين يمشيان في الطريق وقد تشابكت أيديهما، فضلاً عن لف الذراع حول العنق بالتبادل، كما يمشي الولدان والبنات في الشرق، بل إن بعض الأبناء من المشرق، كان يتحرّج من مسك يد أبيه أو معانقته في بلاد الغرب حتى لا يتهمهما الغربيون! ولذا فالزعم مثلاً بوجود علاقة جنسية بين المعتمد والشاعر ابن عمار لمجرد أن " الأمير " لم يكن يطيق فراقه ساعة واحدة لا في الليل ولا في النهار " (٣) اتهام لا دليل عليه إلا هذا الشك الغربي أو الذعر الغربي من أية علاقة حميمة بين ذكرين؟؟؟؟!!

٢- وهذا يقودنا إلي ملحوظة أخري وهي أن المجتمع العربي لم يعرف

---

(١) وصف أحد آلهة الإغريق بأنه كان في حالة انتصاب دائم.  
(٢) قال مؤلف " المسيحية واللواط " أن مناظرة هيلين وجاينميد في القرن الثاني عشر متأثرة بألف ليلة أو حكاية " بدور ".  
(٣) عن جود بوزول ص ٢٨.



كظاهرة، اللواط بين الرجال(١)، ولا في أحلك عصوره، وهي ظاهرة شائعة في الغرب الآن. وفي الحضارة الرومانية(٢) بالذات أمّا في الحضارة الإسلامية، فكانت تدور حول عشق الغلام وهو ما بين البلوغ وظهور اللحية، التي يعتبر ظهورها نهاية للمرحلة ولا يجوز بعدها مطارحته الهوي، أو توقع ذلك الفعل منه ولذلك يشكو الشاعر اللوطي:

**نبتت لحية شقران حبيب الروح بعدى حَلقت لحيف أته قبل أن ينجز وعدي**

**ويتغزل آخر في غلام فيصفه بأته: وأخضر فوق حجاب الدرّ عاذره.**

**وفي رواية:**

**لما استقلّ بأرداف تجاذبه وأخضر فوق حجاب الدرّ شاربه**

**وقال:**

**بدر من الإنس حفته كواكبه وقد لاح عارضه وأخضر شاربه**

**والشارب هو أول ما ينبت للغلّمان، والإخضرار هو بداية ظهور اللون قبل أن يشتد ويسود...**

(١) سجل الجبرتي بارتياح شديد ظهور فرقة من أوباش الإمبراطورية العثمانية " يلوطون بالاختيارية " واعتبر ذلك من الفطائع!.

(٢) الإغريق عرفوا عشق الغلام الذي جاوز سن البلوغ ولكن لم يصبح رجلاً بعد وهي **Pederasty** ومن دراسة للمزهرات الجنسية الإغريقية كانت أغلبية صور اللواط الكبري المرسمومة عليها من نفس السن أي الكبار وهم الذين رسموا في حالة الوطء، ولكن الأكثر شيوعاً، هو التفخيز أو عبث الكبير بعورة غلام جاوز سن البلوغ، ولكن عند الإغريق أيضاً أن الديمقراطية أسسها لوطيان قادا معركة ضد طاغية أثينا فهما كانا قد تجاوزا مرحلة المراهقة بل والشباب، وفرقة طيبة المقدسة من المحاربين كانت تتكون أساساً من عشاق ومعشوقين على علاقة حب وجنس، أي لواط بين مقاتلين وليس غلمان، وأشاد الفلاسفة باللواط بين المحاربين " لأنهم عندما يقاتلون جنباً إلى جنب لا يمكن هزيمتهم لأنّ العاشق يقبل الموت ولا الإهانة أمام معشوقه ".

وعذار زانه من زغب الشعر لجام  
فأين لي أكعابٌ أنت أم أنت غلام؟!

أما الغلام المحترف أو الفاعل. المضطر للبقاء في المرحلة، فكان يحاول إطالة عمره المهني بإخفاء إنذارات التقاعد المتمثلة في بداية ظهور شعر اللحية ولذا يقول:

فاليوم إذ نبتت بوجهك لحية      وذهبت بملحك ملء كف القابض  
مثل السلافة عاد خمر عصيرها      بعد اللذاذة خلّ خمر حامض

أو يعزيه فاجر:

فان تك قد سالت نجديه لحية      فباطن .....

تذكر أخي ما قد مضي من شبابه!!

قال الوشاة بدت في الخد لحيته      أن سيل عني وعنه قالر صاحبه!  
وصار من كان يلحي في مودته

## اللواط في الأدب العربي

فاللواط في الأدب العربي كان يدور حول هذا اللون من العشق لمرحلة معينة في عمر الفتى، أو الأمرد، وهو الوصف الشائع في الغزل والأدب وفي النصوص الناهية والمحذرة من التطمع إليهم لما بهم من فتنة في تلك السن، لمن به ميل للواط .. ولعلّ هذا هو سرّ وعده سبحانه وتعالى للذين يعقون ويكبحون شهواتهم " ولدان مخلدين ". واللفظ المختار شديد التوفيق والتعبير، أي ولدان خالدى الولدنة، أي لايتجاوزون تلك المرحلة التي تفتن العربي المصاب بهذا الداء، بل تثبت الدراسات أنّها السنّ التي تغوي الغالبية العظمى من الذكور الذين سجّل لهم ميل لوطي مؤقت فمن قاومها وكبح نفسه عن الفعل، فله في الجنة ما اشتهى.

تماماً كما للشباب العفيف الذي صان نفسه عن الزنا بالفتاة التي  
اشتتهى، فله في الجنة " حور عين " كلما فضّ بكارة واحدة عادت بكراً،  
ولو فضّها سبعين مرة في الليلة، فما أطلّى البكارة في زمن الخلود الذي  
تسقط فيه الخبرة، كذلك من عقب نفسه عن الغلام الأمرد فله في الجنة "  
ولدان مخلدون " أي غلام يبقى أمرد إلى الأبد .. وهل جزاء الإحسان إلا  
الإحسان؟! ولنا إفاضة.

ومن مراجعة لأشعار بعض اللوطيين أو بالأحرى إمامهم نجد أنّ الغلام  
المعشوق يدور حول هذا السن ... أو علي وشك ( محتلم هنا إشارة إلي  
سن البلوغ ).

حين أوفي علي ثلاث، وعشر لم يطل عهد أذنه بالشنوف  
فيه غنة الصبا تعتليها بحة الاحتلام للتشريف  
حين رامى النساء منه بعين وطوى أختها من التخويف

والشنوف هو الحلق، ويفهم أنهم كانوا يضعون حلقاً في آذان  
الصبية إلي سن البلوغ. وهذا من التخنث الذي يصاحب مراحل الترف  
والانهيار الحضاري ويُرَى الآن في أوروبا وأمريكا ..

وآخر يهبط بالسن إلي:

ابن ثمان بعدها أربع طفل وكهل السن في ظرفه

ثم يهبط آخر أكثر:

شادن يكتب في اللو ح لتعليم هجاء  
أن الذي يتمني أمرد من نشئ الدواوين  
قد نشر الطومار في حجره مبتدئاً بالباء والسين

٣- أنها كانت ظاهرة ترف حضاري، ومن ثم شاعت في الأعمال  
الفنية، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر ابتداء من العصر العباسي الثاني،  
ملكاً كان أو أميراً أو فقيهاً أو متأدباً من غزل في غلام، وليس من  
المبالغة القول بأن التراث الأدبي

العربي في عشق الغلمان يفوق تراث الإنسانية مجتمعة حتي النصف الثاني من القرن العشرين. بل نقول أن الممارسة اليوم في الغرب أعلي نسبة بدون شك، كذلك فالكتابة قد تكون من ناحية الكم أكبر، إلا أن الأعمال الفنية التي تستحق هذه التسمية قليلة جدًا بعكس الحال في الحضارة الإسلامية، حيث

ولاحظ أن الأدب المكشوف أو ما يُسمّى بالبرونجرافي الذي وصلنا كان قاصراً على الجنس بين الرجل والمرأة .. ولكن بعض أشعار أشهر لوطي في الأدب العربي " أبو نواس " لا يمكن إدراجها في الفن .. فهي تدور حول السروال وحل التكة .. حتى ليتمكن وصفها بأدب " التكة " .

أغن كأنه رشاً ربيب	تمد بها إليك يدا غلام
ويفتح عقد تكتة الدبيب	يجر لك العنان إذا حساها
س إلي حلّ إزاره	وغزال تشره النفو
وأمكن منه ماتحيط به الأزر	سكبت له منها فخر لوجهه
من بعد إقضائي إلي اليأس	اسلس لي حلّ سراويله
ها من يدى ظلمّ وعدوان	فقام يسحب أذيالاً منعمة قد مس
هتكت مني الذي قد كان يصطان	يقول: يا أسفي والدمع يغلبه
كذا صروف ليالي الدهر ألوان	فقلت ليت رأي ظبياً فواثبه
وحسرنا قباهه الديباجا	فحللنا هناك تكة خز
هاشمي أصاب فيها المزاجا	مزج الكأس لي غزال أديب

إلى أن ينتهي معه كالعادة بحل التكة

.....	فقمتم حتي حللت منزره
د للعلم حصي المسجد	إذا ما وطئ الأمر
من التكة تستعقد!	فقد حلّ لنا عقداً
لها تكة أشتهي جرها	وإني رأيت سراويله
ت عقد رباط تكته!	ولا سيّما وقد غير
أدنيت خلخالية من شتفه	وكنت فيما بين ذا ربما

والشئف هو الحلق في الأذن....

تجد المؤرخ يورد ترجمة أحد المشاهير، وبدون أية رغبة في التشهير أو الادهاش بل بعد أن يشهد له بالعفة والتقوي والصلاح وطيب السيرة، يصرعك بقوله: " وله - غفر الله له - في غلام " ثم يورد بضعة أبيات غزل في غلام قد تكون متقنة أو ركيكة حسب مستوي العصر. ولكن ذلك لا يعني أنهم جميعاً قد مارسوه، أو أنّ نسبة الممارسة كانت بنسبة الأقوال الفنية، ولو أدين عمر بن أبي ربيعة بكل بيت قاله بتهمة الزنا لأدمى ظهره الجلد أو لرجم بعد أول قصيدة ..

ولما حاول أمير المؤمنين أن يدين شاعراً بشرب الخمر استناداً إلى إجادته وصفها، رد الشاعر بأن معرفة الخليفة بدقة وصف الشاعر أدعي للشبهة، فأسقط في يد الخليفة. فالحديث عن الغلمان وعشقهم إنما كان وثيقة مرور إلى المجتمع الثقافي، وبطاقة عضوية في نادي الصفاة، ولذلك لا نتصور وقوع، ولا نفهم استدلال مؤرخ اللواط في المسيحية، علي إباحة اللواط من قصيدة خيالية لابن الفراء، معلم الصبية في " المرية " بالأندلس التي يزعم فيها أنه اشتكى غلامه المتمنع إلى قاضي البلدة، فحكم القاضي بأن الجمال هو للاستمتاع. عندها عانق المعلم فتاه، بأمر المحكمة عناق اللام للألف. وبلغ من اقتناع الغلام بقرار المحكمة أنه طلب من الله أن يغفر له خطيئة التمتع. هذه خيالات فكرية لحضارة غريبة ولا تنس أن بقايا مدينة " المرية " هذه يحملون مفاتيح بيوتهم في الأندلس الضائع إلى اليوم في منقاهم بالمغرب.

وهذا ليس اعتذار ولا تطيباً لخاطر القارئ المسلم، فنحن نعتقد أنّ  
المجاهرة

أخطر عتلي المجتمع من الفعل ذاته، ونعتقد أن الممارسة موجودة في سائر المجتمعات وفي جميع المراحل أو حتي الرغبة لكي لا نُتهم بالمبالغة. ولكن المجاهرة، ولو " أفلاطونية " هب مؤشر الانهيار الحضاري، وهي من باب فسق مترفيها، فالمهم هو الموقف الحضاري والمناخ الذي تخلقه، وهذا هو أساس التحريم .. وهي الفاحشة .. وسبحان من اختار لفظة الفسق .. في حديثه عن انهيار الأمم .. فقال أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .. وإليك صورة من فسق مترفيها وانحلال الأمم. وردت في كتاب يُعدّ من أبرز المؤلفات الأندلسية: " طوق الحمامة " من تأليف الإمام الفقيه .. أبي محمّد بن حزم ١٠٠ المتوفى سنة ٤٥٦هـ.

وكان مستقبل الصراع الحضاري في " أندلسنا " قد حُسم لصالح المتخلفين، لولا هبة " متخلفة " من الشاطئ الإفريقي الإسلامي، أخرجت إبادة المسلمين.

كما كانت الحضارة المسيحية - الأوروبية لا تزال بحاجة إلي وقت لتستكمل مؤهلات الوراثة. ( ولاحظ وصف منجلي الأندلس لمنقذهم من الشاطيء الإفريقي بالبربر والمتخلفين .. إلخ ) ..

وهذه بعض نماذج مما ورد في الكتاب، بل إليك حكاية تداولتها الكتب عن المؤلف، وأوردها الناشر في عام ١٩٦٤ ميلادية بدون تعليق!!

" مرّ يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكّة الحطابين بمدينة أشبيلية، فلقبها شاب حسن الوجه، فقال أبو محمد ( ابن حزم ج ) هذه صورة حسنة، فقال له أبو عمر: لم نر إلا الوجه فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك ".

فقال ابن حزم ارتجالاً:

" وذي عدل فيمن سيأتي حسنه .. إلخ " .

والكتاب وضعه مؤلفه بناء علي طلب صديق كلفه أعزه الله بأن يصنف له: " رسالة في صفة الحب ومعانيه أسبابه وأعراضه وما يقع فيه " .

انتهى عصر الاستفتاء في الصلاة والإيمان والجهاد، بل حتى في الاعتزال والكلام وأصبحوا يُكلفون الكتاب بوضع مؤلفات في الحب، وهناك بالطبع من ألفوا بناءً على " طلب الجمهور " في أوضاع الجنس .. وقد أحسن ابن حزم إذ حصر كتابه في مشاهداته " فلم يستعرض الحب من بدء التاريخ " ومن ثم كانت فرصته أكبر في تقديم شريحة أكبر من حياة مجتمعه، وإن تكن مجرد شريحة ميكروسكوبية .. لذلك اعترف بتناقض أو تباين سبيل عصره عن سبيل العرب الأقدمين ( الذين أورثوهم الأندلس فضيعوها ): " فسبيلهم غير سبيلنا " ..

والكتاب من ثلاثين باباً: في أصول الحب عشرة، وفي أعراض الحب اثنا عشر باباً. وفي الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب، ثم بابان في قبح المعصية، والتعفف!!

هذه حضارة وصلت إلى ذروة الترف، نضجت وتعفت وأن سقطتها، خاصة وحفار قبرها يعيش متربصاً بينها.

وهذا الكتاب الذي وضعه في الحب، تجده يكشف فيه دون قصد عن بعض ثقافته، فهو يتحدث عن المغناطيس واتفاق أو اتصال جوهره مع جوهر الحديد. وقوانين الحركة التي تحكم العلاقة بينهما. ثم ينقل عن " أفلاطون " دون أن يُعرف قراءه به، واعياً بأنه أشهر من أن يُعرف لقراءه هؤلاء. وينقل من قراءاته في السفر الأول من التوراة، ويستنهج معلومات شائعة ولكن غير مؤكدة عما تسميه العامة بالوحم .. ثم يتفلسف فيورد قصيدة له اشهرت " بالادراك المتوهم " .. حافلة بالجدلية قبل أن تصل إلي علم " هيجل " الفيلسوف الألماني في القرن التاسع عشر.

يقول ابن حزم:

فكيف تجد اختلاف المعاني  
وياعرضاً ثابتاً غير فان

ترى كل ضد به قائماً  
فيايها الجسم لاذا جهات

ويقول: " والأضداد أُنداد .. والأشياء إذا أنوطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت ".  
ويررد في شعره مبدأ التثنية المنسوب إلي " ماني " .

ويقدم لنا معلوماته في علم الضوء، وهي بالطبع النظرية الخطأ التي سادت فترة طويلة، عن خروج شعاع من العين يقع علي الجسم فيراه. غير أن أخطر ما في حديثه - وإن ضاعت للأسف تفاصيله - هو إشارته لوجود رأي مخالف لذلك هو رأي " صالح غلام أبي إسحاق النظام " الذي " خالف في الإدراك فهو قول ساقط لم يوافق عليه أحد "!!.

فهل يكون صالح هذا الأب الحقيقي لعلم الضوء الصحيح؟! .. ولاحظ أن هذا العالم في الضوء الذي " خالف " النظرية السائدة في عصره هو غلام أبي إسحاق أي عبده .. واستنتج ما شئت عن وضع العبيد في دولة المسلمين ووضعهم بعد سبعة قرون في العالم الجديد!!.

هو يدرك تفوق سرعة الضوء علي الصوت، أو بتعبيره سبق الرؤية علي السمع. وهو يشرح لنا الفلك ويعرفنا أن الزمان هو حركة المادة في المكان وهو تعريف حديث جداً ولكن أبا محمد لم يبعد عنه كثيراً عندما قال إن الزمان " اسم موضوع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته وأجرامه " .

وتعرف منه أن هناك خلافاً بين علماء عصره حول الظل وهل هو متماد أم لا ..

وتعرف أنهم كانوا يعالجون الأمراض النفسية بنجاح، كما عولجت بنت أحد القواد التي اشتد بها حب زميل لها من أبناء الكتاب .. " إلي أن تدوركت بالعلاج " .

---



وهو إفراز مجتمع مفتوح بل هو متحرر إلي حدّ التحلّل .. تحتل المرأة فيه مكانة خاصة، وتمارس جميع أوجه الحياة باستثناء القوات المسلحة علي الأرجح، فهو نفسه يقول في ترجمته الشخصية أنّه تريب " في حجور النساء ولم يعرف غيرهن ولا جالست إلا الرجال وأنا في حدّ الشباب "...

ولنا أن نستنتج أنّه يدين بتعليمه الذي ألم بكلّ فن، وجعل منه فقيهاً أديباً ملماً بكل معرفة العصر من علم الضوء إلي فلسفة الإغريق، يدين بهذا كله إلي معلمات من النساء..! .. وهو أيضاً يعطينا فكرة عن الوظائف التي كانت تمارسها المرأة، خلال حديثه عن رسولة الغرام، وليس من باب حصر الوظائف .. ومن ثم ربما كان من حقنا أن نقبل هذا التعداد علي سبيل المثال لا الحصر .. فمنهن: " الطيبية والحجامة والسراقة والدلالة والمشاطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع في المغزل والنسيج وما أشبه ذلك" ..

وكان الرجال يجلسون مع النساء أو الضيوف مع الرجل وأهله ولا يستنكر ذلك الإمام الفقيه ابن حزم، بل ولا حتي يحتاج منه إلي تعليق، وإنما علمنا ذلك من خلال غضبته علي التحلّل الذي جعل رب البيت يتغاضي عن مغالاة ضيوفه لأهله بل وأكثر من المغالاة، فليس الاختلاط هو ما يثير شيخنا، بل " الديوث " كما قال وهو المفرط في عرضه وعرض أهله وعلناً! يقول:

" أذكر أني كنت في مجلس إخوان لنا، عند بعض مياسير أهل بلدنا، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضاً من أهل صاحب المجلس، أمراً أنكرته وغمزاً استبشعته، وخلوات الحين بعد الحين، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم، فنبهته بالتعريض فلم ينتبه، وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت أكرّر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان:

إنّ إخوانه المقيمين بالأمدس أتوا للزنا لا للغناء  
قطعوا امرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغباء

وأكثر من إنشادها، حتي قال لي صاحب المجلس: قد أملتنا من

سماعهما، ففضل بتركهما أو إنشاد غيرهما، فأمسكت وأنا لا أدري  
أغافى هو أم متغافل؟.

ونحن بدورنا لا ندري أمغفل ابن حزم أم متغافل؟.

هو مجتمع شديد الثراء مسرف في الترف والبذخ، إذ يزعم لنا ابن  
حزم أنه لم يشهد عاشقين " قط " - وهو مؤرخ العشاق " إلا وهما  
يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر، مرشوشة بماء الورد، وقد جمعت  
في أصلها بالمصطكي وبالشمع الأبيض المصفى ولفت في تطاريف  
الوشي والخز " !.

وأهدت شجن جارية المتوكل إليه: " عشرين غزالاً بعشرين سرجاً  
صينياً، علي كل غزال خرج صغير من ذهب مشبك فيه المسك والعنبر  
وأنواع الطيب المرتفعة. مع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب في رأسه  
جوهرة ياقوت أو زمرد أو غيرها من الجواهر الجليلة القدر " ( التحف  
والهدايا ) . ( نشرة سامي الدهان. دار المعارف بمصر ).

ملوك أوريا مجتمعين، ما كان بطاقتهم هذا الترف الباهظ، والشائع في  
جميع عشاق الأندلس الذين يعرفهم ابن حزم!.

وماذا بعد الترف، إلا " الفسوق " وماذا بعد الفسوق إلا الانحلال. ثم  
الملل.

وقد رأينا صورة من التحلل في حديث الرجل الذي يسمح بمغازلة  
الضيوف لأهله! " ولكنه يقدم لنا صورة أبشع وكأنه يتحدث عن سان  
فرنسيسكو في السبعينيات، أو الستينيات من هذا القرن، حيث أصبح  
الشخص الثالث، أو الجنس الثلاثي، أو اللغز الإغريقين أو الأسطورة  
النواسية، شائعة، حتى أورد عنها ابن حزم مثالين في كتابه! وهو أن  
يعشق الرجل الفتى، ويعشق الفتى زوجة الرجل، والعياذ بالله .. يحدثنا  
الإمام الفقيه عما:

" دهم عبید الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الحريري، فإنه  
رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول  
علي بغيته من فتى كان

علقه. نعوذ بالله من الضلال. حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به  
المحافل وتصاغ فيه الأشعار، وهو الذي تسميه العرب الديوث.

وفيه يقول عيسى بن محمد بن محمد الحولاني:

يا جاعلاً إخراج حر نسائه      شركاً لصيد جآذر الغزلان  
أني أرى شركاً يمزق ثم لا      تحظي بغير مذلة الحرمان

وقال هو ( ابن حزم ) فيه:

ويأخذ ميمًا باعطاء هاء      ألا هكذا فليكن ذو النواهي  
ويبدل أرضاً تغذى النبات      بأرض تحف بشوك العضاه  
لقد خاب في تجره ذو ابتياع      مهب الرياح بمجرى المياه

ويزعم أنه سمع هذا الديوث في المسجد الجامع ( ! ) يستعيز بالله من  
العصمة كما يستعاذ به من الخذلان!!!.

وقال آخر:

ما لما بي منك من فرج لا ابتلاني الله الفرج!

هذه صورة لا تحتاج لتعليق... رجل يسأل الله أن يحميه من "   
العصمة "، ويبعد عنه الفضيلة والعفة، ويدين عليه نعمة الفسوق...   
وفي المسجد الجامع وبحيث يسمعه الناس!...

فحق عليها العذاب...

أما عن الملل فهناك صورة لا تقل بلاغة وتعبيراً عن : " أبي عامر   
محمد بن عامر رحمه الله كان شديد الملل. يحب الجارية ثم يملها في   
ساعات .. حتى أترف فيما ذكرنا عشرات ألوف الدنانير عدداً عظيماً.   
وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحنق والذكاء والنبيل والحلاوة   
والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب والجاه العريض... وأما حسن   
وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود

عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطي أحد وصفه. ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمدون الحضور عند باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير علي باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة إلي الدرب المتصل بقصر الزاهرة لا شيء إلا للنظر منه. ولقد مات من محبته جوار، كن علقن أوهامهن به، وكان رحمه الله يخبرني أنه يمل أمه فضلاً عن غير ذلك، وكان لا يثبت علي زي واحد كأبي براقش، حيناً يكون في ملابس الملوك وحيناً في ملابس الفتاك".

ولا أظن أن هناك صورة أصدق تعبيراً عن الملل والتعقن الحضاريّ مثل هذه الصورة التي تذكّرنا بأباطرة روما والطبقة الحاكمة في " بومبي " قبل الزلزال والغزو البربري .. وسقوط الإمبراطورية وانتصار المسيحية. وعندما تُصبح الطبقة الحاكمة فريسة هذا الملل، فإنّها تفقد حتى الرغبة في الاستمرار، بل إنّها تتمني في اللاوعي أن يأتي من يخلصها من هذا الملل بالقضاء علي وجودها. الذي أصبحت تملّه، كما يملّ أبو عامر اسمه.

وسبب الملل واضح: في حكاية أبي عامر، فقد أوتي كلّ شيء، فلم يعدّ يتمني شيئاً ولا يصبر علي شيء، ونفس القاعدة تنطبق علي الحضارة، عندما تصل إلي الاختناق فلا انقلاب تكنولوجي يفتح آفاقاً جديدة ولا حاجة في إطار العصر تفتقدها الأمة، فيبدأ الترف والاحلال فالملل ... وتحين الفرصة للعدوّ المحروم الأقلّ تمدناً فيضرب ضربته ويدمر الحضارة الآفلة.

ونعرف من " ابن حزم " أنّ حماماتهم كانت مزدانة بصور مثيرة تعشق، فهو يقول لصاحبه الذي يعشق طيقاً رآه في المنام " لو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي أعذر".

ولا شك أن القصور وغرف النوم كان بها مثل هذه التصاوير أو أشدّ!!.

ومن دلائل الانحراف الحضاري، أنّه هو ووالده لا يحبون إلا " شقراء الشعر " وهي الأوربية، المسيحية غالباً، أي الخصم الحضاري المتربّص .. والناس علي

دين ملوكهم فكل " خلفاء بني مروان " ولا سيما ولد الناصر منهم كلهم مجبولون علي تفضيل الشقرة. وقد رأياهم ورأينا من رأهم من لدن دولة الناصر إلي الآن فما منهم إلا أشق[ر].

وهذا التدوَّق، لم يكن مسألة شخصية، ومعاداتها لم تكن عنصرية، بل عصبية حضارية وقومية. لأنَّ الأُمَّة كانت سمراء سوداء الشعر، ومن ثمّ، فهذا الميل للون خصمها الحضاري من الطبيعي أن يثيرها، وأنَّ يقلقها. ولذلك كانت المقاييس العامة لدي الجمهور ضد الشقر ويرد عليهم ابن حزم بلسان الطبقة المترفة التي انفصلت عن جماهيرها وفقدت الاهتمام بالبقاء الحضاري، منصرفة إلي لذاتها الفردية البيولوجية:

يعيبونها عندي بشقرة شعرها      فقلت لهم هذا الذي زانها عدو  
يعيبون لون النور والتبر ضلة      لرأى جهول في الغواية ممتد

ثم يسب اللون الأسود، وهو لون الأمة، ولون المغاربة الذين سينقذونهم من يد الأسبان لفترة .

وأبعد خلق الله من كل حكمة      مفضل جرم فاحم اللون مسود

وعلي الجانب الآخر من الحضارة الآفلة، في المشرق، سنلاحظ أنَّ أشهر لوطي. الذي كان يصول ويجول في بلاط الخليفة العربي. وفي عاصمة العباسيين. قد نسج شعره، من ثلاثة عناصر .. اللواط .. الخمر .. ثم الكيد للعرب سب حضارتهم وتاريخهم وقبائلهم وطباعهم .. ولكن أخطر من ذلك هو سخريته الفاجرة بالدين، تحريضه علي ترك الجهاد .. والدعوة للترف والحضّ علي الفسق والفور من القتال أو فروسيته. وملخّص شعره في هذا الباب سنجد في شعار انطلق في أمريكا في الستينات مؤذناً بهزيمتهم في حرب فيتنام وهو: **Make Love not War** أي مارس الجنس بدلاً من الحرب ..

وشعر أبي نواس في السخرية من الدين والفروسيّة وحبّ الحياة في  
أعنف صور انحلالها هي صفات مطلوبة لتحقيق الهزيمة الحضارية، فهم  
أصحاب لذة لا قتال.

وهم يعجبون بجمال العدو.. ثمّ تصرفاته.. ثمّ دينه.. وسنطيل  
الاستشهاد هنا، وكما قلنا، ليس المهم أن يكفر شاعر أو أن ينحل مثقف،  
بل العجيب هو قبول المجتمع لفكره هذا، وسكوت السلطة بل والإعجاب  
والمكافأة بشعره وعلي " جمال " فته! .. وهكذا نسخ الناسخون هذه  
الدعوة للهزيمة والتحلل، وانتشر شعره بين الشباب يلقنهم ما يضمن  
هزيمتهم في المواجهة مع العدو!  
اقرأ هذا الكفر الصريح .. والهزؤ بكل مقدسات الدين:

---

## فتوى فقيه!

قل للعذول بحانة الخمار  
إني قصدتُ إلي فقيه عالم  
متعمق في دينه، متقِّمه  
قلت: التبيذ تحلُّه؟ فأجاب: لا  
قلت: الصلاة؟ فقال: فرض واجب  
أجمع عليك صلاة حول كامل  
قلت: الصيام؟ فقال لي: لا تنوه  
قلت: الصدق والزكاة؟ فقال لي:  
والشربُ عند فصاحة الأوتار:  
متنسِّك، حَبْرٍ من الأخبار  
متبصِّر في العلم والأخبار  
إلا عُقاراً ترتمي بشرار  
صلِّ الصلاة، وبت حليف عقار  
من فرض ليل فاقضه بنهار  
واشدُّ عري الإفطار بالإفطار  
شيء يُعدُّ لآلة الشطَّار

قلت: المناسكُ إن حجَّجتُ؟: فقال لي: لا تأتيَنَ بلادَ مَكَّةَ محرَّمًا قلت: الطَّعَاةُ؟ فقال لي: لا تغزُهُم سالمهُم، واقتصَّ من أولادِهِمُ واطعَنَ برمحكِ بطنَ تلك، وظهرَ ذا قلت: الأمانةُ هل تُردُّ؟ فقال لي: لا هُمَّ إلا أن تكونَ مُضمَّنًا فارُدُّ لأمانتهِ عليه، وديتهِ قلت اعتزمتُ. فما تري في عازبِ فأجابني: لك أن تلدَ بزنيةً ودنا إلي وقال: نصحكُ واجبٌ

هذا الفضول، وغاية الإدبار ولو أن مكة عند باب الدار ولو أنهم قربوا من الأنبار إن كنتَ ذا حنقِ علي الكفار هذا الجهادُ فنعم عَقْبِي الدار لا تَرُدُّ القِطْمِير من قنطار دينا لصاحب حانةٍ خمَّار واحتلَّ لذاك، ولو يبيع إزار متغرَّب، متقاربِ الأسفار؟! من جارةٍ، وتلوط بابن الجار زيِّن خِصالكَ هذه بقمار!



## فارس العرب:

يابشُرُ مالى والسيف والحرب  
فلا تثق بي فإنني رجلٌ  
وإن رأيت الشُّراة قد طلَعُوا  
ولست أدري ما السَّاعدان، ولا  
همى إذا ما حروبُهم غلبت  
لو كان قصفٌ، وشرب صافية  
والنوم عند الفتاة أرشفها  
وإنَّ نجمى للهو والطربِ  
أكعُ عند اللقاء والطلبِ  
ألجمتُ مهزى من جانبِ الذنبِ  
ثُرسُ، وما بيضة من اللبِ  
أيُّ الطريقين لي إلي الهربِ  
مع كل خوذٍ تختال في السلبِ  
وجدتني ثم فارسَ العربِ

## يوم نساء!

فداؤك نفسى قد طربتُ إلى الكاس  
فهل لك فى أن نجعل اليوم نُسكنا  
فإن فطِنُوا قَلْنَا: نَصَارِي وعيدهم!  
وإن أكبروا الإفطار أو شنعوا به  
وثقتُ إلي شممِ البَنقِجِ والآس  
ونشربها فى البيتِ سرّاً من الناس  
وليس لشرب الراح في العيد من بأس  
أعدنا لهم يوماً جديداً علي الراس

أو هذه السخرية من روح الفروسية التي أقامت الإمبراطورية التي  
يتحلل في ترفها، وأمنها:

إذا عبأ أبو الهيجا  
وسارت راية الموت  
وشبت حربها واشت  
جعلنا الترس أيدينا  
وقدمنا مكان النب  
فعدت حربا انسا  
إذا ما ضربوا الطبل  
فهذي الحرب لا  
إذا ما بدت أزرار جيب قميصه  
فأحسن من ركض إلي حومة الوغى  
فلا خير في قوم تدور عليهم  
تحياتهم في كل يوم وليلة  
اشرب فديت .. علانية .. أم التستر زانية!  
غدوت على اللذات متهتك الستر  
رضيت من الدنيا بكأس وشادن  
وقائل هل تريد الحح قلت  
فكيف بالحج لي ما دُمت منغمساً  
يا أحمد المرتجي في كل نائبة  
ونله كيفما شئت اقد  
وقل هذا قضاء الل

ء، للهيجاء فرسانا  
أمام الشيخ إعلاتنا  
علت تلهب نيرانا  
ونبل القوس سوسانا  
ل والمطرَد ريحانا  
وعدنا نحن خلانا  
ضربنا نحن عيدانا  
نعم الناس عدوانا  
تطلع منها صورة القمر البدر  
وأحسن عندي من خروج إلي النحر  
كووس المنايا، بالمتقفة السمر  
ظبا المشرفيات المزبرة للغبر  
وأفضت بنات السر مني إلي الجهر  
تحير في فضله فطن الفكر  
نعم إذا فنيت لذات بغداد  
في بيت قوادة أو بيت نباد  
قم سيدي نعصي جبار السموات  
تضاباً وعلي موعد  
ه هل تدفع أو تجحد

وكان عرب صدر الإسلام، يقولون أنّ اللآت والعزي كانتا رجلاً وامرأة من الجاهلية، فسقا في الحرم، فمسخهما الله حجرين [تعليق: يقصد الكاتب آساف ونائلة].. من هول ما ارتكبا ثم إقرأ ماذا يجاهر أو يفتخر شاعر عصر الانحلال:

وعاشقين التف خداهما      عند التنام الحجر الأسود  
نفعل في المسجد ما لم يكن      يفعلهُ الأبرار في المسجد

أو سخريته من الحديث، والمذاهب والصلاة!

قل للمليح أما تروى الحديث بما      خالفت فيه وقد جاءت به الصحف  
لإنّ القلوب لأجناد مجنّدة      لله في الأرض بالأهواء تختلف  
فقلت : سوف ... فقالوا      ترك الصلاة كبير  
فقلت : أكبر منه      ظبي ينالُ غرير  
وما لمثلي صلاة      لأن فسقي شهير  
إنّ الجنابة ممن      جنبت منه ظهور  
إذا قمنا نصلي لم      يفرق بيننا أحدُ  
أحركيه إذا قاموا      وألمسه إذا قعدوا  
وليس خليفة الرحم      من يعدلني إذا سجدوا

---

ويهزأ بالقرآن في تبرير لوطيته :

بذا أوصى كتاب الله فينا بتفضيل البنين على البنات!  
أحسن من سير علي ناقة سير علي اللذة مقصور.

أو هذه النعرة الفارسية التي لا تقتصر علي سبّ عادات العرب، بل  
وتنتهي بالناقوس والرهبان وليس الآذان .. فهو لا يريد أن يسمع عربياً  
ولو كان المؤذن:

فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها  
فصاتها في مغار الأرض فاختلفت  
ببلدة لم تصل كلبُ بها طنبا  
ليست لذهل ولا شيباتها وطنا  
أرض تبنى بها كسري دساكره  
ومابها من هشيم العرب عرفجة  
بتنا ندين لابليس بطاعته  
لا تبك للذاهبين في الظعن  
ولا تقف بالمطيّ في الدمن ..

... من كف طبي .. إلخ

على تماثيل بني بابك

فألعت ذا لا نعت دار خلت

فألعت ذا لا نعت دار خلت

.....  
يهيم في أطلالها أحرق

يهيم في أطلالها أحرق

بنات كسري خير ما بنات  
محتجبات غير باديات

علي أمثالها كانت لكسري      أنو شروان تتجر التجار  
لتلك أبكى، ولا أبكى لمنزلة      كانت تحلّ بها هند وأسماءُ  
حاشا لدرّة أن تُبني الخيام لها      وإنّ تروح عليها الإبل والشاءُ  
قل لمن يبكي علي رسم درس      واقفاً ما ضرّ لو كان جلس  
دع الأطلال تسفيها الجنوب      وتبلي عهد جدتها الخطوبِ  
بلاد نبتها عُشرٌ وطلحُ      وأكثر صيدها ضبعٌ وذيب

---

ولا تأخذ عن الاعراب لهوا      ولا عيشا فعيثهم جديب  
دع الألبان يشربها رجال      رقيق العيش بينهم غريب  
إذا راب الحليب قبل عليه      ولا تُخرج فما في ذاك حُوب  
فأطيب منه صافيه شمول      يطوف بكأسها ساق أديب  
كأن هديرها في الدن يحكي      قراءة القسّ قابله الصليب  
فهذا العيش لا خيم البوادي      وهذا العيش لا اللبن الحليب  
فأين البدو من إيوان كسري      وأين من الميادين الزروب

وهذا يتضمّن السخرية ليس فقط بكل تراث الشعر العربي والفخر  
باللبن بل حتي بحديث " الفطرة " حيث اختار الرسول اللبن في حديث  
الإسراء!!!

بل هذا الفاجر جعل القرآن " مزة " لخميره، ولا أدري كيف تسامحت  
هذه الحضارة إلي حدّ ترديد ونسخ وحفظ مثل هذا القول:

وضع الزق جانباً .. ومع الزق مصحفاً  
وأحس من ذا ثلاثة واتل من ذاك أحرفاً

فإذا انتقلنا إلي الأندلس نجد أنّ ابن حزم الذي جمع ثقافة عصره،  
خرج شريداً لاجئاً بعد أن اجتاح " البربر " مدينته " قرطبة " وكانّ تاريخ  
روما يعيد نفسه،

---

هو خير نموذج يمكن تقديمه في قضيتنا هذه. ولذا نجد " عشق المذكر " تفوح أدلته في كل أرجاء الكتاب، والحديث عن جمال الذكور يفوق الحديث عن جمال النساء .. بل إن صياغة الكتاب تغلب عليها لهجة التذكير.. وقد يقال إن هذا ضرب من البلاغة، وإن كانت له روايات واضحة التأنيث، دون صعوبة لغوية .. كذلك لا يمكن تأويل الجنس في هذه الرواية:

" وأخبرت عن بعض السقاط الوضعاء، أنه كان يضع كتاب " محبوبة " علي أحيله " .

عبدًا نجد مخرجًا .. فهذا واحد قطعنا بذكورته بالدليل الملموس .. فلماذا يقول كتاب محبوبة وليس محبوبته؟! .

ألا يجعلنا هذا الأسلوب نشك في اختيار ابن حزم، لفظ " الشخص " بدلاً من الفتاة أو الأنثى أو المرأة أو الجارية عندما يتحدث عن نفسه فيقول:

" وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل. وبعد ملازمة الشخص، لي دهرًا وأخذي معه في كل جد وهزل " .

أما أن نقول إن " الحب " هنا هو الصداقة ولكن بالتعبير الشرقي، إذ أن أبا محمد غفر الله له، لم يشأ أن يجنبنا سوء الظن والإثم فما عليه لو قال وبعد ملازمة المرأة أو الفتاة أو الجارية، أو ما شاء للجزم بأنها أنثى! فسلم وسلمنا!..

وهو يقسم بالله أجل الأقسام أنه ماحل منزره علي فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلت إلي يومي هذا " .

ولا أظن أنه كان بحاجة إلي الزنا.. مذ عقل، فالنظام الإسلامي العجيب لا يلجئ شريفًا إلي الزنا أبدًا .. ولكن كنا نتمنى لو وسع دائرة القسم ليطمئن قلبنا.

غير أن الظن لا يغني عن الحق شيئًا .. ولذلك لن نستشهد إلا بالروايات الصريحة التي أوردها " ابن حزم " ويتحمل مسئوليتها أمام التاريخ والله... .

" وأخبرني بعض إخواني عن سليمان بن أحمد الشاعر أنّه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية، وذكر أنّه كان غايةً في الجمال .. وامرأة خلفه تنظر إليه .. فلما أبعد أتت إلى المكان الذي قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلمم الأرض التي فيها أثر رجله .."

ويزعم ابن حزم " ويحكى عن الحسن بن هانئ أنه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون المعروف بابن زبيدة وأحسّ منه ببعض ذلك فانتهره علي إدامة النظر إليه، فذكر عنه أنّه قال إنّ كان لا يقدر أن يُديم النظر إليه إلا مع غلبة السكر علي محمد".

ويحكى لنا عن فتي من أهل " قرطبة " من أبناء الكتاب وجلة الخدمة من اسمه " أحمد بن فتح ". " من بغاة العلم وطلاب الأدب .. ثم باعدت الأقدار بيني وبينه، فأول خبر طرأ علي بعد نزولي شاطبة أنّه خلع عذاره في حب فتي من أبناء الفنانين يُسمى إبراهيم بن أحمد أعرفه (؟!ج) لا تستأهل صفاته محبة من بيته خير وتقدم، وأموال عريضة ووفر تالد .."

لاحظ نوعية الاعتراض. ولاحظ أنّ أغلب العاشقين من أبناء " الكتاب " وبغاة العلم والأدب أو الأمراء وهم الطبقة المثقفة. وأغلب المعشوقين من أبناء القواد العسكر، أو المماليك المجلوبين أو الفنانين.

وحدثني أبو دلف الوراق عن مسلمة بن أحمد الفيلسوف المعروف بالمرجيطي أنه قال في المسجد الذي بشرقي مقبرة قریش بقرطبة الموازي لدار الوزير ابن عمر .. في هذا المسجد كان مقدم بن الأصفر مريضاً أيام حدائته لعشق " بعجيب " فتي الوزير ابن عمر المذكور .. وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وبها كان سكناه، ويقصد في الليل والنهار إلي هذا المسجد بسبب " عجيب " حتي أخذه الحرس غير ما مرة في الليل .. وكان يقعد وينظر منه إلي أن كان الفتى يغضب ويضجر ويقوم إليه فيوجعه ضرباً ويلطم خديه وعينيّه، فيُسرّ بذلك ويقول: " هذا والله أقصي أمنيّتي والآن قرّت عينيّتي .."



وكلما زادت حصة " الفتى " من الحضارة والثقافة، قلّ غيظه وتمنعه، وأصبح أكثر " انفتاحًا " وتقبلاً لهذا اللون من الحب .. قال ابن حزم :

" حدثني أبو السرى عمار بن زياد صاحبنا عن يثق فيه، أنّ الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبد العزيز أخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز، وكان أسلم غايةً في الجمال، حتى أضجره لما به وأوقعه في أسباب المنية إلي أن توفي أسفًا ودفنًا. قال المخبر: فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسّف وقال: هلا أعلمتني؟ فقلت ولم؟ قال: كنت والله أزيد في صلته وما أكاد أفارقه، فما علي في ذلك ضرر. فكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن، مع حظ من الفقه وافر، وذا بصارة في الشعر، وله شعر جيد، وله معرفة بالأغاني وتصرفها، وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب وأخباره. وهو ديوان عجيب جدًا. وكان أحسن الناس خلقًا وخلقًا. وهو والد أبي الجعد الذي كان ساكنًا بالجانب الغربي من قرطبة "

ولا أظن أنّ ابن قزمان قد عشق " أسلم " هذا بعد أن أنتج كل هذا .. وإنما الأرحح أنّه كان في شبابه عندما فتن به. وتأريخ ابن حزم لأسلم بعدما اشتهر وأنجب أبي الجعد. الذي يبدو أنّه كان معاصرًا وربما كان ابن حزم من سن أبي الجعد هذا المشهور والذي لم يجد ابن حزم حاجة إلي تعريفنا به بأكثر من تحديد مكان مسكنه!!...!!

وإذا كانت قصص الغرام العفيف أو الرومانسية أو الأفلاطونية حظي بإعجاب ابن حزم، فهو لا يستنكر إلا الروايات التي ينهار فيها العاشق فيدمر حياته وسمعته قال عن صديق: " كنا نعرفه كلنا من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل .. وقد كنا نتجنب المزاح بحضرتة .. قد أحكم القراءات إحكامًا جيدًا، واختصر كتاب الأنباري في الوقف والابتداء اختصارًا حسنًا .. إلخ فلم يمض الزمن حتى أمكن الشيطان من نفسه، فامتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان، فرفض ما كان معتنيًا، وباع أكثر كتبه واستحال استحالة كلية، نعوذ بالله من الخذلان "

وابن حزم لم يورد الكثير عن غرامياته، إلا بضع روايات واحدة منها التي تعنينا هنا هي " حبه " الشديد وتلازمه في سنوات الصبا والمراهقة وصدراً من سنوات الشباب لصديق " غلامي " المزاج .. وهذه هي الرواية:

" وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق وخذين لا يجرى الماء بيننا إلا صفاء .. يصفه هكذا: " وكان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن علي مثاله، أو خلق من نفس كل من رآه. لم أشهد له مثلاً حسناً وجمالاً وخلقاً وعفةً وتصاوفاً وأدباً وفهماً وحلماً ووفاءً وسؤدداً وطهارةً وكرماً ودمائةً وحلاوةً ولباقةً وإغضاءً وعقلاً .. إلخ".  
وهذه رؤية عين محبٍ والله ..

وصديق الروح هذا طوحت به الأيام بعد سقوط قرطبة ونهب البربر ( البدو الأكثر خشونة والأقل حضارة وترقياً وانحلالاً والذين أنقذوا الأندلس لأكثر من مائتي عام أخري ولكن الحضارة كلها كانت قد دخلت منحني الانهيار ) المهم صديق الروح هذا يلقي ظلاً من الشك علي نوعية " المحبة " فقد مات من عشق فتى في جيش الغزاة!!.

وقد سأله المحدث لابن حزم عن سبب نحوله وشحوبه فقال صديق ابن حزم: " نعم! أخبرك أنني كنت في باب داري بقديد الشماسي في حين دخول علي بن حمود، قرطبة، والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب فرأيت في جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتي رأيت ( نفس عبارات ابن حزم في وصفه هو) فغلب علي عقلي، وهام به لبي، فسألت عنه فقبل لي: هذا فلان بن فلان من مكان جهة كذا، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ، فيئست من رؤيته بعد ذلك، ولعمري يا أبا بكر لا فارقتي حبه، أو يوردني رمسي " فكان كذلك، وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه، وقد رأيت له ولكني أضربت عن اسمه لأنه قد مات والتقى كلاهما عند الله عز وجل. عفا الله عن الجميع ".

ونقفز فوق تأكيد " ابن حزم " الذي كان يعيش فترة الإرهاب أو التعصب أو

التطهر أو ما شئت التي فرضها البربر في محاولة لوقف عجلة الإتهار. وليس يعنينا إن كان أبو عبد الله أو أبو محمد قد ارتكبا الفعل، فإن الفكر عندنا هو الأهم وهذا المؤلف عاشق أو محب لأبي عبد الله وأبو عبد الله هذا يري الجيوش زاحفة تقتحم بلده وتنتهب داره وقومه فيذهل عن هذا كله ويخر صاعقاً في عشق جندي من الغزاة. ولا يجد أبو محمد ( ابن حزم ) في ذلك ما يعيب، ولكنه يحرص علي تأكيد " أن أبا عبد الله ما وطئ حراماً قط " وذلك بالطبع يبيريء ساحة أصدقاء أبي عبد الله! ..

وكان أبو عبد الله ذكياً ومخلصاً فأعدم كل ما قد يريب حبيب صباه أو يثير فيه الريبة، فقد قال ابن الحزم:

" إنّه لما عاد إلى قرطبة، زار أخاه ( أبو عبد الله ) وسأل عنه: " ثمّ سألته عن أشعاره ورسائله، إذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالذهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه الحكاية ( غزو البربر لقرطبة ج ) فأخبرني عنه أنّه لما قريت وفاته وأيقن بحضور المنية، ولم يشك في الموت دعا بجميع شعره، وبكتبي التي كنت خاطبته أنا بها، فقطعها كلها ثم أمر بدفنها، قال أبو عمر، فقلت له يا أخي دعها تبقي. فقال لي: إني أقطعها وأنا أدري أني أقطع فيها أدباً كثيراً، ولكن لو كان أبو محمد بعيني حاضراً لدفعتها إليه تكون عنده تذكرة لمودتي .. " إلخ ...

وأي مودة من عاشق الجنود!؟

وكيف كان تجاوب أبي محمد ( ابن حزم ) مع هذه المودة!؟  
غفر الله لأبي عبد الله هو كان أعلم بما في الرسائل مما لا يجوز أن تتناقله يد ثالثة! ..

وفلسفة أبي محمد هي أن الأصل في الناس " الفسوق " فالصالح منهم من إذا ضبط انضط .. أما الأصل فهو الانطلاق في تلبية الغريزة الجنسية وهو يقرر حقيقة غريبة أنّه " ما من رجل عرضت له امرأة جميلة ولم يكن ثم من مانع إلا وقع في

شرك الشيطان واستهوته المعاصي .. وما من امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً، وحكماً نافذاً لا محيد عنه البتة !!!

### والعياذ بالله !

نعم .. نحن نصدقه، وفي حدود الطبقة التي عاش بينها، ونقل خبرتها وأخلاقياتها في عصر إنحدارها وزوالها. فهو الكاتب اللاجيء الذي سقطت دولته ومدينته، وتشرّد أهله .. هذه هي الطبقة التي لا تتورع عن شهوة أو معصية. " حتماً مقضياً " زوالها " وحكماً نافذاً لا محيد عنه البتة " " وشيء أصفه لك تراه عياناً، وهو أني ما رأيت قط امرأة في مكان تحسّ أن رجلاً يراها أو يسمع حسّها، إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل ". .

ويضرب مثلاً علي " العفة " . عندما كانت لا تزال في الدولة بقية من المقاومة الحضارية، مكنت " الأمير " من مقاومة نفسه بعد جهد عنيف! ... .

قال ابن حزم عن .. عن .. عن أبي عباس: " أن الإمام عبد الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهوراً وثقف القصر بابنه محمد الذي ولي الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً ومقوده نهراً فيه لم يأذن له بالخروج البتة. ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتي من أكابر الفتيان يبيتان معه في السطح. قال أبو العباس: فأقام علي ذلك مدة طويلة وبعد عهده بأهله وهو في سن العشرين أو نحوها، إلي أن وافق مبيتي في ليلتي في نوبة فتى من أكابر الفتيان، وكان صغيراً في سنّه وغاية في حسن وجهه. قال أبو العباس: فقلت في نفسي: إني أخشي الليلة علي محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعة المعصية وتزيين إبليس وأتباعه له قال: ثم أخذت مضجعي في السطح الخارج ومحمد في السطح الداخل المظلم علي حرم أمير المؤمنين، والفتي في الطرف الثاني القريب من المطلع فظللت أرقبه ولا أعفل وهو يظن أني قد نمت ولا شعر بإطلاعي عليه. قال: فلما مضى هزيع من الليل رأيتة قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوّد من الشيطان ورجع إلي منامه. ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد إلي

منامه، ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجله من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى الفتى بإسمه فأجابه، فقال له: إنزل عن السطح وإبق في الفصيل الذي تحته. فقام الفتى مؤتمراً له. فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره. قال أبو العباس: فعلت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير".

ونعود مرة أخرى إلي بغداد في الجبهة الشرقية، فوجدهم يتهادون بالغلما ن .. والظاهر أن محمد بن علي الشعبي كان مورد غلمان، ففي كتاب التحف والهدايا أنه أهدي إلي البحترى: غلاماً فاشتغل به أياماً عن حضور مجلسه، واعتذر البحترى بأنه انشغل بالغلام.

**حملتُ عليه في سبيل فتوةٍ هي الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا  
وقد كنت لي خلا فأصبحت لي صهراً!** .....

ثم أهدي له نبيداً يحمله غلام حسن الوجه، فأخذ النبيذ وراود الغلام عن نفسه وكتب يعتذر لسيد الغلام:

**أبا جعفر كان تجميشنا غلامك إحدي الهنات الدنية  
بعثت الينا بشمس المدام تضى لنا مع شمس البرية  
فليت الهدية كانت رسولا وليت رسولك كان الهدية  
فوهب له الغلام لما قرأ الأبيات**

وأهدي الحسن بن وهب إلي أبي تمام غلاماً جميلاً فشكره أبو تمام متغزلاً في جماله الأعجمي ووعد بتخفيف حمرة خديه بريقه! ( كتاب التحف والهداية للخالدين ). وأبو تمام اشتهر بحب غلام اسمه عبد الله!...

وروي البحترى أنه رأي عند أبي جعفر محمد بن حميد بن عبد الحميد " غلاماً "، أعجبنى فعملت إليه شعراً استهديه منه!!! ..

وتأمل رحلة الحضارة من تظهر العرب الفاتحين إلي تهتك الورثة المنهارين: وطلب رجل من معن بن زائدة أن يحمّله أي أن يهديه ما يركبه فأمر الأمير العربي بأن يرسل إليه كل ما يركب، من حصان إلي بغلة إلي سفينة .. وجارية .. إلخ ..".

فلما سمع القصة صاحب بن عباد قال: رحم الله معنا، لو علم أنّ الغلام يُركب لوهبه غلامًا أيضًا، ولكنه كان عربيًّا محصنًا لم يُدسّس بقادورات العجم ..!

### أوروبا واللواط:

نعود لأوروبا المسيحية. فنجد مؤرّخها يقسم الموقف من اللواط إلي المراحل التالية: " حتى القرن الثالث: لا معارضة .. من الثالث للسادس: موجة معادية، من السادس إلي العاشر تجاهل، من الحادي عشر ومع ظهور المدن انتشر اللواط في الأدب، وانتشر اللوطيون في كل مكان وصارت الموضة المقبولة، من النصف الثاني للقرن الثالث عشر ظهر العداء للواط ..".

وقال المؤرّخ أنّه لا يعرف السبب، وسنقدمه له .. .

وهذا حقا وضع محرج؟! ولكن اكشافه في هذه الفترة بالذات وبعد غفلة ١١ قرنًا، هو موضع السؤال الذي نجيب عليه .. .

فحتى القرن الثالث كانت أوروبا تعيش امتداد الانهيار الحضاري الروماني الذي قلنا إنّ الكنيسة دخلت فيه ولم تثر عليه إلا نظريًّا في رفض الجنس كله، كما أشرنا، أمّا في الفترة من القرن الثالث إلي السادس، فربما كانت انتفاضة، أو مع تصاعد خطر ونفوذ البرابرة، الذين كانوا أكثر تشددًا بحكم تخلفهم الحضاري ..

من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، مرت أوروبا بفترة الهزيمة الشاملة والعجز حتى عن الإعجاب أو التعلم، ثم فترة الافتتان والرغبة في مجارة الحضارة المتفوقة، ومن ثم محاولة السلوك المماثل وفي هذه الفترة التي ينعلم فيها الحس الحضاري، الحس بالتحدي، وينعدم فيها المفجر الذاتي، فإن المفتون حضارياً، لا ينقل العلوم ولا التكنولوجيا بل السلوك الحضاري، والجانب المترف منه بالذات، كما يعود فتياننا - اليوم - من أوروبا وأمريكا بشعر طويل، و "بايب" وغويشة في اليد، وبنطلون ضيق، وشرب الخمر، والجيرل فيرند، ولا يستفيدون من التقدم العلمي أو التكنولوجي هناك. ففي القرن العاشر كانت الحضارة الإسلامية في ذروتها، وأوروبا في ذروة الافتتان والرغبة في المسايرة.

ولكن الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر احتاجت إلى التعبئة الشاملة في أوروبا، بقدر ما أثبتت هذه الحروب، أنّ أوروبا قد استجابت بنجاح

---

للتحدي الحضاري الإسلامي، فأصبح وعيها به أكبر من وعي المسلمين، وإصرارها علي قهره لا أقول أكبر من وعي المسلمين به فحسب فقد بدا أن الوعي مفقود تماماً علي الجانب الإسلامي لولا تحرك العثمانيين المتأخر جداً .. ولذا كانت المبادرة من الجانب الأوروبي، سواء في الأندلس أو في غرب آسيا. والتعبئة المصاحبة للظهور الحضاري تحتاج إلى مفاهيم خلقية خاصة، منها التقشف الجنسي أو الانضباط الجنسي، وتبنى المقاييس التي تفضي إلى قوة المجتمع، وفي مقدمتها رفض اللواط، فهذا الذي وصفه أفضل دارس لتاريخ اللواط في الغرب، بالانقلاب غير المفهوم من التسامح إلي التعصب الشديد، من إباحة اللواط والتفاخر به إلي ذمه وتحريمه والتنكيل المرعوب بمن يمارسه .. ووصل ذلك إلي ذروته في القرن الثالث عشر واختفي كل حديث " ودي " أو حتي محايد أو علمي أو فني عنه إلى القرن العشرين. (١)

غير مفهوم له. لأنه لم يصل إلى التفسير الحضاري الذي طرحه، فالتعبئة ضد المسلمين كانت تستلزم الإثارة ضدهم وضد حضارتهم، بالتركيز علي الجانب المسلكي، جانب الترف، أو جانب " الانحلال " كما تطلق عليه الحضارة الصاعدة الأكثر خشونة .. فهي لا تستطيع أن تنتقد الجانب المادي أو العلمي، لأنّ تفوق ذلك واضح وملموس ولا سبيل للتشكيك فيه، فلا أحد يستطيع إقتناع الشاب المسلم اليوم أن أوروبا متخلفة في العلم أو المواصلات أو الزراعة ولكن من السهل مهاجمة المجتمع الغربي بأنه منحل فاسق، لوطي، زان، داعر، ليس له قيم ولا تقاليد ولا آداب. إلخ ... وهذا ما فعلته روسيا السوفيتية والصين الشيوعية .. ومن قبلهما جميعاً، أوروبا - الصليبية بالنسبة للحضارة المتفوقة، وقتها.

**رسالة امبراطور القسطنطينية إكسيوس إلى حاكم الفلاندر وهي  
الرسالة التي**

(١) " ما بين ١٢٥٠ - ١٣٠٠ م تحول اللواط من فعل مباح في كل أوروبا إلي جريمة عقوبها الموت في معظم أوروبا ولأول مرة في تاريخ الغرب " .



تحولت إلى منشور وزع في أوروبا لتحريك الحمية لقتال المسلمين، وأثمرت أول حملة صليبية، وما أعقبها من حروب دامت لأكثر من قرنين، ولكنها تركت علي التهم الأخلاقية، فالمسلمون يغتصبون الأمهات أمام البنات، ويأمرن البنات بالغناء ثم يغتصبن البنات علي غناء الأمهات، " تماما كما قرأنا في الأسفار ولكن أهم من ذلك أنهم يمارسون اللواط مع جميع الأعمار، مع الغلمان والرجال، بل ورجال الدين، والأساقفة. ياللهول! هذا ما لم يسمع به بشر .. نعم!! إنهم يلوطون بالأساقفة، قد مات أسقف خلال هذا الفعل الشنيع!! .

ولم يكن من المعقول أن يُستباح الافتراء هكذا، لإثارة الحمية ضد " اللوطيين المنحليين المسلمين "، ثم تطلق الحرية للنخبة الأوروبية، المغزوة فكرياً، المنحلة، المتعاطفة، أو حتى المتخاذلة في أعماقها أمام الحضارة الإسلامية لقناعتها العلمية بتفوق هذه الحضارة!!!..

أصبح الخطر الذي يواجه أوروبا، هو الخطر الخارجي، المتمثل في الدول الإسلامية، والخطر الداخلي، المتمثل في النخبة المتأثرة بالمسلمين، أو الأقليات المخالفة للتيار العام الكاثوليكي الذي يشن الحروب الصليبية، التيار المتعطش لقتال المسلمين وبقدر ما اكتشف هذا التيار، صلابه وتفوق العدو الإسلامي بقدر ما اشتدت حاجته للوحدة الداخلية، فاشتدت نغمته علي المنشقين في الداخل. وبذلك طويت صفحة التسامح أو " التحضر " التي سادت في القرن العاشر والقرن الحادي عشر وفترة من القرن الثاني عشر، أي في عصر الانبهار بالحضارة الإسلامية السائدة .. وبدأت تصفية المخالفين، وظهرت محاكم التفتيش، وتحكم رجال الدين (١) .. وخضع المجتمع لعقيدة رسمية واحدة، هي عقيدة السلطة، تسيره في اتجاه واحد، هو مجابهة التحدي الإسلامي، وتصاعد اتهام المسلمين

---

(١) في القرن الثالث عشر كان يوجد في بريطانيا رجل دين من بين كل اثني عشر ذكراً!!!.

بارتكاب كل خطية جنسية، وأنهم الأصل في عادة اللواط. ورثوها عن أسلافهم من سكان الشرق الأوسط، أهل سدوم وعمورا أو قوم لوط. فرغم أنه يسمح لهؤلاء السفلة بأكثر من زوجة في عقيدتهم، فإن ذلك لا يكفيهم بل يمارسون ذلك الفعل الخبيث مع الرجال، فلا عجب أن حلَّ غضب الله عليهم ولعننتهم الأرض " ( نصّ من القرن الثالث عشر ). " إنَّ محمدًا عدو الطبيعة. نشر رذيلة اللواط في قومه الذين يعتدون ليس فقط علي الإناث والذكور بل حتي علي الحيوانات، حتى أصبح معظمهم كالبهائم غارقين في الشهوة الدنسة، لا يقدرّون علي مقاومة خطيئة بل تستعبدهم شهوات الجسد " ( من كتاب تاريخ الشرق تأليف Jacaues de Virty القرن الثالث عشر ).

" طبقًا لدين المسلمين، فإنَّ أيّ فعل جنسي مهما كان ليس فقط مباحًا، بل ومرغوبًا فيه، ويستحسن. ولذا فالإناث العذراء لا يُحصي من المومسات يُوجد لديهم مآبئون بأعداد هائلة. يحلقون لحاهم، ويصبغون وجوههم ويرتدون ملابس النساء. ويلبسون أساور في أيديهم وأرجلهم، ويضعون سلاسل ذهبية حول أعناقهم كما تفعل النساء، ويحلون صدورهم بالمجوهرات ويبيعون أنفسهم

---

للخطية بأن يعهروا ويعرضوا جسداهم، ويعاشرهم المسلمون كما  
نعاشر نحن النساء بل وعلائية. والمسيحيون هناك يربون لهم الأولاد  
المسيحيين، ويجيدون إطعامهم ليزداد جمالهم، فإذا رأهم المسلمون  
الشهوانيون، فاسدو الطبيعة، يتحرقون شهوة لهم، ويتسابقون علي  
شرائهم، ليتمكنوا من ممارسة شرورهم معهم".

ولو غيرنا كلمة المسلمين فقط ووضعنا بدلاً منها الأوروبيين أو  
الأمريكيين لأصبح النص يمكن نسبته إلي صحفي مسلم عن الهيبز أو  
الباتك أو اللوطيين في امستردام أو بيكاديللي أو القرية في نيويورك أو  
سانت مونيكا في كاليفورنيا.

وكما يُقال: آمن أولاً فتحدث لك المعجزة .. نجد الأسباب الذين اتهموا  
المسلمين بالحق أو بالباطل بممارسة اللواط ومن ثم استحق الأسباب  
النصر عليهم بتطهرهم .. واستمر انتصارهم حتى عبروا المحيط في  
مطاردتهم لأعداء الله الذين يرتكبون الخطيئة الملعونة فإذا بهم يصلون  
إلى سدوم ذاتها أو علي الأقل هذا ما وصلنا من المصادر الأسبانية عن  
واحد من الشعوب التي أبادها الأسباب واستأصلوا حضارتهم نهائياً؛ وإذا  
كان لنا الحق في أن نرفض بإزدراء كل التاريخ الذي زيّفه الأسباب عن  
ضحاياهم فإن ما كتبوه عن شعب المايا يعطي فكرة عن نوع الدعاية  
التي روجوها بين جنودهم المفعمين إيمائاً وجهلاً وتعصباً فقد زعم  
الأسبان أن حضارة المايا كانت لاتكتفي بإباحة اللواط بل تفرضه فرضاً  
بقوة القانون " فقد كان الغلمان يُمنعون من ممارسة الجنس إلا مع  
غلمان حتى يصلوا إلي نضوج مرحلة الزواج ". وروج كاتب أسباني: "  
انظروا إلي أي مدي يتباهون بمثل هذه الفاحشة إنهم يحملون ميداليات  
ذهبية منقوش عليها ذكراً يقبل ذكراً ويمارسان فاحشة اللواط" ( نفس  
ما وجد في تراث الإغريق! ) وزعموا أن مدير المسابك الذهبية الملكية  
الذي كان يتلقى المنهوبات من العالم الجديد ويزيل دم الأطفال والنساء

والرجال من عليها قبل أن يقذفها إلي الصهر ليعاد سببها تحمل صورة ملك أسباني يظلمه الصليب .. زعموا أنه استاء عندما رأى ميدالية من هذا النوع فلم يصهرها مع غيرها بل حطمها بالشاكوش ( الجنس في التاريخ ).

إن صح ما يقوله هذا التقرير الأسباني فيبدو أن هذا الشعب كان يعيش تحت رعب زيادة السكان لأنه إلي جانب محاولته تأخير زواج الشباب " .. كان يذبح هؤلاء الشبان بمعدل مائة شاب يوميًا قربانًا للآلهة "!!.

علي أية حال لم يستطع هذا الشعب بكل حضاراته المتخلفة ودياناته الدموية أن يحقق الإبادة الوحشية التي أنجزها الأسبان فقد كان « تعداد المكسيكيين واليوكاتان ٢٥ مليون نسمة عند الغزو الأسباني فهبط هذا العدد إلي ٧ ملايين عام ١٦٥٠ ولم يبق من السكان الأصليين غير المولدين إلا مليون ونصف مليون " أما بيرو في فكانت عشرة ملايين هبطت إلي ٢ مليون هندي عام ١٦٥٠ " ( الجنس في التاريخ ).

وروت مؤلفة الجنس في التاريخ أن الأسبان ألقوا أربعين مابونًا للكلاب تنهشهم حتى الموت ص ٢٧٦ .

وخلال الزحف في العالم الجديد كان يجري إبادة شعب الأزتيك تحت إدعاء مطالبتهم بـ " ترك عبادة الأصنام، وقف الذبائح البشرية للآلهة .. ولا يسرقون ولا يلوطنون .. " وتعلق المؤلفة أن إمبراطور الأزتيك أبدي دهشته لأن كل هذه الجرائم كانت ممنوعة ومعاقب عليها بالسحل والحرية حيًا في دولة الأزتيك " ولكن كما قلنا كان المهم هو إثارة الرغبة في القتل في قلب الجندي الأسباني المؤمن الذي شحن ضد هذه الآثام.

وكان الحاكم الأسباني يقول لسكان المستعمرات في أمريكا اللاتينية: اعلموا أيها الهنود أن الله سلطنا عليكم بسبب الرزيلة التي ارتكبتها أجدادكم وما

زال الكثيرون منكم يرتكبونها. إنَّ الله سيبيدكم وشيكا " ومن نفس المصدر أنَّ الأسباب كانوا يعتقدون وفقاً لما علمهم قساوستهم وقادتهم أنَّ حج المسلم إلي مكة لا يكتمل إلا إذا نكح الحاج الغلمان الذين يسوقون جملة والجمل أيضاً! وقالت المؤلفة أيضاً إنَّ الأسباب كانوا الأشد قسوة في محاربة اللوامة في أسبانيا أو العالم الجديد. وتقول ربما كان ذلك الموقف رد فعل لذكريات الحكم العربي، عندما كان المأبون من المناظر المألوفة .. وتشهد بنجاح التطهر الأسباني فتقول أنَّه رغم طول الرحلة للعالم الجديد في البحر وطول الغيبة هناك لم تسجّل سوب حادثتين كان المتورطون فيها من الألمان والاطليان وقد أمر القائد الأسباني بإحراق الطليان الخمسة الذين اتهموا باللوامة، وتمّ ذلك وسط التهليل والتصفيق " ( الجنس في التاريخ ).

حتى عام ١٨٢٥ كان الفرنسيون يحرقون اللوطيين أحياء. وفي بريطانيا كانت العقوبة هي الإعدام حتى ١٨٦١ " .

ويقول مؤلف تاريخ اللوامة: إنَّ عداة اللوطية ( في أوروبا ) في القرن السادس عشر كان ثمرة الموقف المتحوّل الذي بدأ في القرن الثالث عشر، ولم تكن هناك حضارة في القرن الثالث عشر في العالم كله عنيفة في عداوتها للوامة مثل غرب أوروبا ومع ذلك كان الفعل منتشراً ( ص ٧٩ ) .

لايهم كما قلنا، المهم موقف المجتمع والنظام، وهذه حضارة كانت في خط الصعود ومن ثمّ كان لابد أن تستنكر اللوامة وتتهم بها أعداءها ..

" في عام ١٦٣١ قال المدعي العام ضد إيرل أوف كاستلهيفن: " إن جريمة اللوامة هي من النوع الذي إذا لم يُعاقب عليه يجلب غضب السماء علي المملكة ( بريطانيا ) وقد اتهم اللورد بممارسة اللواط مع خادمه، ولكن التهمة الحقيقية كانت كاثوليكيته، وكان ذلك في عنفوان مطاردة الكاثوليك! "

" وفي ٤ يونيه ١٥٩٩ أحرق أسقف لندن كل الكتب المخالفة للتعاليم الصحيحة، كما حدها.

وكما اتهم الأسبان المسلمين؛ وسكان العالم الجديد باللواط؛ نجد أن قاموس الإنجليز، أصبح يعني بلفظة " لوطي " عميل لملك أسبانيا ..

ولا يمكن المبالغة في الرعب والخزي من اللواط في تلك الفترة ( عصر النهضة ١٥٠٠ - ١٦٥٠ ). كانت اللواط جريمة عقابها الإعدام.

" وقال جيمس الأول لابنه إنَّ اللواط من الجرائم التي يلتزم التاج بعدم التهاون معها أو العفو ".

" وفي عام ١٥٣٣ أمار البرلمان البريطاني ( بتوجيه من هنري الثامن ) قراراً بفرض عقوبة الإعدام ومصادرة الأموال لمن يدان باللواط أو الوطء في الدبر ".

وعندنا كان شهاب الدين بن حجر ( !! ) يقول:

ومليحة راودتها فتعللت  
بالطمث وهي تقول كالمعذور  
هل من موضع خال فقلت لها اسكتي  
فمواضعي ليست تُعدّ ودوري

وفي ١٧٦٩ كتب المعلق القانوني الإنجليزي: " إنها جريمة أفظع من أن تُسمي .. إنها جريمة ضد الرب والدين ".

وكانت الاتهامات الرانجة في بريطانيا ضد خصوم النظام في عصر النهضة هي: " اتباع البابا " " عدو المسيح " " عميل ملك أسبانيا " " لوطي " .

ويقول مؤلف: الشذوذ الجنسي في عصر النهضة في بريطانيا:  
" لم يكن الحزب البروتستانتى يفعل أكثر من إستعارة نفس الأسلوب الذي أرسته الكنيسة الكاثوليكية في مهاجمتها للمنشقين عليها في القرن الثاني عشر وهي ربط الانحراف الديني بالانحراف الجنسي .. "

ومن بين كوم التهم التي كالحا الفرنسيون المستعمرون للمغاربة تديرراً لغزو بلادهم في القرن العشرين؛ لم تكن تهمة اللوامة بالتي تفوتهم؛ فقد كتب " جوليس أركمان " عضو البعثة العسكرية الفرنسية في فاس: إن اللوامة ليست رذيلة في مراكش، إنها تكاد تكون فضيلة، إنهم لا يترجون منها إلي حد أنهم يتواعدون وسط اجتماع مجلس الوزراء!.

ونضيف أن هذا النص ورد في كتاب " قهر المغرب " الذي أثبت فيه مؤلفه " دوغلاس بورش " إن الماريشال ليوتي قاهر المغرب كان لوطيناً كامل اللوامة، ولكنه لم يذكر علاقة الفاضل أركمان بالمارشال اللوطيني أو ليوتي!

وهذا يوضح لنا الدورة العجيبة للحضارة، فلا يحق للمتفرجين في مجتمعنا اليوم أن يغضبوا من الذين لا يرون في الغرب إلا الانحلال، ولا يرون في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي أو البريطاني، إلا حفنة الغلمان المتخثين ويغفلون كافة مظاهر الجدية والاتقان والإبداع!!! .

عفواً !!

فهذه النظرة " الضيقة " هي التي حررت أوروبا وبنيت مجد وقوة الحضارة الغربية .. هذا الخوف من انحلال المسلمين، من الغزو الفكري الإسلامي لأوروبا المسيحية. هو الذي مكّن أوروبا من نقل كل علوم وتكنولوجيا المسلمين لبناء حضارتها الخاصة ( انظر كتابنا: ودخلت الخيل الأزهر ).

وبالمناسبة نقول " للأخلاقين " الذين يريدون تحرير مجتمعا وبعث حضارتنا بالأخلاق .. ولا يكفون عن تصديع رؤوسنا بالحديث عن الانحلال الجنسي أقول لهم: لا تسيئوا فهم قولي، أو استخدامه، فأوروبا لم تتحرر بالأخلاق أي أنها لم تبدأ بالتطهر بل احتاجت الحرب للتطهر، وأمكنها فرض التطهر، خلال التعبئة العامة ضد المسلمين فلابد أن يرتبط الموقف الأخلاقي بموقف حضاري. أن يكون " القبيح " والعيب هو فعل وسلوك وأخلاقيات " العدو " والتخلص من " القبيح " هذا، هو الطريق إلى النصر علي العدو، فنقطة البدء هي الجهاد، المجابهة المسلحة مع العدو القومي، عندها يصبح المقاتلون أكثر استعداداً لسماع " الوعظ " وممارسة المواعظ ...

فليس حديثي هذا موعظة أخلاقية، ولا خطبة منبرية، بل دعوة للمواجهة الحضارية من أجل التحرر من التبعية والفساد. فكل خطب القساوسة ضد اللواط لم يثمر خلال ألف سنة مثلما حدث عندما ربطت هذه الفاحشة بالمسلمين .. أي العدو .. وقال جاكوب الفيروني ١٣٣٥م: " إن محمداً علم المسلمين أنه لا خطيئة جنسية حتى فيما هو ضد الطبيعة. وسلطان المسلمين له حاشية من خمسمائة شاب أحضروا للذته من البلطيق واليونان وإيطاليا، وبيعوا في القاهرة ".

**" المسلمون ضعاف وشهوانيون ويحبون الجماع مع الذكور "**

" بيتر كانتور " ( المتوفى ١١٩٧ ) شنّ حملة شعواء علي اللوطيين ووصف فعلهم بأنه " الجريمة التي تجار للسماء طالبة القصاص ( يهتز لها عرش الرحمن ) وأبدى استيائه لأنّ الكنيسة لا تطارد مثل هذه الجريمة التي سببت دمار خمس مدن .. فلماذا تقف الكنيسة مكوفة الأيدي أمام جريمة عاقب الله عليها بمثل هذه الضراوة .. واستجابة لدعوته قرر مؤتمر لا تيران الثالث تحريم المسلمين واليهود والربا واللواط .. " هكذا..

" كل من يمارس هذا الفعل المنافي للطبيعة والذي تسبب في حلول غضب الربّ علي خمس مدن فأحرقها بالنار ( نزل عليها كبريت ونار في التوراة ) إذا



كان كاهنا يُعزل أو يُرسل إلي دير للتكفير وإذا كان مذنباً سيُعاقب بالحرمان ويُطرد من الرعية " ( من مجموعة المراسيم الباباوية للقرن الثالث عشر ).

وفى سنة ١١٠٠ كان من الممكن تعيين أسقف مشهور باللواط، ولكن فى عام ١٣٠٠ لم تختف فقط الكتابة عن هذا الفعل، بل أصبح مجرد الإشارة إلي وجود ميل لوطي عند أحد الكهنة كافيًا لتقديمه للمحاكمة .

" وابتداء من القرن الرابع عشر لم يكن من الممكن أن يجد اللوطي ملجأ أو تسامحاً لا فى الكنيسة الغربية ولا فى الدول الغربية. وفى نفس الوقت طُرد غير المسيحيين من إنجلترا وكان ذلك قد تمّ فى فرنسا عام ١١٨٢ علي يد فيليب أغسطس ملك فرنسا. وأصبح من يمارس الجنس بدون شرعية دينية مثل من ينكح البهائم " **وفى عام ١٤٩٢ تم نهائياً القضاء علي المسلمين فى أسبانيا أو ما كان يدعى بالأندلس.**

وأول مملكة أقامها الصليبيون فى أرض المسلمين بالشرق، وهى مملكة " أورشليم " : " سُنّ فيها أول قانون فى تاريخ العالم يُعاقب بالحرق حياً من يرتكب جريمة اللواط، وأصبحت كلمات: خائن، زنديق، لوطي، مترادفات لمعني واحد " .

وعلي أنقاض الحضارة العربية الغاربة فى قشتالة فى الأندلس نصّ قانون المسيحيين المنتصرين: " إذا ثبت ارتكاب الفعل، علي ذكرين يجرى إخصائهما علناً ويُعلقان من أقدامهما حتي الموت " ( منتصف القرن الثالث عشر ). وفى أراغون: " أصبحت معادلة للخيانة وجريمة ضدّ المجتمع " .

هم لم يهزموننا لأننا كنا متدينين وهم علمانيون، بل لأنهم كانوا أكثر تدينًا وتطهراً...

وقال ألفونسو الحكيم: ( ١٢٥٢ - ١٢٨٤ ) : " اللواط هو الخطية التى يرتكبها الرجال بوطء بعضهم بعضاً

وهي ضد الطبيعة ويتج عنها شرور عديدة في البلاد التي ترتكب فيها وتغضب الرب، وتلخخ سمعة الأمة التي تقع فيها. وقد أهلك الله سدوم وعامورة إلا لوطاً وأهله الذين لم يرتكبوا هذا الفعل " ومن حق أي شخص اتهام أي أحد بارتكابه فإذا ثبت ذلك يُعدم الفاعل والمفعول به ".

وفي القرن الثالث عشر نصّ القانون الإنجليزي علي " أن من يرتكب الجنس مع يهودي أو يهودية أو مع حيوان، أو يمارس اللواط، يُدفن حياً "

لم تكن " النهضة " الأوربية تملك القدرة علي استئصال الفئة المغزوة حضارياً وفرض الاستبداد والإرهاب ومحاكم التفتيش، وكل ما تراه هذه الفئة من مظاهر الرجعية والتخلف والردة .. إلخ .. إلا في ظل حمي وطنية دينية، في ظل " الجهاد " أو الحرب المقدسة ضد أعداء الدين والوطن، بل حتي أبطال " الحروب الصليبية الذين قاتلوا المسلمين في بلادهم وتأثروا، بالحمية، ببعض السلوك والتقدم الحضاري الذي عاشوه في أرض الجهاد؟؟؟، حتي هؤلاء ما إن وصلوا إلي أرض الوطن حتي تمت تصفيتهم حتي لا يرتفع إلا صوت العداة والتحقير والكرهية للمسلمين وحضارتهم، حتي أن المؤرخين - اليوم - يبررون التشريعات التي وُضعت ضد المسلمين في أوروبا بأنها كانت تهدف لحمايتهم من كراهية و غضب الشعب بمنع استفزاز هذه الجماهير بمنظرهم أو تمتعهم بالحرية، وأن اليهود اضطهدوا لأنهم عملاء للمسلمين وخونة " .

وأصبح " محمد عدو المسيح " العدو الحضاري والقوي والفكري والنفسي لأوروبا وأصبحت كل رذيلة تُنسب للعقيدة الإسلامية وخلق المسلمين وطباعهم " . .

يقول " جود بوزول " : " إن اقتران اللواط بألد أعداء أوروبا ( المسلمين ) زاد من كراهية الجماهير لهذا المسلك وللمتهمين بارتكابه في أوروبا " ويقول: " فالذين بقوا من الصليبيين في الأرض المقدسة اتهموا بأنهم " تخنثوا " والذين عادوا اتهموا بأنهم جلبوا معهم العادات القذرة للوثنيين " .

وهذا ما أشرنا إليه عن ضرورة ربط الأخلاق بالواجهة الحضارية، وأنَّ التَطَهَّرَ لا يتم بالوعظ ولا بمجرد إثبات تحريم الفعل المرفوض، بل بربطه بمسلكية العدو القومي .. أمَّا أنْ نمدح " فضائل " العدو ونُدعي محاربتَه، أو أنْ نلعن رذائله ونتعامل معه بل ونحالفه " فعِبث غير مجدٍ.

كذلك فإنَّ اتهام العائدين من الحروب الصليبية، يماثل اتهام " الرجعيين " اليوم للمهاجرين إلي أوروبا وأمريكا أو " المتفرنجين " العائدين من هناك!.

ويقول مؤرخ اللواط: " آخر قصيدة قيلت في حبِّ الغلمان في أوروبا الغربية كلها قالها يهودى ( تادرس أبو لافيه ) في الأندلس في القرن الثالث عشر وبموته خرس صوت اللواطيين في أوروبا فلم يُسمع لعدة قرون حتى القرن الحاضر " . .

وضاع الأندلس وغربت شمس الله من الغرب!!!.

وأبيد فرسان الهيكل. " وكانت أبرز آلتهم الموجهة لهم هى عدم احترام الصليب واللواط " وعقد حلف مع الشيطان لعبادة محمد " ) وبدأ تصفيتهم فيليب " العادل " ملك فرنسا فى أكتوبر ١٣٠٧ ) وقد جري تعذيبهم حتى الموت. وعرف عرض رئيسهم " جاك دى مولاي " ذراعيه المكسورتين المسلوختين، فلم يتبق منهما إلاَّ العظام وكذلك آثار التعذيب علي ظهره وخصيتيه علي لجنة التحقيق الباباوية التي انخرطت فى البكاء وعجزت عن النطق " ( ولكن البابا كان أكثر قدرة علي النطق فقد أصدر قراراً بحلِّ تنظيم الفرسان ومباركة ما أنزله فيليب بهم عام ١٣١٢ ) وقد اعترف بعض المعذبين بأنَّهم أنكروا المسيح وبصقوا علي الصليب"، وقد دعا رئيس الفرسان وهو علي دولاب التعذيب وقبل أن يموت فبراير ١٣١٤ البابا كلمنت والملك فيليب للقاء معه في محكمة الرب، وقد مات البابا بعده بشهر واحد بالدوسنطاريا، وهو مرض مذل مهين!؟!!، ومات فيليب بمرض غامض لم يعرف سرّه إلي اليوم! كذلك أبيدال Cathar " المتطهرون وذهب سرهم معهم

بنفس التهمة إنكار المسيح، والبصق علي الصليب ولم يُعرف شيء مفيد عن تهمتهم الحقيقية، إلا في القرن العشرين، وصحيح أنه لا يمكن أن نعول كثيراً علي محاضر محاكم التفتيش فيما تنسبه لمتهم يُحرق حياً، أو ما يُثبتته قسيس ممتليء رغبة وإيماناً بإدانة المتهم .. ولكن يفهم من الدراسات الحديثة، أنهم عادوا من الحروب في المشرق الإسلامي بفكرة مخالفة للمفهوم الكاثوليكي عن المسيح والصلب!!!!!!..

وآخر دراسة تقول أن فرسان الهيكل من خلال الاتصال بالثقافة الإسلامية تشبّعوا بأفكار مخالفة للمسيحية الرومانية التقليدية وكان قاداتهم يتسخدمون سكرتاريين (١) عرباً ودرس عدد كبير منهم اللغة العربية في الأسر وكانوا يتقنونها ".  
صحيح أن هؤلاء قاتلوا وأثبتوا وطنيتهم، ولكن هذا لا يشفع لهم، لأنّ النهضة الحقيقية تستلزم العداء العقائدي أولاً، لا الوطني ولا المصلحي، ولا العقلاني. بل العقائدي الذي لا يقبل الجدل ولا المنطق ولا المصالحة، ولا الموضوعية.

لقد قتلوا ظلماً علي يد الأكثر تخلفاً، وربما الأقل تضحية في الميدان العملي،

(١) حتي وإن كان السكرتير العربي في مركز التابع ظاهرياً إلا أن تفوقه الحضاري يجعله يؤثر علي الرئيس كما تتحكم " الناني " الأمريكية في الأسيرة العربية أو السكريرة الفرنسية في رجل الأعمال أو السفير العربي.

ولكن قتلهم كانوا الممثلين الحقيقيين للوطنية الأوربية، للحضارة الأوربية وهم الذين ضمنوا انتصار أوروبا بتخلفهم ورجعيتهم واستبادهم وتعصبهم.

وهم الذين قتلوا " ادوارد " ملك إنجلترا، هذه القتلة البشعة وغير المستغربة من حضارة تميّزت بالوحشية مع مخالفيها، ولكنها دليل قوة الإرادة والتصميم علي قهر التحدي، والانتصار فلا مكان فيها لفسق مترفيها، وهل يمكن لحضارة من صنع البشر، أن تنتصر علي حضارة أسمي قيماً وأبل مسلماً، وأكثر إنسانية، إلا بالتعصّب؟؟؟؟؟؟!!!! وهل يمكن لأية حضارة أن تبعث إلا بالإيمان المطلق من دعائها بأنها الأطهر والأشرف؟!!!!!!!.

ربّما يكون ريتشارد قلب الأسد لوطياً كما يزعمون، ولكنه عندما شنّ الحرب الصليبية ضد المسلمين، عندما نفخ في البوق الحضاري للبعث الأوروبي خلق دون أن يشعر وربّما من حيث لم يرد، المناخ الذي جعل سلفه : ادوارد الثاني " يموت تلك الميتة البشعة علي يد البرلمان والنبلاء الإنجليز، هو وعشيقة، فقد قطعوا إحليل عشيقه وحرقوه علناً، وأدخلوا سيخاً محمياً في دبر صاحب الجلالة!.

وفي القرن الثالث عشر وفي حمي الحرب الصليبية بالسلاح وبالفكر ضد المسلمين ظهر توماس الأكويني الذي وضع القوانين الأخلاقية للمسيحية إلي يومنا هذا وقد ظهرت في كتاباته وتفكيره حجج الفقه الإسلامي والمنطق الإغريقي الذي قرأه في ترجمات المسلمين، ولكن في صيغة مسيحية، وبمنطلقات مسيحية بالمفهوم الذي طرحته الكنيسة منذ البداية، وخاصة عن احتقار المرأة وجعلها في مرتبة أدني للرجل. فكان يعتبر المرأة أقل من الرجل في أكثر من ناحية واعتبر إنجاب الأنثي خطأ من الطبيعة ( تاريخ اللواط في المسيحية ص ٣٢٧ )، ففي الظروف العادية يتطلع مني الرجل إلي إنجاب ذكر مثله، لأنّه يريد المشابهة والكمال. ولكن إذا ما تدخل عنصر خطأ أو نقص في المنى، أو هبت ريح جنوبية رطبة أثناء الإخصاب جاءت أنثي، وقد شرع

توماس الأكويني<sup>(١)</sup> هذا بأن اللواط هو من الكبائر مثل الإستمناء والجماع مع الحيوانات. والجنس الشهواني مع الزوجة "!!!".

قارن ذلك بحديث إن غلب ماء الذكر ماء الأنثى جاء ذكر، وإن غلب ماء الأنثى جاءت أنثى...

ولن نتوقف لحظة واحدة عند تلك الأبحاث والدراسات التي تحاول إثبات أن " العفة " لم تتحقق بتشدد الكنيسة أو بارتفاع صوت الفضيلة من جانب السلطة ولا ما تقدمه الدراسات من أدلة ووثائق عن انتشار البغاء وعن فضائح أخلاقية في قيادات المجتمع الكنسية، والمدنية، طوال هذه القرون. نعم نحن لا نهتم بذلك، لأنّ نظريتنا تقوم حول " القيم " التي تحكم سلوك الجماهير، المثل التي تحدّد أخلاقيات العامّة، أخلاقيات المجتمع المُعلّنة. فكما قيل: الدين للخاصّة والتدين للعامّة. أو بمعنى أوضح الاختيار يكون للخاصّة، والممارسة علي العامّة، المباديء تحدّد القيادة وتحدّد التطبيقات المطلوبة من العامّة لإنجازها.. أو تحقيقها...

فالمهم هو أنّ المجمع المسيحي الأوروبي فرض قيم " التطهر وخلق حماسة

(١) وتجدر الإشارة إلى أنّ الأكويني هو تلميذ البرتوغنوس الذي كان مستعرباً أي متتمياً للثقافة العربية دارساً لها وهو الذي اكتشف دواء اللواط يستخرج من رأس الضب ويحرق ويدس رماده في دبر المأبون فيشفى بإذن ماغنوس هذا. وقال جون بوزول أنّ **Alzabo** ترجمة لاتينية للضب وهو حيوان مشهور في الفكر اللوطي. ولكننا نعتقد أنّها ترجمة للضب. فأهل الجزيرة يطلقون الضاد ظاء .. المهم أنّه في التطور الثقافي الأوروبي ظهر جيل المسحوقين العاجزين عن التعلم، ثم جيل المبهورين المفتونين المكتفين بالتذوق والعيش في حضارة خصمهم، ثم جيل المترجمين والمؤلفين بالعربية لكسب الاعتراف العالمي. ثم جيل المتعصبين المعادين الدارسين بعمق أكثر والمفتريين بفجور أكبر. الذين أعادوا صياغة العلم العربي - الإسلامي بصيغة أوروبية - مسيحية، أخفت تماماً ملامح العروبة والإسلام. وهؤلاء هم من يعتبرونهم مؤسسي العلم الأوروبي.

المتطهرين، وفي مقدّمة الممارسات التي يجب أن يتخلّص منها مجتمع يريد البعث، هي اللواط الحضاري .. أما ما تفعله الطبقة الحاكمة خلف جدران القصور، ما دام لا ينعكس علي السلوك العام، فهو في هذه اللحظة مسألة شخصيّة لا تهمّ إلاّ الفاعل والمفعول به وحسابهما علي الله. ولكن المهمّ في دراستنا هذه كما قلنا هو " الفاحشة " التي تؤثر علي المجتمع.

## الصوفية واللوواط

وإذا كانت المسيحية الصاعدة [ تعليق: **صاعدة في القرن الثالث عشر الميلادي** ؟؟؟؟؟ ] قد نقلت جل فضائل السلوك الإسلامي ؟؟؟؟!!!، ورفضت العقيدة، فإنّ الحضارة الإسلامية الغاربية، وقد دبّ فيها الوهن، ومالت إلي الجنوح والنعاس، اقتبست بدورها مسلكية " التخلف " المسيحي، وأسوأ ما في الحضارة المهزومة. وعلي سبيل المثال، فإن " الصوفيّة " في شكلها المتدهور، وليس في بدايتها، ما هي إلا صورة إسلاميّة للرهبنة، وكظاهرة انهيار حضاري عندنا، فقد اشتهر الصوفيّة باللوواط، وقصصهم تملأ كل الكتب، ليس فقط في الأشعار التي ادّعوا أنّها ترمز إلي عشق الله سبحانه وتعالى عمّا يصفون والتي علق عليها ناشر إنجليزي بقوله: " يصعب تصوّر تفكير الصوفي في الله وهو يتحدث عن شعر الحبيب المجدّد وشفّتيه الورديتين .. إلخ... "

ويحكي عن فاطمة - أخت أبي علي الروزبادي - قالت لما قرب أجل أبي علي الروزبادي؛ وكان رأسه في حجري؛ فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت؛ وهذه الجنان قد زينت؛ وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوي وإن لم تردها، ثمّ أنشد يقول:

وحقك لا نظرت إلي سوا كا      بعين مودة حتى أراكا  
أراك معذبي بفتور لحظ      وبالخذ المورد من حياكا  
( الغزالي - الإحياء )

بل إنَّ العلاقة الصوفية تكاد تدور حول الشيخ ومريده، وغالبًا ما يكون هذا المرید أمرد. ولأمر ما فالكلمتان من حروف واحدة!.

وما زالت حلقات الذكر - في رأي البعض - مركزًا من مراكز تعارف ونشاط اللوطين .. وقد وضع مصري ماجن صيغة ذُكر زعم يردّدونه في الحلقة يقول: " الواد ده حلو ... خده جنبك " الله حي!.

وقد خصَّص الشيخ الحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الحوزي البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ في كتابه " تلبيس إبليس " فصلاً خاصاً عن علاقة المتصوفة " بالأحداث " وردّ علي أعدارهم بالتالي:

" الذين يدعون أنهم يعشقون الله في صورة الغلام لأنَّ الله قد حلَّ فيه! وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا، أنَّ طائفة من الصوفية، قالوا أنهم يرون الله عز وجل في الدنيا. وأجازوا أن يكون في صفة الآدمي، حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الأسود ".

وفكرة حلول الله في جسد آدمي هي فكرة مسيحية لها جذورها الإغريقية؟؟؟؟، أمّا أنّه يحلّ أحياناً في صورة " غلام " يعشق فهي فكرة لوطية إغريقية أصيلة. والغلام الأسود، إمّا دليل لنعصرية المسلمين، ومزاج الصوفي! .. وإمّا تشنيعة لا تخلو من عنصرية، من الشيخ الحافظ غفر الله له.

" القسم الثاني: قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم ويقصدون الفسق " ... وهؤلاء لوطيون فقط بلا فلسفة، وإمّا يندسّون بين الصوفية، لانتشار الغلمان في حلقات الصوفيين، ولوجود قابلية لهذه العلاقة بين الصوفيين رجالاً ومريدين في ذلك الوقت الذي يحكي عنه الشيخ ..

" القسم الثالث: قوم يستيحون النظر إلي المستحسن. ونسبوا إلي الرسول " كذباً " : " ثلاثة تجلوا البصر: الخضرة والماء والوجه الحسن "



وقال الشيخ إن الحديث من وضع " أبا البختری " : " وكان يدخل علي الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه ( لاحظ أنه ابن هارون الرشيد الذي قلنا إن عصره كان بداية الانحدار وهذا ابنه الثاني غير الأكبر الأمين " المتهم " ج ) فقال الرشيد: أراك تُدمن النظر إلي القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك ( !؟ ) قلت أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في. وأما إدمان النظر إليه فإن جعفرًا الصادق ثنا عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ثلاثة يزدن في قوة النظر .. الخ.

وقد أثبت ابن الجوزي بطلان الحديث، وقال إن الفقهاء يقولون: من ثارت شهوته عند النظر إلي الأمر حُرِّمَ عليه أن ينظر إليه. وإذا ادَّعي الإنسان أنه لا تتور شهوته عند النظر إلي الأمر المستحسن فهو كاذب. وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم الرجل يلحّ النظر إلي غلام أمرد فاتهموه ". .

" القسم الرابع: قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة، وإنما ننظر نظرة اعتبار فلا يُضيرنا النظر وهو مُحال .... " .

وروت شهدة بنت أحمد الإبري أول مؤلفة في الشذوذ الجنسي في تاريخ البشرية، قالت إن: " أبا النضر الغنوي، وكان من المبرزين العابدين، نظر إلي غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتي دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانة المنيع ألا وقفت حتي أروي من النظر إليك فوقف قليلاً ثم ذهب ليمضي فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدي المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه .. " .

وتمضى القصة، حتى استوقفه بأسماء الله الحسنی كلها وهي ٩٩ اسماً والغلام " التقى؟؟ " لا يستطيع رفض طلب يبدأ باسم الله!! فلما فرغت الأسماء وفرغ " العابد " مضي الغلام. فرفع " العابد " رأسه بعد طويل إطراق وهو يبكي فقال: قد ذكرني هذا بنظري إليه، وجهًا جلّ عن التشبيه وتقديس عن التمثيل وتعاضم عن التحديد .. والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه حتّي أصير إلي ما أردته من نظري إلي وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنّه قد أراني وجهه وحبسني في النار ". .

ولا تظن أن الصوفي منافق كاذب، بل يحدث خلط في عقله بين اشتهاء الغلام وجمال وجهه وبين تدينه وتطلّعه إلى الله فيخرج من المعصية إلى الكفر وهذا التناقض الحاد في عقل ومشاعر الصوفي، وعدم قدرته علي مغالبة عواطفه، مع خوفه من الاتهام تفسّره هذه الحكاية:

" وكنا في مسجد الخيف ونحن مُحرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً بن حسان، الصوفي ينظر إليه نظراً أنكرته. فقلت له بعد أن قام ( الغلام ) إنك مُحرم في شهر مُحرم في بلد مُحرم في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلي هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون، فنفي ذلك ثم صعق حتي اجتمع الناس علينا ".

" وحكي أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه في رقعة أنك تحب غلامك التركي، فقرأ الرقعة ثم استدعي الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة ".

وعن أبي الطيب الطبري " أن هذه الطائفة التي تحب السماع، أنها تضيف إليه النظر إلي وجه الأمد، وربما زينته ( الأمد ) بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي، وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة علي الصانع، وهذه هي النهاية في متابعة الهوي ".

وقال يوسف بن الحسين " عاهدت الله مائه مرّة ألا أصاحب حدثاً، ولكني فسخت بفعل قوام القدود وغنج العيون ".

ومن طرائف الباحثة الإسلامية " شهدة " أن أبا الكميت الأندلسي روي: " صحبت رجلاً من الصوفية يُقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوّف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه، وكان إذا جاء الليل قام فصلي ثم ينام إلي جانبه ثم

يقوم فزعاً فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلي جانبه حتى فعل ذلك مراراً، فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علي سليماً لم اقترف فيه فاحشة وكتبت علي الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ( أي من اشتهاه الفعل مع الغلام ) ثم يقول ياليل إشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للأثام. ثم يقول سيدي: أنت تجمع بيننا علي تقي فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب. فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع منه هذا القول "....

**إن صدق؟! أليس لمثله كان وعده - سبحانه وتعالى - بالولدان  
المخلدن!؟**

وكان العشق متبادلاً .. قال أبو حمزة الصوفي: " رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدًا وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوماً: لقد طال حزنك علي صديقك حتي أظن أنك لا تسلو بعده أبداً ؟ ( فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عزّ وجلّ وصانني عن نجاسة الفسوق في خلال صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار ".

**إن صدق .. ألا يستحقان أن يجمع الله بينهما في الجنة، حيث لا  
يسمعان فيها " لغواً ولا تأثيماً " !!؟**

وسأل أبو حمزة محمد بن العلاء الدمشقي " وقد رأيت يماشي غلاماً وضيقاً مدة ثم فارقه. فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذي كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلاً وإليه مائلاً .. ؟ فقال والله لقد فارقتة عن غير قلبي ولا ملل قلت: ولم فعلت ذلك ( السائل موقفه أغرب من المسؤل ) قال: رأيت قلبي يدعوني إلي أمر إذا خلوت به وقرب مني، لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرتة لذلك ".

" القسم الخامس: نظر وعشق وتاب... " " كنت مع أمية بن الصامت الصوفي. إذ نظر إلي غلام فقراً : " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سورة الحديد ٤) ، تبارك الله فما أعظم ما امتحنني به من نظري إلي الغلام ما شبهت نظري إليه إلا بنارٍ وقعت علي قصب في يوم ريح فما أبقت ولا تركت... ثم بكى حتي كاد يقضي نحبه " ...

" وقسم تلاعب به المرض من شدة حبه !! "

فقد روت شهدة الكاتبة عن غيرها: " أنَّ عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفيَّة ووجوههم نظر إلي غلام حسن في بعض الأسواق فبُلي به. وكاد يذهب عقله عليه صباةً وحبًّا وكان يقف كل يوم في طريقه حتي يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعدته عن الحركة الضنا، وكان لا يقدر أن يمشي خطوة فأتيته يوماً لأعوده. فقلت يا أبا محمد ما قصتكَ، وما هذا الأمر الذي بلغ بك ما أري، فقال أمور امتحنني الله بها فلم أصبر علي البلاء فيها، ولم يكن لي بها طاقة .. ثم بكى .. إلخ فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال .. "

" ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عبَاد الله إلي غلام جميل فغشي عليه، فحُمِل إلي منزله واعتاده السقم حتي أقعد رجليه وكان لا يقوم عليهما زمانًا طويلاً. فكنا نعوده ونسأله عن حاله وأمره، وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره. فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً ( !! ) فهشَّ إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برويته. فمزال يعودته حتى قام علي رجليه وعاد إلي حالته. فسأله الغلام يوماً أن يسير معه إلي منزله ( !! ) فأبى أن يفعل ذلك فسألني ( أبو حمزه راوي القصة ) أن أسأله أن يتحوَّل إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ: وما الذي تكره من ذلك؟ فقال: لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجري بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين "

وحق للدارسين القول أنه منذ الإغريق، لم يحدث تسامح وقبول اجتماعي لهذه الظاهرة إلا في الحضارة الإسلامية " الآفة " فالناسك يعشق الغلام ويمرض في حبه، والناس يتحدثون بذلك حتى تصل الأخبار للغلام، فيستجيب لذلك بروح أكثر من متسامحة، ويزور عاشقه حتى يُشفي ثم لا يكتفي بذلك، بل يعرض عليه " المعاشرة "، أولاً بدعوته إلي منزله، ولا أحد يهتم بتفسير موقف عائلة " الغلام " .. وإلا كيف تأتي له المنزل الذي يصلح لاستقبال الصوفي العاشق؟! .. إلا إذا كان غلاماً محترفاً؟! ولكن ما أظن أن صوفياً بصلاح وترفع ابن الأشعث: " وكان من خيار عباد الله " يعشق غلاماً مومساً .. فهل كانت أسرة الغلام تفوق " تحضر " عائلات سان فرانسيسكو حتى تسمح له بمعاشرة رجل تحت سقف بيت العائلة؟! ..

ثم يعرض الغلام الانتقال إلي منزل " ابن الأشعث " ويتعين في ذلك " بأبي حمزة الصوفي " الذي لا يري في هذه الوساطة، " قوادة " ولا ممّا يُشين الرجال فضلاً عن الصوفيّين .. ولا ما يُغضب الله .. بل يسأل الرجل دهشاً: " ولماذا ترفض هذا؟ " .

هذا مناخ حضارة آفة، لم تعد ترى في ذلك الفعل عيباً، وإن ارتفعت حدة الفقهاء بلعن الفاعل والمفعول فيه، فقد أصبح صوتهم هو النشاز، بل يسمع أكثر علي الجانب الآخر حيث العدو المتربّص، وحضارته الصاعدة ....

**فلا تقولوا هزمنّا بسبب الدين، بل بتخلينا عن الدين، اندفاعاً في الانحلال إلى القاع ..** أما الصوفي الكبير في بلاد فارس الذي ابتلي " بحدث " فقد فعلها معه، ثم ندم فألقي بنفسه في البحر ومات غرقاً ..

وقال إدريس بن إدريس " حضرت بمصر قوم من الصوفية، ولهم غلام أمرد يغنيهم قال، فغلب علي رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال له: يا هذا قل لا إله إلا الله .. فقالها الغلام فقال الرجل: أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله .. وقبله في فمه!! " .

" القسم السادس: " قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم فيتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيؤثر في القلب فتنة " .. إلخ.

" القسم السابع: قوم علموا أن محبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا علي ذلك " .

وكان الغلمان يتصدون للصوفية استعراضاً لجمالهم فقد روي أحدهم: " وقفت علي الشبلي في قبة الشعراء في جامع المنصور، والناس عليه مجتمعون، فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه ويعرف بابن مسلم ( تأمل كيف عرف الراوي أبو صابر الدلال الوجوه الجميلة في بغداد وترتيبها، واسم الغلام .. إلخ ) فقال له ( الشبلي ) تنح، فلم يبرح، فقال له الثانية تنح يا شيطان عتاً فلم يبرح، فقال له في الثالثة: تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك. وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوي جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلي:

طرحوا اللحم للبزة على ذروتى عدن  
ثم لاموا البزة إذ خلعوا منهم الرسن  
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

ثم استأنف الوعظ في جامع المنصور!! وقصة الشبلي حافلة بأدلة الترف والثروة الهائلة التي كانت قد تجمعت في المجتمع الإسلامي، وأفضت إلي فسق مترفيها .. وانحراف " عابديها " . قيل إنه " كان يلبس ثياباً ثمينة، ثم ينزعها ويضعها علي النار. وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها علي النار يبخّر بها ذنب الحمار. وقال بعضهم: دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار لكي لا يشغله عن ذكر الله. وباع عقاراً ففرق ثمنه " .

وهكذا .. تأمر مترفوها ففسقوا فيها فحلّ عليها الزوال الحضاري.

## ولدان مخلدون

وأعتقد أنه قد آن الأوان لنلخص " خواطرنا " في الموضوع؛ فنقول:  
أنا نقسمه إلي موقفين: السلوك الفردي .. والمسلكية الحضارية.

والحالة الفردية، يهتما فيها، بالطبع، حكم الدين. وعلي ضوء ما  
قدّمناه من آراء حول أسباب ميل الفرد للواط، نري أنّ هذا الفعل موجود  
ويُمكن أن يقع في كلّ الظروف والمجتمعات، كذلك الميل يُمكن أن يوجد  
في مختلف الطبقات والأفراد والمجتمعات. والفعل - في رأينا - مُحرم  
دينيًا، وإذا كانت هناك محاولات في الكنيسة وبين المسيحيين واليهود  
لإعادة صياغة التوراة [ تعليق: الكتاب المقدس بعهديه هو كتاب ليس  
فيه تغيير أو تبديل أو تحريف، وكفاية سفسطة !!!! ]. أو " لي " عنق  
النصوص لتلائم اتجاهات العصر، وذلك بالبحث عن تفسير غير جنسي  
لما أصاب قوم " لوط " من انتقام إلهي .. خلاف التفسير الشائع  
والمتوارث. ويزعم المفسرون الجدد أنّ قوم لوط عوقبوا لسوء  
معاملتهم لابن السبيل! ويستشهدون علي ذلك بأنّ الإجيل عندما أنذر  
القدس بمصير أسوأ من " سادوم " لم يكن بسبب فعل جنسي بل لأنّها لم  
تحسن استقبال المسيح... [ تعليق: إنّ أي تفسير لا يعتمد ولا يتوافق مع  
الكتاب المقدس ككل، ولا مع التقليد الكنسي، ولا مع أقوال الآباء، لا  
تعترف به الكنائس التقليدية ولا يُعتبر إلا مجرد رأي فقط لصاحبه  
وبدعة مرفوضة ].

### القرآن وقصة لوط:

ولكن القرآن، لم يترك مجالاً لمثل هذا التلاعب؟؟؟.. فعلي خلاف  
المنهاج القرآني المعتاد، وهو تجنب التحديد الملزم في الوقائع التاريخية  
وتفضيل الكناية

في مسائل الجنس، نجده في قصة لوط قد حدّد بصراحة تهمتهم : " **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ** " (الأعراف ٨١). وقد وردت قصة قوم لوط في سورة هود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والصفات .. .

ولكن هذه الدراسات تستشهد بالقرآن، لتعزيز رأيها بأن جريمة قوم لوط، هي إهانة الضيوف، فيقولون إنهم توجهوا إلي بيت لوط " للتعرف " علي الضيوف باعتبارهم غرباء عن المدينة التي حظرت عليه الإتصال بالغرباء أو استقبالهم في بيته. ربّما خوفاً من غزو خارجي أو مؤامرة يدبرها معهم. فأرادوا التعرف عليهم وهذا المقصود بفعل **to know** ولكن التبس علي الشراح في القرون التالية لأنّه نفس الفعل المستخدم في " عرف آدم إمرأته " فولد لهما كذا، وعرف آدم حواء مرة ثانية فولد له... فالفعل هنا يعني الوطء، فكان أهل المدينة لما قالوا لسيدنا لوط نريد أن نعرف ضيوفك... قالو نريد أن نجامعهم.. ويقول أنصار هذا الرأي إنّ القرآن قال علي لسان أهل المدينة : " **قَالُوا أَوْكَمْ نَبهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ** " (سورة الحجر ٧٠)، ولا يُعقل أن يكون سبب المنع جنسياً، لأنّ " لوط " هو الوحيد غير الشاذ، وإنّما المنع في هذه الحالة يكون لأسباب سياسيّة أو أمنيّة.

إلا أنّ هذا التفسير متهافت.. فمن ناحية؛ القرآن شديد الوضوح بأنّ الحوار كان جنسياً وليس أمنيّاً، بدليل عرض لوط بناته عليهم...  
" **وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ** " (هود ٧٩، ٧٨).



والحديث عن طهارة البنات، أو أتهن أظهر يُشير إلي المعني الجنسي ولكن الردّ بأنهم ليس لهم " من حق " في بناته، وليس " من أرب " أو " رغبة " يعني أنّ لهم " حقًا " في ضيوفه... فهو قول لا يُعزّز التفسير الجنسي هنا... ولكن الآيات الأخرى تزيل الشبهة: " وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون، قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ " (سورة الحجر ٧٦-٧٠).

واستبشار أهل المدينة، وعرض البنات .. إنّ كنتم فاعلين .. يُرَجَّح المعني الجنسي، فلو كانت قضية أمن، لما كان هناك مبرر للاستبشار بل الأخرى، القلق .. وإمّا مفهوم السياق أتهم رأوا .. ذكوراً .. في جمال الملائكة، وغرباء، أي فيهم طرفاة الجديد، فجاءوا يستبشرون! أمّا " نهيهِ عن العالمين " فيمكن القول أنّه كان يُولب عليهم الشبان بنصحهم بالإقلاع عن هذه العادة، فمنعوه من الاتصال بأحد. " هؤلاء بناتي إنّ كنتم فاعلين " منطق معروف ومعتاد جداً من الكبار الذين يحاولون اقتناع الشاذ جنسياً بأنّ البنات أفضل. مع ملاحظة أنّ البشري قد تكون بمفهوم المخالفة، فقد ورد في القرآن التبشير بالعذاب في أكثر من موضع. وأيضاً جاءت لفظة البشري وفعالها مقترنة بالإنباء عن غلام أو مولود " ذكر " في ١٩ موضعاً في القرآن.

قال مجاهد وسعيد بن جبير وأغلب المفسرين .. بناته هنّ نساء المدينة أو أمته كما قال الله تعالى عن النبي وأزواجه أمهاتهم أي أمهات المؤمنين وإنّ لم يلدن هؤلاء ويُعزّز هذا أنّه قال في القرآن هؤلاء بناتي وهو جمع، وهو ما يناسب عقلاً حاجة مدينة بأكملها. بعكس رواية التوراة التي حدّدت عدد بناته بإثنتين: لي ابنتان لم يعرفا الرجال؟ أتوسل إليكم أن أحضرهما إليكم وأفعلوا بهما ما أحببتن ولكن لا تفعلوا شيئاً بهؤلاء الرجال لأنهم تحت سقفي.

ولعل مما يُعزز هذا التفسير قولهم " مالنا في بناتك من حق " إذ لو كان الحديث يجرى علي ابنتي لوط، فهو وليهم، وهذا الحق يتأتي من موافقته أو عرضه. ولكنه لا يملك ذلك علي بنات المدينة، ولذلك قالوا إن عرضه غير واقعي إذ ليس له ولا لهم من حق عليهن. فضلاً عن لامعقولية أن يتصور كفاية ابنتين أو حتي عدة بنات، لإشباع، " أهل المدينة "!

والغريب أن رواية التوراة، قد نسبت إلي سيدنا لوط وبناته الصالحات، والعياذ بالله، نسبت إليهم، فعلاً أسوأ من أي جريمة ارتكبتها قوم لوط. إذ زعمت أن بنات لوط ( بنتان ) خشيتا من فناء العالم بعد هلاك مدينتهما، فسقتا أباهما لوطاً خمرًا وجامعهما، وهو لا يعقل من السكر، وحملتا منه إنقاذًا للجنس البشري! .. مع أن " ابراهيم " - كما في الرواية - كان موجودًا وكان لديه قومه أو أهله القادرون علي الإجاب والإخصاب!.

ولعل هذا هو ما أثار الشك عند الغربيين في السبب الأخلاقي لدمار مدينة لوط. طالما أن نفس الرواية تنسب هذا الفعل للنبي الذي كان السبب في دمار المدينة!.

[ تعليق: نكتفي بذكر الرواية كما جاءت في سفر التكوين الأصحاح التاسع عشر، ونتمنى أن يفهم القارئ القصة كاملة بدون تأويل بما لا يتجمله النص، ونذكر فقط، أن التوراة وبالتالي الكتاب المقدس لا يعترف بأن لوط كان نبيًا، وإلا فيذكروا ما هي نبوءة لوط؟: " افجاء الملائكان إلى سدوم مساءً، وكان لوط جالسًا عند باب سدوم. فلما رأهما لوط، قام للقائهما وسجد بوجهه إلى الأرض، ٢ وقال: " سيدي، ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا وأعسلا أرجلكما، ثم ثبكران وتمضيان في سبيلكما ". فقالا: " لا، بل في الساحة تبيت ". ٣ فألح عليهما كثيرًا، فمالا إليه ودخلا منزله. فصنع لهما مأذبة وخبز فطيرًا، فأكلا.

٤ وقبل أن يضطجعا، إذا بأهل المدينة، أهل سدوم، قد أحاطوا بالمنزل، من الصبي إلي الشيخ، جميع القوم إلى آخرهم. ٥ فنادوا لوطًا وقالوا له: " أين الرجال اللذان قدما إليك في هذه الليلة؟ أخرجهما لكي نعرفهما".

٦ فخرج إليهم لوط إلى المدخل وأغلق الباب ورآه ٧ وقال: " أسألكم ألا تفعلوا شرًا، يا إخوتي. ٨ ها عندا لي ابنتان ما عرفتا رجلًا: أخرجهما إليكم، فاصنعوا بهما ما حسن في أعينكم. وأما هذان الرجلان، فلا تفعلوا بهما شيئًا، لأنهما دخلا تحت ظل سففي ". ٩ فقالوا: " نتح من هنا! ". ثم قالوا: " هذا رجل ينزل بنا فيقيم نفسه حاكمًا! الآن نفعل بك أسوأ مما تفعل بهما ". وضيقوا على لوط وتقدموا ليكسروا الباب. ١٠ فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب. ١١ وأما القوم الذين عند باب البيت، فضرباهم بالعمى من صغيرهم إلى كبيرهم، فلم يقدرُوا أن يجدوا الباب.

١٢ وقال الرجلان لوط: " من لك أيضاً ههنا؟ أصهارك وبنوك وبناتك وجميع من لك في المدينة أخرجهم من هذا المكان، ١٣ فإننا مهلكان هذا المكان، فقد أشتد الصراخ عليهم أسلافنا منذ قبل أن نولد لهذا العالم. ١٤ فخذنا من هنا وطردناهم أصلاً لأننا

فكانَ كمازح في أعينِ أصهاره.

١٥ فلَمَّا طَلَعَ الفجرُ، أَلحَ المَلَكُانَ على لوطٍ قائِلين: " فَمُ فُخِذْ أَمْرَاتِكَ وَابْنَتَيْكَ المَوْجُودَتَيْنِ هُنَا، لِنَلَأَ تَهْلِكَ بِعِقَابِ المَدِينَةِ ". ١٦ فَتَرَدَّدَ لوطُ، فأمسَكَ الرَّجُلَانِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ أَمْرَاتِهِ وَابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ المَدِينَةِ.

١٧ فلَمَّا أَخْرَجَاهُم إِلَى خَارِجِ قَالَا: " أَنجُ بِنَفْسِكَ. لَا تَلْتَفِتْ إِلَى وَرَائِكَ وَلَا تَقِفْ فِي السَّهْلِ كُلِّهِ، وَأَنجُ إِلَى الجَبَلِ لِنَلَأَ تَهْلِكَ ". ١٨ فَقالَ لَهُمَا لوطُ: " لا، أَرَجُوكَ، يَا سَيِّدِي. ١٩ إِنَّ عِبْدَكَ قَدْ نَالَ حُظُوءَ

فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَمْتَ رَحْمَتَكَ الَّتِي صَنَعْتَهَا إِلَيَّ بِإِبْقَائِكَ عَلَى حَيَاتِي. إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ النِّجَاةَ إِلَى الجَبَلِ دُونَ أَنْ يَلْحَقَ بِي الشَّرُّ فأموت. ٢٠ ها إِنَّ هَذِهِ المَدِينَةَ قَرِيبَةٌ لِلهَرَبِ إِلَيْهَا، وَهِيَ صَغِيرَةٌ، فَدَعْنِي أُنْجُو إِلَيْهَا- الِيسْتِ صَغِيرَةٌ؟- فَتَحِيَا نَفْسِي ". ٢١ فَقالَ لَهُ: " هَاعَبْدًا قَدْ أَكْرَمْتَ وَجَهَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَيْضاً بِأَنْ لَا أَقْلِبَ المَدِينَةَ الَّتِي ذَكَرْتَهَا. ٢٢ أَسْرِعْ بِالنِّجَاةِ إِلَى هُنَاكَ، فَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئاً إِلَى أَنْ تُصِيرَ إِلَيْهَا ". لِذَلِكَ سُمِّيَتِ المَدِينَةُ صُوعَرَ.

٢٣ وَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ، دَخَلَ لوطُ صُوعَرَ. ٢٤ وَأَمَطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيئاً وَنَاراً مِنَ السَّمَوَاتِ، ٢٥ وَقَلَبَ تِلْكَ المُدُنَ وَكُلَّ السَّهْلِ وَجَمِيعِ سُكَّانِ المُدُنِ وَنبَاتِ الأَرْضِ. ٢٦ فَالْتَفَتَتْ أَمْرَأَةُ لوطٍ إِلَى وَرَائِهَا فَصَارَتْ نُصْباً مِلْحٌ....

٣٠ وَصَعِدَ لوطُ مِنَ صُوعَرَ وَأَقَامَ فِي الجَبَلِ هُوَ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يُقِيمَ فِي صُوعَرَ. فَاقَامَ فِي مَغَارَةٍ هُوَ وَابْنَتَاهُ.

٣١ فَقالَتِ الكُبْرَى لِلصُّغْرَى. " إِنَّ أَبانا قَدْ شاخَ، وَليسَ فِي الأَرْضِ ( الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا بَعْدَ فِئَاءِ مَدِينَتِهِمْ ) رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَيْنَا عَلَى عَادَةِ الأَرْضِ كُلِّهَا. ٣٢ تَعَالِي نَسْقِي أَبانا خَمِراً وَنُضَاجِعُهُ وَنُقِيمُ مِنَ أبنائِنا نَسْلاً ". ٣٣ فَسَقَتَا أَباهُما خَمِراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَجَاعَتِ الكُبْرَى فَضَاجَعَتْ أَباهَا وَلَمْ يَعْلَمْ بِنِيامِهَا وَلَا قِيامِهَا. ٣٤ فلَمَّا كانَ الغَدُ، قالَتِ الكُبْرَى لِلصُّغْرَى: " هَاعَبْدًا قَدْ ضَاجَعَتْ أُمسَ أَبِي، فَلنَسْقِهِ خَمِراً هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَيْضاً، وَتَعَالِي أَنْتِ فَضَاجِعِيهِ لِتُقِيمَ مِنَ أبنائِنا نَسْلاً ". ٣٥ فَسَقَتَا أَباهُما خَمِراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً، وَقَامَتِ الصُّغْرَى فَضَاجَعَتَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِنِيامِهَا وَلَا قِيامِهَا. ٣٦ فَحَمَلَتِ ابْنَتَا لوطٍ مِنَ أبيهِما. ٣٧ وَوَلَدَتِ الكُبْرَى ابْناً. وَسَمَّتَهُ مِوَابَ، وَهُوَ أَبُو المِوَابِيِّينَ إِلَى اليَوْمِ. ٣٨ وَالصُّغْرَى أَيْضاً وَوَلَدَتِ ابْناً وَسَمَّتَهُ بِنَعْمِي، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُونَ إِلَى اليَوْمِ. ]

نعود للقول الحق:

لم تترك الآيات القرآنية - كما قلنا - مجالاً للشك أو الغموض أو التأويل حول مسلكية قوم لوط وما عوقبوا عليه:

" أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العالَمِينَ، وَتَدْرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْواحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ " (الشعراء ١٦٥، ١٦٦).

" وَلوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " (النمل ٥٤، ٥٥).

"وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لِنَائُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، أَنْتُمْ لِنَائُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ " (سورة العنكبوت ٢٨، ٢٩).

الحمد لله! هذه الآية - كما ذكرنا - تثبت أن الفراعنة لم يرتكبوا هذه الفاحشة، علي الأقل إلي زمن لوط وإبراهيم .. وبالمناسبة فإن " عفة المصريين " كانت شائعة ومعروفة، ففي الرواية الكاذبة عن نبي الله إبراهيم عندما جاء إلي مصر، وعرض زوجته - فيما زعمت التوراة المحرّفة [ تعليق: يري الكاتب الذي يؤمن بالقرآن أن التوراة والإنجيل محرفون، حسب قوله، فيا تري ماذا قال القرآن عنهما: نرى القرآن الكريم قد أمر المسلمين الجدد، المؤمنين برسالته في كل مكان، بالرجوع الى أهل الكتاب واستشارتهم في كل امر يصعب حلّه. لاهوتياً كان ام اجتماعياً. ربما كان ذلك لكي يؤلفوا شعباً واحداً لله، دستوره كتب الله، وهي التوراة وصحف إبراهيم، وزبور داود، وكتب الانبياء . وانجيل المسيح. لأن القرآن، المعروف اليوم بهذا الاسم، لم يكن قد اصبح كتابا بعد في ايام الرسول محمد. وعندما حاجه المشركون بالكتب وبما اوتي موسى قال لهم: "قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين" سورة القصص (٤٨) . لقد ذكر الرسول الكتاب هنا في صيغة المثني التي قصد بها ان الكتاب المقدس بعهديه هو كتاب الله، كما ان هذان الكتابان التوراة والانجيل، يحتويان على كتب الله جميعها المؤلفة من (٦٦) كتابا. ونقرأ ايضا في سورة الانعام (١٥٦) قوله: " ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين". وهو الذي قال كما سبق وذكرنا في سورة النساء (٢٦) "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم". اي ان ارادة الله هي ان الكل يهتدون الى سنّة الله التي جاءت قبل القرآن، وهي بدون شك سنّة المسيح عيسى ابن مريم. سنّة المحبة والغفران والكفارة. هنا ايضا يمكننا فهم الآية القائلة: "ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً" (سورة النساء ١٣٦). ويقول ايضا: "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله". [ - علي فرعون باعتبارها أخته .. فغازلها فرعون طبعاً، ولكن لما عرف أنها في عصمة رجل غضب وعاتب إبراهيم علي مسلكه الذي كاد أن يجلب علي " فرعون " العار .. وهو الزنا بحليلة ضيفه...

بالطبع القصة لا أساس لها من ناحية الوقائع !!؟؟، إذ لا يمكن أن يكون هذا سلوك نبي، ولكنها اعتمدت علي حقيقة معروفة وقتها وهي عفة فرعون أو المصريين ..

فالقرآن شديد الوضوح في تأكيد شذوذ هذه الجماعة، وأنها كانت تفضل إتيان الذكور علي الإناث، بل الصدوف عن إتيان النساء .. ويمكن القول أن النصّ يتحدث عن " الفاعلين " أو الطرف الموجب في علاقة اللواط فهؤلاء هم الذين " باتن " وهؤلاء هم الذين يفتن ض، فيهم القدرة

النساء .. ولعل ذلك ما جعل بعض الفقهاء يقول بأن المفعول فيه " يغتسل تأديباً " لأنه في رأيهم .. لا يلتذ ولا يمني، وبالتالي فلا جنابة حقيقية .

غير أنّ هذا التفسير هو مجرد خاطرة، لأنّ الثابت من النصّ أنّ المدينة كلها قد دُمّرت فاعلها ومفعولها رجالها ونساءها .. ومن هنا استنتج المفسّرون أنّ أهل المدينة من النساء كانوا سحاقيّات. رغم أنّ القرآن قد خلا تماماً من أية إشارة

---

إلى السحاق (١)، أو إلى نساء المدينة، إلا امرأة لوط التي قَدِّر لها، أن تكون من الغابرين. ولم يرد في القرآن سبب لذلك .. وقد عرفنا من خلق القرآن العفة في الحدث إلا عند الضرورة، البعد عن التفاصيل.

واللواط، هو إذن، من أبشع الخطايا في الإسلام، وعقاب الله كما قال الصحابة - عن حق - للقوم الذين يمارسون هذا المنكر كان عقاباً شاملاً منكلاً فقد دَمَّر المدينة وقلبها رأساً على عقب، وقذفهم بحجارة مسومة .. و " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ " (سورة هود ٨٢). وإن كنا لا نري ما رآه بعض المفسرين، من أنه كان عقاباً فذاً لم يُعاقب به أحد، فقد أغرق الله قوم نوح جميعاً حتى ابنه؟؟؟؟!!!، مع أنهم لم يرتكبوا هذا الفعل، ودمّر وأباد قوم عاد وثمود، لأنهم عقروا الناقة متحدين بنبيهم؟؟؟؟، كما قذف أصحاب الفيل بنفس الحجارة...

### النتائج الإجتماعية والحضارية للواط:

وإن كان لا يفوتنا مغزى الإشارة إليى " الفناء الحضاري " للمدينة التي تشيع فيها هذه الفاحشة، ولعله من " المصادفات العلمية " أن اللواط كما ثبت أخيراً

(١) ولا أعرف المصدر الذى استند إليه الشيخ " سيد سابق " في تفسير الآية بأنها تعني المساحقات إذ قال " والنساء اللاتى يأتين الفاحشة وهي السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة .. إلخ " فى تفسير واللاتى يأتين الفاحشة من نسانكم فاستشهدوا عليهن .. " الآية .. وقال أن " واللذان يأتياها منكم فأذوهما .. فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيمًا جاءت في اللوطيين. ربما من لفظة " الفاحشة " .. ولكن لغويًا فإن " اللذان " يمكن أن تكون لذكرين أو لذكر وأنثى.

وورد في موسوعة فقه علي بن أبي طالب عن كنز العمال: جاءت عليًا امرأتان قد قرأتا القرآن فقالت: هل تجد غشيان المرأة المرأة حرامًا في كتاب الل؟ فقال لهما: نعم، من اللواتي كن علي عهد تُبَع وهن صواحب الرس".

وعن مسند زيد بن علي. عن علي بن أبي طالب " أن حدمما حدّ الزنا إن كانا أحصنا رجماً وإن كان لم يحصنا جلدًا « ص ٥٤٧.

يسبب انتشار مرض خاص يسمى " الإيدز " يقضى علي المناعة الطبيعية للجسم، مما يحتم الموت أمام أي تحدّ خارجي أو داخلي، ونظريتنا أنّ هذه الظاهرة تصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهّل القضاء عليها .. .

وقد يقال إنّ عقر الناقة كان ذنباً قاضياً علي قوم صالح، ولكنه لا يشكل جريمة ولا خطيئة اليوم، بل إنّ عقر الناقة أو الجواد في الجهاد من دلائل الإيمان، وهو دفع باطل، لأنّ قوم صالح لم يهلكوا بسبب عقر الناقة ولا جاءتهم الناقة ابتداء من عند نبيهم .. بل هم الذين طلبوا آية. فجاءتهم في شكل ناقة، فعقروها تحدياً واستهزاءً وامتحاناً لمصادقية نبيهم، ووجود الله وقدرته عليهم. وهذا ما استوجب عقابهم. فهي ناقة مخصوصة في ظروف مخصوصة .. ولكن إتيان الذكور حالة دائمة وقد وصف الله هذا الفعل بأنّه من " الخبائث " و " الفاحشة "، ووصفهم بالفاسقين وقوم السوء والعادين والجاهلين " وكوّطاً آتيناها حكماً وعِلماً وَجَبَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ " (سورة الأنبياء: ٧٤). وهذه كلها أدلة لا تحتمل الشك في أنّه فعل مكروه مبغوض من الله مستنكر بشكل دائم، مثل الزنا، والشرك، وأكل مال اليتيم، والربا ومنع الماعون .. إلخ.

### لا حدّ علي اللواط

وقد أوضحنا رأينا في النتائج الإجتماعية والحضارية لهذه الظاهرة، فإذا انتقلنا للعقوبة، وهي موضوع اهتمامنا أساساً بالنسبة للدولة الإسلامية المنشودة .. نقول أنّه لم يرد في النصوص إشارة إلي عقوبة بشرية يوقعها السلطان بالفاعلين مثل ما ورد في الزنا والسرقه والقذف وقطع السبيل .. وليس في سنّة رسول الله ما يفيد تطبيق أي حد في مرتكب هذه الفعله، وهذا علي الأغلب لعدم وصول حالة من هذا النوع إلي السلطة الإسلامية في عصر الرسول ؟؟؟؟ [ نرجو الرجوع إلي الأحاديث المذكورة التي تنفي بالقطع هذه المقولة ص ١١٠ ] ... .

كذلك لم يثبت أنّه - ص - قرّر حكماً ولو من الناحية التشريعية، وكل الأحاديث المنسوبة إليه عن أحكام اللواط مطعون في صحتها .. فحديث : " أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً " .. قال عنه الترمذي : " غريب " .

وحديث " من وجدتموه يعتمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ". أنكروا سنده عن عكرمة عن ابن عباس. وقال الحافظ " رواه موثقون إلا أن فيه اختلافاً ".

وحديث: " سحاق النساء بينهن زنا " قالوا: " إن إسناده لين "

وحديث " أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله ... والذي يأتي الذكر يعني اللواط قال عنه البخاري: ولا يتابع علي حديثه أي راويه محمد ابن سلام الخزاعي، عن أبي هريرة ".

وحديث " إذا ركب الذكر علي الذكر اهتز عرش الرحمن " وصف بأن إسناده " واهن لين موضوع ".

وحديث ابن عباس " إن اللوطي إذا مات من غير توبة فاتته يمسح في قبره خنزيراً " وصف راويه بأنه " يروى المناكير " وأحد مصادره " اسماعيل بن أم درهم ": " لا يُحتج به " وصفه ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة.

أما حديث وفد عبد القيس لما قدموا علي النبي " وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي - ص - خلف ظهره ". فقالوا: " لا أصل له. وهو حديث منكر، فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع ".

إلا أن أقوي دليل علي أن رسول الله لم يشرع عقوبة في اللواط لا تطبيقاً، ولا بمجرد النص... أن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس والشام وغيرها حيث كانت الحضارات الآفلة، فوجئوا بهذا الفعل، واعتقلوا مرتكبيه، ولا ندري كيف ثبتت الجريمة، فلم تصلنا تفاصيل، ولكنها علي الأرجح ثبتت بالاعتراف .. عندها بعث الولاة يستفتون كبار الصحابة في المدينة .. ما هي العقوبة؟ وجلس هؤلاء للاجتهاد. ولو كانت هناك سنة ثابتة لنقذها الولاة في الأمصار، فإن غابت عنهم، لكتب إليهم الخليفة بها علي الفور .. ولكن .. لأن النص غاب .. فلا هو في القرآن، ولا في السنة .. فقد تبادل كبار الصحابة الرأي تحت تأثير عاملين: حجم



الإدانة التي وردت في القرآن للفعل .. وما توسّموه - عن حق - من نتائج خطيرة علي مجتمع مجاهد يخوض حرب حياة أو موت، ويضع أسس حضارة جديدة. وقد قلنا أن اللواط من علامات انهيار الحضارات .. ولذلك جاءت تشريعاتهم شديدة النكال، وهو ما كان متوقعًا، فاقترح أبو بكر أن يُقتل بالسيف ثم يُحرق، وقال عمر وعثمان: " يلقي عليه حائط "، وقال ابن عباس " يلقي من أعلي بناء في البلد ". ولم يستقر الاجتهاد علي ما وصل إليه في عهد أبي بكر، فقد استمر علماء المسلمين في الاجتهاد، فقال البغوي الشعبي والزهري ومالك وأحمد واسحاق: " يرمم " وقال النخعي " لو كان يستقيم لرمم مرتين ". ونقلوا عن أبي بكر وعلي وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك: يحرق. أما المتأخرون فقد استقر رأيهم علي حدّ الزنا، إذ اعتبروها مساوية للزنا .. فقد رأى سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والحسن وقتادة والنخعي والثوري والأوزاعي وأبو طالب والإمام يحيي والشافعي أن حدّها حدّ الزنا. أما أبو حنيفة والمؤيد بالله والمرتضي والشافعي فقالوا بالتعزير لأنّ الفعل ليس بزنا. وزاد أبو حنيفة " لا يجلد ولا يرمم ".

وفي تفسير الرازي: " اختلف الصحابة في حكم اللواط، وكانوا عالمين باللغة فلو سمي اللواط زنا لأغناهم نصّ الكتاب في حدّ الزنا عن الاختلاف والاجتهاد ".

ورأى ابن تيميه رضي الله عنه: " أكثر السلف يوجبون قتل فاعله مطلقًا، وإن لم يكن محصنًا. وقيل أنّ ذلك إجماع الصحابة وهو مذهب أهل المدينة، كمالك وغيره، ومذهب أحمد في أصح الروايتين عنه، والشافعي في أحد قوليه. وعلي هذا القول يقتل المفعول به مطلقًا، إذا كان بالغًا، والقول الثاني هو حدّه حدّ الزنا، وهو قول أبي يوسف ومحمد والشافعي وأحمد في أحد قوليهما، وإذا قيل الفاعل كالزاني فيقتل ويقتل المفعول به مطلقًا، وقيل لا يقتل، وقيل بالغرق كالفاعل وسقوط الحدّ من مفردات أبي حنيفة ".

وكذب ابن تيمية من قال أنّ مالك أباح اللواط بالعبيد .. " كذب لم يقله أحد من علماء السنة، وأظنه قصد التشنيع به علي مالك، فإني رأيت من الجهال من

يحكي هذا عن مالك وأصل ذلك ما يُحكي عنه في حشوش النساء فإِنَّه لَمَّا حكي عن طائفة من أهل المدينة إباحت ذلك وحكي عن مالك: فيه روايتان: ظن الجاهل أن إِدبار المماليك كذلك، وهذا من أعظم الغلط ممن هو دون مالك فكيف علي مالك مع جلالة قدر، وشرف مذهبه "؟؟؟!!".

" ومذهب مالك وعلماء المدينة أن اللانط يُقتل رجماً محصناً كان أو غير محصن سواء تلوط بمملوكه أو غير مملوكه فإنه يُقتل عندهم الفاعل والمفعول به".

وقال ابن حزم إنَّ أبا بكر ضرب رجلاً ضمَّ صبياً حتى أمني ضرباً كان سبباً في موته. وأعجب الإمام مالك - في رواية ابن حزم - بالأمير الذي ضرب غلاماً مَكَّن رجلاً من تقبيله حتى أمني الرجل، ضربه الأمير حتى مات (الصبى). وإن كان ابن حزم عتلق بالإشارة إلي وجود اختلاف حول هذه العقوبات، وأنه ممن يري " ألا جلد فوق عشرة، إلا في حد من حدود الله " وملخص اجتهادات الفقهاء يمكن إجمالها في الآتي:

■ أن اللواط خطيئة ومعصية منكرة عند الله سبحانه وتعالى من مفهوم الآيات، ومتضمناً في قوله " ولا يقربون الفواحش " **وإن لم يرد نص واضح بالتحريم أو تخصيص بالتجنب .. مثل الخمر أو الزنا أو لحم الجنزير .. إلخ .**

■ وهو مثل الزنا من الجنايات التي بين العبد وخالقه، **يطلب فيها عدم الفضيحة أو إشاعة الفاحشة، ويستحسن الستر علي فاعلها، عسي أن يتوب الله عليه، ولا تُستحب الشهادة فيها، وويُستنكر من فاعلها المجاهرة، ولا يُنصح بفضح نفسه بالإعتراف للسلطة أو الحديث عنها، وإذا تاب فإن الله غفور رحيم .. .**

■ كل اشتراطات ثبوت الزنا مطلوبة في إثبات اللواط أي أربعة شهود يرون .. إلخ .. ولو شهد ثلاثة وشك الرابع فلم يجزم بأنه رأى المروءة في المكحلة مع أنه رأى " أقداما بادية، وأنفاساً عالية، وأمرأ منكراً ... " عندها يُجلد الشهود الثلاثة ثمانين جلدة ويُطلق سراح المتهم.

■ عقوبتها لم يرد فيها نص قرآني، ولا سنة ثابتة، ولذا فهي متروكة لتقدير الحاكم. وإن صحّ تفسير " سيد سابق " فهي العزل عن النساء للمساحقة، و " إيذاء " اللوطي .. وليس القتل من الإيذاء، خاصة وأن بقية الآية تأمل للفاعلين في التوبة، أي الإستمرار علي قيد الحياة .. والتعزير لا يكون بالرجم ولا الجلد. فهي من ناحية العقوبة ليست كالزنا كما قال الفقهاء، وللحاكم أن يقدر ظروف المجتمع وظروف المتهمين ويحكم بالتغريب في مستشفى نفساني أو بالسجن أو بتزويج الفتيان إن كانوا من المراهقين .. أو ما تتفق عنه القريحة التشريعية.

ولا شك أن " اللواط " هو موضوع حديث العهد بالبحث والدراسة، رغم قدمه كظاهرة، ومن ثم لا نستطع أن نلم - الآن - بحكمة المشرع، عز وجل، في عدم فرض عقوبة، غير أنه يجب أن نشير هنا إلي عدة نقاط خطرت لنا، مجرد خواطر، نسأل الله عنها السلامة، فنخرج من السوق كما دخلنا، فلا نحن نطمع في أجر ولا أجرين وقد وضحنا أننا لسنا من " المجتهدين " فما لنا في أجورهم من حق !.

وهذه الخواطر هي :

أنه لا علاقة طردية بين بشاعة الخطيئة، وشدة استنكارها في القرآن والخلق الإسلامي، وبين العقوبة أو الحد المفروض فيها .. **فليس في القرآن - مثلاً - جريمة أبشع من الكفر ولكن لا عقوبة عليها في الدنيا أو لا حد للكفر.** لذا لا يجوز القول بأنه ما دام لم تشرع عقوبة للواط ، فهذا يعني أنها ليست جريمة، أو ليست في مستوي الكبائر! هذا خطأ بالطبع.

ويري الغزالي أن الإبهام في الكبائر التي لم يرد فيها حد أمر مقصود من الله سبحانه وتعالى لأن دار التكليف هي دار الدنيا. وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أليق به حتى يكون الناس علي وجل وحذر، ( الإحياء ج ٤).

ولم أفهم ماذا يقصد.

وكما لا يجوز للمشرع أن يتهاون في عقوبة ما لم يرد به حد.

كذلك لا يجوز للمشرع أن يتأثر في تقديره للعقوبة، بما ورد من وصف بشاعة الفعل، وعقاب الله سبحانه وتعالى لقوم لوط .. **فألله سبحانه أهلك قوم عاد وثمود لأنهم كفروا بنبيهم، ولكن لا يحق للمشرع اليوم أن يقضي بإعدام أو إهلاك من يكفر بهود أو صالح أو حتي محمد صلوات الله عليه.**

الثانية: أن حدّ الزنا مقترن بالإحصان، ونحن نرى أن " اللوطي " لا يمكن أن يكتمل فيه شرط الإحصان. إلا إذا فهمنا الإحصان علي أنه معرفة الفعل بتجربته .. .

وقد عرف صاحب الفقه علي المذاهب الأربعة الإحصان بأنه " الزواج من امرأة محصنة ( ! ) بعقد صحيح ووطنها في قبلها، فمن وطئ امرأة في دبرها فليس بمحصن .. ولا هي .. " ولم نفهم كيف أن المرأة التي سيتزوجها " محصنة " قبل أن يطأها! .. وإذا كان يقصد بالإحصان مجرد تجربة الجنس، فإن شرط الزواج بعقد صحيح غير ذي معني .. ولذا نعتقد أن الإحصان يرد بمعنيين، معني اجتماعي وهو المقصود في حدّ القذف ، وإلا لأبيح قذف البكر! .. ومعني قانوني نفساني هو شرط من شروط حدّ الزنا .. وهو معرفة طبيعة الفعل وأبعاده .. فالنبي عندما سأل ماعزاً: أتعرف ما الزنا .. قال: فعلت بها في الحرام ما أفعله بزوجتي في الحلال أي معرفة أبعاد الفعل.

وإذا أخذنا المعني الثالث المستخدم في الرواية المنسوبة للإمام الشافعي: وهو قوله - في زعمهم - " من لم يتزوج مصرية فليس بمحصن " وهذا بالطبع لا فقه ولا حتي جد .. وإنما لو قاله فعلي سبيل المزاح، وتحية لمصر التي استضافته، والمعنية في معرفة أن كسب رضاء المرأة يغني عن سائر الجهود مع السلطة والمجتمع...

ولكن المهم هنا، هو استخدام اللفظ، فالمعني المقصود أنه لم تشبع حاجته تماماً .. .

وبالتالى فلا نستطيع القول إحصان اللوطي لو تزوج، لأن شهوته لا تنطفىء بالزواج من امرأة، خاصة إذا كان سلبياً، وإن كان الزواج في بعض الحالات يساعد علي العصمة. كذلك فإن مفهوم الرابطة الزوجية لا ينعكس بشكل واضح علي علاقة اللواط. ومن ثم ذهبنا إلي أن اللوطي لا يمكن أن يكون محصناً، إلا من ناحية واحدة، وهي خيانة الزوج أو الزوجة إذ يفترض في الحياة الزوجية، الاتفاق أو التعاقد علي المشاركة الكاملة الجسدية والنفسية. ومن ثم فمن حق الحاكم أن يشدد أكثر في عقوبة اللوطي المتزوج....

علي أية حال، فإن هذه الأسئلة تتبع من حقيقة أن الإسلام أدان هذا الفعل أشنع إدانة، لم يفرض فيه حداً...

### لماذا كان وعده - سبحانه وتعالى - بالولدان المخلدون في الجنة؟

ثم نأتي لهذه الخاطرة، وهي تفسير وعده سبحانه وتعالى للمؤمنين بولدان وغلمان في الجنة: "مخلدون" وغاية في الجمال والنضارة.

وقد ورد ذلك في ثلاثة: الطور والواقعة والإنسان... قال سبحانه وتعالى:

"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {١٠} أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {١٢} ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَئِينَ {١٣} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {١٤} عَلَيَّ سُرُرٌ مَّوْضُونَةٌ {١٥} مُتَكَئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {١٦} يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ {١٩} وَقَاكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {٢٠} وَكَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢١} وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {٢٣} جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَأ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا {٢٥} وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ {٢٦} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ {٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ {٢٩} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {٣٠} وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ {٣١} وَقَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ {٣٢} لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ {٣٣} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ {٣٤} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً {٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا {٣٦} غُرْبًا أَتْرَابًا {٣٧} لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ {٣٨} ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَئِينَ {٣٩} وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {٤٠} " (الواقعة ١٠-٤٠).

ولا أظن أن أحداً يستطيع المجادلة في أن " الولدان " هنا هم غلمان.  
وأنهم يعرضون في مجال النعيم والتلذذ.. بجمالهم، كجزء حسن  
للمؤمنين، مثلهم مثل الأباريق والخمر والفاكهة والطير، وحوار العين،  
كلها للمتعة بما فيها من حسن. وإذا كان " الولدان " و " وحوار العين "  
هما الكائنان العاقلان؛ وحوار العين، ثابت في الأثر وبنص القرآن، أنهن  
للاستمتاع الجنسي. وكل الفرق في الآية بينهن وبين الولدان، وهو أن  
حوار العين لؤلؤ مكنون والولدان " لؤلؤ منشور " والمفسرون رضى الله  
عنهم قرروا أن اللؤلؤ المثور أكثر جمالاً من المكنون. وإن كان "  
المكنون " أكثر صيانة، وأكثر إثارة للخاطر، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد  
أثر هؤلاء الغلمان بالجمالين. المكنون والمنثور .. فقال عنهم في سورة  
الطور:

" وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ " (الطور: ٢٤).

قال ابن عباس " سرر منسوجة بالذهب، مرصعة بالدر، متكنين عليها. أي حال كونهم مضطجعين علي تلك الأسرة، شأن المنعمين المترفين " ( لاحظ إقران " الولدان " والتمتع بهم دائماً مع الترف الشديد ج ) متقابلين، أي وجوه بعضهم إلي بعض. ليس أحد وراء أحد، وهذا أدخل في السرور، وأكمل في آداب الجلوس. ويدور عليهم للخدمة أطفال ( نعترض هنا فالله سبحانه وتعالى يقول ولدان وغلمان والولد أو الغلام غير الطفل ج ) في نضارة الصبا لا يموتون ولا يهرمون قال ابن حيان: وصفوا بالخلد، وإن كان كل من في الجنة مخلداً ليدل على أنهم  
يبقون دائماً في سن الولدان ( الولدنه كما يقول الشوام واللبنانيون ج ) لا  
يتحولون ولا يكبرون. كما وصفهم جلّ وعلا (صفوة التفاسير. محمد علي  
الصابوني عن البحر المحيط) ..

وفي سورة الإنسان، وتأمل حكمة اسم الآية! ..  
" وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا {١٢} مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا  
يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا {١٣} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا  
تَدْلِيلاً {١٤}

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةِ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا {١٥} قَوَارِيرٍ مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا {١٦} وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا {١٧} عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا {١٨} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا {١٩} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا {٢٠} عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا {٢١} إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا {٢٢} " (الإنسان ١٢-٢٢)

قال المفسرون: مضطجعون على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور، وإنما خصهم بهذه الحالة لأنها أتم حالات النعيم. " أي غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين (مخلدون) أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء. قال القرطبي أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة، والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة (تفسير القرطبي) إذا نظرتهم منتشرين في الجنة لخدمة أهلها، خلقتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم كأنهم اللؤلؤ. وقال الرازي هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر لوقوع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع. (التفسير الكبير).

وجاء في تفسير الرازي :

يطوف عليهم ولدان مخلدون فيها وجهان؛ أحدهما أنه علي الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف؛ لأن صغار المؤمنين أخبر الله تعالى أنه يلحقهم بأبائهم، وقيل أنهم صغار الكفار وهو أقرب من الأول.

والثاني أنهم صغار بصرف النظر عن كونهم مولودين . . مخلدون لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغارا دائما لا يكبرون ولا يلتحون ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون.

وقوله ( لهم ) أي ملكهم إعلاما بقدرتهم علي التصرف فيهم بالأمر والنهي

والاستخدام وهذا هو المشهور وأضاف الشارح في الهامش اللام في اسم للملك أو التخصيص أي لا كسقاة الخير في الدنيا يسقون كل شارب؛ ويستجيبون لكل طالب.

... وقوله تعالى: " كأنهم لؤلؤ " أي في الصفاء و( مكنون ) ليفيد زيادة في صفاء ألوانهم أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم.

قال الشاعر:

**لا شئ أحسن منه حين تبصره .. كأنه من جنان الخلد قد سرقا!**

والسؤال الثاني السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال فكيف ذكر الله تعالى ذلك في معرض الترغيب؟ الجواب أهل الجنة مرد شباب فلا يبعد أن يحلو ذهب وفضة وإن كانوا رجالاً.

ثلة لم ترد في القرآن كله إلا ثلاث مرات كلها في صورة الواقعة وعند الحديث عن هذه الفئة المنعمة بالعلمان والأساور .. إلخ وهي تفيد أنهم قلة والحمد لله ...؟؟

وإذا كان ابن عباس رضى الله عنه، في صدر الإسلام، ومناخ الطهارة، قد فسروهم بأنهم أطفال فإن المفسرين في العصور المتقدمة، ومع تطور المعرفة بالنفس البشرية، وظهور هذا الميل، ركزوا على اللفظ القرآني وهو : ولدان، أو غلمان كما قال القرطبي.

فإننا نضيف اليوم أن هذه السورة نزلت في هؤلاء الذين ابتلاهم الله فصبروا وعقوا، الذين قالوا علي لسان الله سبحانه وتعالى في مطلع الآية " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً {٩٦} إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا {١٠٠} فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا {١١١} وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا {١٢٣} مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا {١٣٣} " ( الإسمان ٩-١٣ ) إلى آخر الآية التي أوردناها...



أما في سورة " الطور " فقال جل وعز من قائل:  
" تَكْنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ {٢٠} وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَاتَّبَعْتَهُمْ دَرَيْتَهُمْ بِيَمَانٍ الْحَقَّ إِنَّا بِهِمْ دَرَيْتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ  
شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ {٢١} وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِقَاكِهِةٍ وَكَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ  
{٢٢} يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ {٢٣} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ  
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ {٢٤} وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ  
{٢٥} قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ {٢٦} فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ  
السَّمُومِ {٢٧} إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ {٢٨} فَذَكَرْنَا فَمَا أَنْتَ  
بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩} " ( الطور ٢٠-٢٩ ).

من سرد الآيات، نلاحظ أن أهل هذا النعيم لهم صفات خاصة، هي الترف الشديد، ولبس الحرير والأساور .. وهي صفات هذه الفئة، ونلاحظ أن كلمة " تأتيم " وردت مرتين في القرآن فقط. والمرتان وردتا في الحديث عن هؤلاء المستمتعين بالولدان أو الغلمان .. ولا مجال للحديث في الجنة عن الإثم أو التعرض للتأتيم من الجماعة، إلا في هذه المتعة، التي مهما قيل عن الجنة، يظل في نفس البعض شعور بالخرج منها، ورغبة في تأتيم فاعلها، ولذلك طمأنهم العزيز الحكيم أنهم لن يسمعوا فيها لغواً ولا تأتيمًا.

بل من حقنا أن نفسر قوله تعالى ... غلمان لهم ... بأنهم غلمانهم في الدنيا، الذين عقوا، وتأموا، وصانوهم هم عن الفاحشة فاجتمعوا في الجنة، في خلود دائم للحظة الرغبة التي كُبت بالتدين!!!!

وإذا كان المفسرون قد اتفقوا على دوام صفة الولدنة أو خلودهم في سنّ الغلمان، فقد استنتجنا أنّ الحكمة في النصّ على الخلود، هي تأكيد مصدر المتعة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم، ودوامها. بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سن الرجولة .. ففي الجنة " لن تنبت لحية شقران " أبداً حتى ينجز وعده لمن أشفق في أهله، وخاف من ربه يوماً عبوساً قمطيراً. فوقاه ربه شرّ هذا اليوم، وجزاه " بما صبر " جنة وحريراً والولدان المخلدين، مع ثياب سندس واستبرق وأساور من فضة .. أي هيين أو بانك .. إلخ ما يشاء مما انتهى في الدنيا، وحرم نفسه مخافة ربه.

وربما يسهّل الأمر علينا لو فهنا هذه الحقائق:

١- من الخطأ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس وأحكام هذه الحياة التي نعيشها فهذه دار العمل الصالح والطالح، دار المحاسبة، دار الفناء، دار التعامل مع النفس والناس بما يفيد ويضر .. أمّا هناك فدار الجزاء فقط، ما من عمل هناك يفيد أو يضرّ، ولا من عمل يُحاسب عليه الإنسان، دار " الخلود " المطلق، وهي كلمة مهما حاول الفاني أن يصورها أو يقربها إلي مفهومه، فلا يمكن أن يُحيط بأبعاد الخلود، إنّه تعبير لا يمكن فهم بعضه إلا بنسبته إلي ضده! ...

ولا شكّ أنّ ممارسة الخلود ستخلق قيمها ومقاييسها، كذلك لا يوجد في الجنة أو النار شرّ ولا خير .. لأنّ الشرّ والخير هو بما يعود عليك أي بنتيجة العمل، وهذه غير متاحة في عالم الخلود، فلا شيء يضرّك ولا تستطيع الإضرار بأحد فكيف يكون الفعل شريراً؟!!!! . وبالتالي فلا خير وإتّما هناك لذيق وألذ....

٢- كل المحرّمات في هذه الأرض تسقط في الآخرة، فقد وعدنا بالخمير وإن كانت أفضل من خمير هذه الأرض فهي لا تسبب صداغاً ولا عطشاً .. وحوار العين بلا عدد، ولا أظن أنّ هناك سبباً مثل اختلاط الأنساب أو الأمراض أو الفاحشة ... إلخ يُبرّر تحريم التمتع بهنّ علي نحو يختلف عما في دار الفناء هذه كذلك نظنّ أنّ هذا التمتع ليس بقاصر علي المؤمنين من الرجال وحدهم! كذلك فإنّ وعد

الرحمن " فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ " (سورة الأنبياء ١٠٢) " نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ " (سورة فصلت ٣١) " يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (سورة الزخرف ٧١)

هذا الإطلاق الإلهي لا يجوز أن يُحدَ بمزاج أو أخلاقيات فرد في هذه الدنيا، ولا حتى جماعة.. وإليك بعض ما نظَّنه من الغرائب ولكنه منطقيّ للغاية مع فكرة الجنّة أو الخلود بلا حساب ولا عقاب، ولا أسباب ولا قوانين مما تحكم حياتنا الفانية:

قال رسول الله: **إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُولَدُ لَهُ الْوَلَدُ كَمَا يَشْتَهِي يَكُونُ حَمَلُهُ وَفَصَالُهُ وَشِبَابُهُ فِي سَاعَةٍ** واحدة أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب ( إحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٥٤٢ الغزالي ).

وقال سعيد بن المسيب " ليس أحد من أهل الجنّة إلا في يده ثلاثة أسورة .. سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة " ( ص ٥٤٣ الإحياء ).

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين: " إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَرَّ شَيْئًا مِنْ عَجَائِبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِمَخَالَفَتِهِ قِيَاسَ مَا فِي الدُّنْيَا " .

وقال في وصف الجنة:

**فَنَفَكِرُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَفِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةٌ النِّعِيمِ يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ؛ جَالِسِينَ عَلَى مَنَابِرِ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ فِي خِيَامٍ مِنَ اللَّوْلُؤِ الرَّطْبِ الْأَبْيَضِ: فِيهَا بَسَطَ مِنَ الْعَبْقَرِيِّ الْأَخْضَرِ؛ مَتَكْنِينَ عَلَى الْأَرَانِكِ مَنْصُوبَةً عَلَى أَطْرَافِ أَنْهَرٍ مَطْرُودَةٍ بِالْخَمْرِ وَالْعَسَلِ؛ مُحْفُوفَةً بِالْعُلَمَانِ وَالْوَالِدَانِ مَزِينَةً بِالْحُورِ الْعَيْنِ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْحَسَانِ كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٍ يَمْشِينَ فِي دَرَجَاتِ الْجَنَانِ؛ إِذَا اخْتَالَتْ إِجْدَاهُنَّ فِي مَشِيئَتِهَا حَمَلٌ أَعْطَافُهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْوَالِدَانِ، شِكَلَاتِ غُنْجَاتِ عَطْرَاتِ أَمْنَاتِ مِنَ الْهَرَمِ وَالْبُؤْسِ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ، خُدَامٌ وَوَالِدَانٌ كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ؛ يَشْرَبُونَ مِنْ أَنْهَارِهَا لَبَنًا وَخَمْرًا وَعَسَلًا فِي أَنْهَارِ أَرْضِيهَا مِنْ فَضَّةٍ مَرَصَعَةً بِالْذَرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ فِي كَفِّ خَادِمٍ يَحْكِي ضِيَاءَ وَجْهِهِ الشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ حَلَاوَةٌ مِثْلًا حَلَاوَةُ صُورَتِهِ وَحَسَنُ أَصْدَاغِهِ وَمَلَاخَةُ أَحْدَاقِهِ .**

والغزالي هو القائل في الإحياء إنَّ الشَّرَّ في الصبيان أكثر فلو مال إلي امرأة أمكنه الوصول إلي استباحتها بالنكاح. ( الزواج ) والنظر إلي وجه الصبي حرام بل كل ما يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر إليه فإن قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة؛ ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة! فأقول لست أعني التفرقة بين شجرة خضراء وأخري يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها: فإنه يميل إلي إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلاً خالياً عن الشهوة، ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشبية الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح، ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلي القرب واللامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة.

فهل يا تري يري الغزالي أنَّ استمتاع أهل الجنّة بحسن هذا الغلام الذي أبدع في وصف جمال أصداغة وأحداقه هو من نوع استمتاعهم بالشجر والماء والثوب المنقوش... الخ؟...

وكان الغزالي قد أورد في بداية هذا الحديث خبراً عن منصور بن اسماعيل قال رأيت عبد الله البزار في النوم فقلت ما فعل الله بك؟ قال أوقفني ين يديه فغفر كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فإني استحييت أن أقر به فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب؟ قال نظرت إلي غلام جميل فاستحسنته...

وما دامه النظر لهذا الجمال في وجوه الغلمان لا بد أن يُثير الشهوة لمن ابتلى بذلك وهو ذنب يستحق أن يذنب لحم وجه المؤمن العابد كما قال فلماذا يُنعم علي المرضي عنهم بغلمان يفوق جمالهم كل جمال استهواه في الدنيا؟!.

لماذا النصّ علي أنهم غلمان وولدان .. وإذا كانت الغاية هي الخدمة الحسنة والمنظر الجميل .. فلماذا لم يكونوا ملائكة؟ وهل أجمل أو أبهي من الملائكة؟ وهل أقدر علي الإبداع في الخدمة من ملاك؟ وهل من تكريم أكبر من أن تخدم ملائكة ذلك الذي خلق من ماء مهين وصلصال وطين؟ ليس للغلمان من صفة يميّزون بها علي الملائكة في الخدمة والجمال والتكريم إلا أنّ الملائكة كائنات غير جنسيّة مثلهم مثل الورد والأشجار والبسط المبتوثة .. **من هنا نذهب للقول بأنّ لهؤلاء الغلمان مهمة خاصة استلزمت إنسانيتهم...**

وعن أبي هريرة قال رسول الله: " **من سرّه أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سرّه أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا** ". أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وللنسائي بإسناد صحيح: " **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة؛ ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة** ".

فالحرير والخمر محرّمان في الدنيا مباحان بل ونعمة ينعم الله بها في الآخرة علي من يلتزم حكمه ونهيه في الدنيا ولا تسأل لماذا تكون محرّمة في الدنيا مباحة في الآخرة، فكما قال الغزالي في إحياء علوم الدين: إياك أن تذكر شيئاً من عجائب القيامة لمخالفته قياس الدنيا.

وقد طلب الإعرابي من رسول الله أن يضمن له الإبل في الجنة لأنّه يحبّها فقال: **يا عبد الله إنّ دخلت الجنة فلك فيها ما اشتتهت نفسك ولذت عينك**. أخرجه الترمذي من حديث بريدة. فلماذا نضع فيتو علي اشتهاه معين ونقول أنّه محظور في الجنة والله يقول: " **لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ** " (سورة فصلت ٣١).

---

بل لقد وجدت حديثاً عجيباً نقله الغزالي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أخرجه الترمذي قال رسول الله - ص :- " **إنَّ في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهي الرجل صورة دخل فيها** "

وهو حديث عجيب معناه أن الرجل أو المرأة كلاهما يستطيع أن يغيّر صورته أو صورتها، إلى نفس النوع ولكن أجمل وأبهي، وأيضاً أن الرجل الذي يشتهي أن يكون امرأة أو يحسّ بأحاسيس المرأة، يستطيع إن كان من أهل الجنة تحقيق رغبته بزيارة هذه السوق، والعكس صحيح للمرأة .. فهنيئاً للصابرين والصابرات المتعففين في هذه الدنيا والمتعففات .

ولا أستطيع أن أبتعد عن سوق الرحمة هذه من غير أن أعرج علي رواية أوردها الغزالي نفسه وكأن في خاطره هو أيضاً حديث السوق هذه .. قال الإمام الغزالي: " روي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي؛ قال رأيت ثلاثة رجال وامرأة يحملون جنازة فقلت للمرأة من كان هذا؟ قالت ابني .. قلت ولم يكن لكم جيران؟ قالت بلي ولكن صغروا أمره! قلت لماذا؟ قالت لأنه كان مخنئاً .. قال فرحمتها وذهبت بها إلي منزلي وأعطيتها دراهم. قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض؟ فجعل يتشكرني فقلت من أنت؟ فقال المخنث الذي دفتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي ( الغزالي ج ٤ من الإحياء ).

**لعلّ الغزالي قد ترك مخنثه هذا يرتع في سوق الصور يدخل فيما شاء من صور الرجال والنساء ولا يسمع لغواً ولا تأثيماً لما يتقلب فيه بما غفر الله له ورحم.!!!!!!!!!!!!!!**

وأية محاولة لانكار تفسيرنا لطبيعة هؤلاء الغلمان سنتتهي بصاحبها إلي إنكار الطابع الحسي لجننتنا واقتباس التصور المسيحي عن جنة روحية لا أجساد فيها ولا اشتهاؤ ولا متع حسية. وهذا ما سقط فيه المنهزمون أمام الحملة التبشيرية التي ركزت علي نقد وصف جننتنا باتهام رخيص هو أنها جنة شهوانية حسية نأكل فيها

نمارس الجنس كأن هذا عيب أو لا يليق!! ومع اتفاقنا بأن قدرة الله لا  
يحدّها مستحيل ولا يحدّها تصوّر المخلوق الفاني إلا أننا أمام نصوص  
صريحة تؤكد أنّ الجزاء سيكون بصورة ما من نفس العمل فسنعوض  
في الآخرة عما حرّمنا منه أو ما تعفّفنا عنه أو ما أحسنّا شكر نعمته  
ولامجال لأيّ جمل أو استخزاء من ناحية المطالب الحسيّة للجسد كما  
يفعل صرعى الحضارة الغربيّة فليس في الجسد عيب ولا قباحة ولا في  
تلبية احتياجاته وشهواته المشروعة في هذه الدنيا ولا في التطلع لنعمة  
الجسد بلا حدّ في الآخرة.

وأقدم هنا مثلاً لمن أفزعه تفسير الغلمان فاضطر إلي إلغاء كل المتع  
الحسيّة في الجنّة وتبني التصوّر المسيحيّ عن متع الروح وهو " مولانا  
محمد علي " ( اسمه هكذا مولانا .. ج ) مؤلف كتاب " الدين الإسلاميّ  
في الأصول والعقائد " اقتبسه من الأصل الإنجليزي إلي العربية محمد  
سعيد أحمد بك - مطبعة لجنة التآليف والترجمة والنشر ١٩٥١ قال:

" كل هذه أسماء أشياء في الدنيا وليس منها في الجنّة إلاّ الأسماء  
وإنما وردت لتصور لنا النعيم الذي يلقاه الإنسان في الآخرة أمّا حقيقتها  
فهي مما لا يعلمه إنسان لقصور حواسه عن إدراكها. وإنّما جاءت  
أوصاف الجنّة علي سبيل المثال؛ وكل شيء في الآخرة يختلف عنه في  
الدنيا حتي الزمان والمكان فإنهما يختلفان عن زماننا ومكاننا. فقد جاء  
أنّ الجنّة عرضها كعرض السموات والأرض ويقربنا هذا من قول من  
قال إنّ الجنّة والنار حالتان وليستا بمكانين ..

" ومثل ذلك ما جاء عن اقتران الرجال بالنساء في الجنّة؛ وقد فهم  
بعض الناس خطأ أنّ لهذا الاقتران معني جنسيّ (؟! ج ) وقد جاء في  
الراغب أنّ قوله تعالى:

" زوجناهم بحور " أي قرناهم بهن ولم يقل زوجناهم حوراً كما يقال  
زوجته امرأة تنبيهاً إلي أنّ ذلك لا يكون علي حسب المتعارف بيننا من  
أمر الزواج. وأنّ في الصلة الجنسيّة بين الرجل والمرأة في هذه الحياة  
الدنيا استجابة لداعي الطبيعة واستعمار الأرض وحفظ النوع .. وليس  
هذا هو المقصود في الآخرة حيث لا

ضرورة لذلك هناك!! ( ألقى اللذة الجنسية وهي التي قال ابن القيم أنها وحدها التي ستبقي في الآخرة ولكن ابن القيم لم يكن يدافع منهزماً أمام المبشرين ج ). وعلى ذلك فاقتران الرجال بالنساء في الجنة له معني آخر يختلف عن المعني المتعارف بيننا .. ولنعرض للحوار العين لنبيين إذا كان المراد بهن أزواج أهل الجنة أم غيرهن فقد جاء في القرآن بعد الإشارة إلي الحوار العين آيات متصلة بها وهي قوله تعالى: " **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ** " (سورة الواقعة ٣٨). وقد جاء عن النبي أنه قال: " **إِنَّ الْمُنْشَأَاتِ اللَّاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجَائِزَ عَمَّشًا رَمَصًا .. وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ النِّسَاءَ الْعَجَائِزَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَنْشَأْنَ نَشْأً آخِرَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَصْرُنَ أَبْكَارًا .. وَلَوْ فَسَّرْنَا الْحَوْرَ عَلَى أَنَّهُنَّ نِسَاءٌ غَيْرُ نِسَاءِ الدُّنْيَا أَنشَأْنَ لِنَعِيمِ الرَّجُلِ وَلذَتِهِ لَكَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُنْشِيَءَ رَجَالًا لِاسْتِمْتَاعِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَيْثُ أَنَّهُنَّ لَا يَخْتَلِفُ فِي طَبَائِعِهِنَّ عَنِ الرِّجَالِ فَكَانَ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَحْظِيَ بِمَا تَحْظِي بِهِ الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ. (ومن أخبرك أن الله لا يفعل أم تظن أن غيرتك وعنجهيتك كرجل هي وحدها التي ستبقي على حالها من أحاسيس الدنيا؟ بل لعل ذلك هي الحكمة الإلهية في خلق هذه الكائنات غير الآدمية لكي لا تغير منهن نساء الدنيا ولا يغير منهن رجال الدنيا وإلا فقد كان في قدرته سبحانه وتعالى أن يخلق ما شاء من النساء فلماذا الحوار ونحن لا نعرف بعد لذة الاستمتاع بها جنسياً؟ أما أن القرآن لم يصرح بحوار عين مذكرين فذلك مراعاة لعقول الناس ونفسياتهم وها أنت بعد ١٥ قرناً ما زلت تستعيز أن تتمتع زوجتك في الجنة ولو مع كائن غير بشري... فلماذا عن عرب الجاهلية؟ ).**

يقول:

" والحقيقة أن نعيم الجنة لا يدرك كنهه أحد وأن ما جاء في القرآن عن هذا النعيم ليس فيه أي معني شهواني وأن ما ورد عن الحوار إنما هو يرمز إلي الطهر تشبيهاً بالبياض ونعيم الروح ".  

---



**مولانا تنصرها هو يتحدث عن زواج كزواج الراهب بالسيدة مريم أو  
زواج الراهبة بالسيد المسيح .. !!**

ويتابع إلي بيت القصيد فيقول:  
" وما قيل عن الحور يقال عن الغلمان: وقيل في تفسير الآية الأولى  
" غلمان لهم " أن الغلمان هم أولاد المؤمنين في الجنة وعبر عنهم  
بقوله تعالى: " غلمان لهم - أي أولادهم " مولانا الهندي يعتقد أنه أقدر  
علي التعبير من القرآن .. وإلا لسأل نفسه ولماذا لم يقل القرآن أولادهم  
أو غلمانهم كما قال هو (؟؟ ج ) ويدل علي ذلك ما جاء في آية سابقة لها  
من أن الله تعالى يلحق بالذين آمنوا ذريتهم في الجنة قال تعالى: "  
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم " وقد أوردنا رد  
المفسرين علي هذا القول ج ).

" وقد يجوز أن المقصود بالغلمان والولدان أنهم من نعيم الجنة علي  
أنهم رمز للظهر ونعيم الروح كما ذكرنا عن الحور " .

علي آية حال مولانا اضطر للتسليم بوجهة نظرنا فساوي بين الغلمان  
وحور العين فهو أولاً تخلي عن تفسير أولادهم وثانياً جعلهم للاستمتاع  
والنعيم مثل حور العين. ومن الناحية النظرية نحن لا نعارض، فكما قلنا  
كل تفسيرات الجنة محدودة بقدرتنا علي التصور أو إن شئت بقدرتنا  
علي الإشتهاء ..

**وكما أن المؤمن السوي يستمتع بأنثى اسمها حور عين فكذلك من  
ابتلى بهوى الغلمان في الدنيا وعفّ وما تخطى حدود الله يمتعه الله  
بكائنات مذكرة اسمها الولدان المخلدون أما أن يستمتعا روحياً أو جسدياً  
فهذه مزاجات شخصية لا نتدخل فيها .**

إنّ اللواط كما شرحنا، وبالذات عشق الغلام الأمد، في رأي بعض  
الدراسات، هو مرحلة في حياة الكثيرين، رغم إرادتهم، وقد " تثبت " في  
ذوق البعض إلي ما بعد مرحلة المراهقة. ويعتقد الأطباء أن نسبة من  
الذكور تولد ولديها ميل قوي نحو الجنس المماثل .. ولكن الإنسان لا  
يفترض فيه - من وجهة نظر

الأديان - أن يخضع لشهوته أو حتي لغريزته وإلا فإن كل إنسان تشاجر أو اختصم تمنى بحكم الغريزة لو أطبق علي عنق غريمه وقضمه، كما يفعل النمر في البقرة .. وما من رجل لم تحدثه نفسه - ولو مرة - بمضاجعة امرأة جميلة أثارت خياله، وكثيرون يتمنون لو أنهم استطاعوا نقل البنك الأهلي إلي ملكيتهم لولا خوفهم من القانون، فما هو غريزي لا يعني أنه مشروع أو محتوم. وما ميزة الإنسان علي الحيوان والملائكة إلا قدرته في ضبط غرائزه ..

فألذي كبح شهوته، وصان عفته، وحفظ فرجه، ألا يستحق الجزاء؟! وما الجزاء إلا أن ينال في الجنة ما اشتهى وأفضل؟! ..

فكما أن " حور العين " جزاء من إشتهى الزنا ولم يقربه من خشية الله، فكذلك " الولدان " جزاء من إشتهى وعفّ .. والله أعلم!! .

أما عن الجانب الحضاري، فقد وضحنا أنها ظاهرة لا يمكن أن توجد ولا يمكن أن يُسمح بها في مرحلة التحدي الحضاري، في مرحلة تحرر الأمم وبناء حضارتها. فالخصائص والمقاييس المطلوبة في فتيان الفراش، غير خصائص المجاهدين وفتية التحرير والاستشهاد .. ولا أهمية للأمثلة الشاذة، فنحن نتحدث عن مقاييس وعلاقات ومفاهيم .. واللواط كفاحشة أو كمسالك حضاري لا يمكن أن يستقيم مع احتياجات ومواصفات حركة تحرير أو بعث ..

فالعفة مطلوبة، وجزاؤها التحرر والقوة في الدنيا .. والجنة ونعيمها بحورها وولدائها أو ما شئت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .. في الآخرة ..

إن شاء الله ..

## نصّ مذكرة اللجنة المشكلة من مجمع البحوث

### الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم  
عن الوقائع:

١- بتاريخ ١٥/٨/١٩٨٤ ورد إلي الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة كتاب الأستاذ المستشار رئيس محكمة جنوب القاهرة الابتدائية المؤرّخ ١٩٨٤/٧/٢٤ مرفقاً به ملف الدعوي رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤ احصر أمن الدولة العليا - وقد تبين من الإطلاع عليها - أنها مرفوعة من نيابة أمن الدولة العليا ضد السيد / محمد جلال كشك - بطلب إصدار قرار من المحكمة بتأييد أمر المصادرة الصادر من نيابة أمن الدولة العليا للكتاب موضوع الطلب وعنوانه ( خواطر مسلم في المسألة الجنسية ) - تأليف السيد / محمد جلال كشك - والتي صدر فيها قرار تمهيدي من المحكمة بتاريخ ١٩٨٤/٧/٢٢ اجاء فيه بعد الديباجة:

" حيث أنّ المحكمة ترى قبل إصدار قرارها في شأن تأييد أمر المصادرة أو الإفراج عن الكتاب موضوع الطلب - ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الإسلامية لإبداء الرأي في الكتاب موضوع المصادرة علي ضوء الملاحظات التي أبداها مدير عام الإدارة العامة للبحث والتأليف والترجمة والاعتراضات التي أبداها المتهم في مذكرته رداً علي تلك

---

الملاحظات ولذلك - قررت المحكمة ندب لجنة من ثلاثة من علماء مجمع البحوث الإسلامية يندبهم السيد رئيس المجمع لإبداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة - وحددت جلسة لنظر الطلب وحتى يرد تقرير اللجنة "

٢- وبتاريخ غرة ذي الحجة ١٤٠٤هـ / ٢٧ من أغسطس ١٩٨٤ م أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية القرار رقم ( ٥٠٠ ) لسنة ١٩٨٤ - بتشكيل لجنة من السادة :

(١) فضيلة الأستاذ الدكتور / حسين عبد المجيد هاشم - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

(٢) السيد الأستاذ المستشار / السيد عبد العزيز هندي - عضو مجمع البحوث الإسلامية.

(٣) فضيلة الأستاذ الشيخ / عطية محمد صقر - عضو مجمع البحوث الإسلامية.

وباشرت اللجنة العمل المنوط بها بعد أن أخطرت الطرفين بخطابات مسجلة علي النحو الثابت بمحضر أعمالها - كما أدت اليمين القانونية وفقاً للثابت بمحضر جلسة حلف اليمين المؤرخ ١٤/١٠/١٩٨٤ - تطبيقاً للمادة ١٣٩ من قانون الإثبات.

- عن الموضوع :

أولاً: تعريف بالكتاب موضوع الفحص:

١- يقع الكتاب في ١٥٩ صفحة من القطع المتوسط - وعنوانه: " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " - بقلم محمد جلال كشك - وجاء في الإهداء:

" قالوا يأتي أحدنا شهوته فيُثاب عليها؟ قال نعم .. " الحديث - صلوات الله عليه وسلامه.

وأورد المؤلف في خطبة الكتاب أن هذا بحث سيقول القارئ المحب - ما كان أغناه عنه - وسيقول المتربص: هذا هو الباحث عن حفته بظلفه - وأن من أراد أن يحاسبه، فليحتكم للقرآن والسنة والسلوك الإسلامي - وأنه قد إلتزم غاية الجهد في استنباط الأدلة من هذه المصادر الشرعية - وأته ما قصد إلا مرضاة الله، وخدمة المسلمين.

( أضاف المؤلف أنه إذا كان من الخطأ النظر للإنسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب، فإنه لخطأ أكبر أن يُنظر للجنس كظاهرة جنسية عارضة أو عيب أو دنس ولا يجوز الاهتمام به - وأن هذا ليس من ديننا ولا من حضارتنا - ومع أن المسألة الجنسية تشغل بال الشباب - فهي من المحرمات - يحوم حولها الكتاب ولا يقتربون منها - وخاصة الإسلاميين - تاركين لأعداء الإسلام وأعداء حضارتنا الفرصة لينشروا مفاهيمهم - ويزوعوا سمومهم في عقول وقلوب الشباب المسلم الذي لم يعد يعيش لا في سلوك إسلامي، ولا في فكر إسلامي.

وأضاف المؤلف - أنه إذا كانت الآراء التي طرحها في موضوع العادة السرية، والجنس بغير الجماع والزنا تعدّ جريمة - إلا أن ما طرحه في باب الشذوذ الجنسي يُعتبر جديداً بالإضافة إلي جزء صغير في موضوع الزنا - وهو القول بأن الرجم ثبت سنة وليس في القرآن - وأن البحث يتركز في موضوع الشذوذ الجنسي الذي، يقرر المؤلف أنه طرحه في إطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب وأن هذه المواجهة هي شغله الشاغل، لأنه ينظر للإسلام كفلسفة وهوية وشخصية الحضارة الشرقية - والكلمة الأخيرة في مواجهة هذه الحضارة مع أوروبا أو الغرب - فمنذ الصراع الفارسي - الإغريقي - بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر الأبيض من ناحية - وغرب وشمال هذا البحر - ثم بدأت الدائرة تتسع، وتمد كل جبهة خطوطها من وراءها ومن حولها .. إلي أن جاء الإسلام وانتصر الشرق

علي الغرب سبعة قرون أو ثمانية - ليعود الغرب فيكرّ علي الشرق  
كرة ما زلنا نعيش في آثارها.

وأورد المؤلف أنّه عالج موضوع الشذوذ الجنسيّ في إطار هذه  
المواجهة لأنّه توصل إلى رأي يخالفه فيه كثير من الباحثين - وهو أنّ  
هذه الظاهرة - عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي  
مستوي المجتمع - إنّما يحدث ذلك في مرحلة الأقول الحضاري - بعكس  
مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري حيث تصبح أبشع جريمة - وأنّه لا  
يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر وهذه الفاحشة شائعة فيه، كما لا يمكن  
أن تنجو منها حضارة عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها.

كما أورد المؤلف أنّه يرى أنّ غلمان الجنة أو ولدانها هم لمن عفا  
وتطهر في الدنيا - وأنّه علي استعداد للمناقشة والمراجعة لمن جاء بأدلة  
مناقضة - تستند للقرآن والسنة، وأضاف أنّه لا يزعم أنّه مجتهد في  
الإسلام، ولا أنّ ما أورده هي مفاهيم إسلامية، وإنّما هي خواطر مسلم أو  
تفكير مسلم بصوت عال - دعوة للتفكير - مذكرات تحضيرية يستعين بها  
" المجتهد " إن شاء الله في تشريع الأحكام - وأنّه يمكن اعتبارها مجرد  
أسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين والأئمة والمنشغلين بالعمل  
الإسلامي - وأنه المؤلف - قد بلغ من العمر عتياً - واشتعل الرأس  
شيباً - ويخاف من انحرافات الموالى - ولم يبق ما يخشاه ولا من يرجوه  
سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

## ٢- وقد قسم المؤلف كتابه إلى ستة أقسام :

تكلم في أولها عن اللذة للذة - وتكلم عن النظرة الإسلامية للجنس  
والنظرة المسيحية - وعن دين الفطرة وتدين أهل الحرفة - وهل الجنس  
هو ثمرة الخطيئة - وأنّ إظهار اللذة مسموح به دينياً - وأنّه لا قيد في  
المتعة الحلال.

ثم تناول في القسم الثاني الموقف من المرأة - مقررًا أننا علمنا  
أوروبا

احترام المرأة - وأنَّ السيدة مريم هدية المسلمين للعالم المسيحي.

ثم تكلم في القسم الثالث عن الزنا - مقررًا أن فيلسوف الكنيسة يقرّ البغاء - كما تكلم عن تدخل الكنيسة في فراش الزوجية - ثم تكلم عن الزواج في الإسلام - وعن ماوراء الأمراض السريّة - وعن الرجم في الإسلام ولماذا نسخه الله.

وتكلم بعد ذلك عن الجنس من اظاهر - وأنواع الجنس الأخرى: جلد عميرة - التفخيز - المصّ - الوطء في الدبر - الجماع في فترة الحيض.

ثم تكلم عن اللواط والإشتهاء الجنسي لنفس النوع - وهل هو ظاهرة طبيعية أم سلوك دخيل علي النفس البشرية - وعن العلاقة بين تلك الظاهرة وأقول الحضارات - وعن المجتمع المصري الفرعوني وظاهرة اللواط - وأن اللواط من علامات النبيل وامتيازات التفوق عند الإغريق والرومان - وعن الحبّ الأفلاطوني - وعن اللواط عند الرومان.

ثم تكلم عن نهضة أوروبا واللوواط - وعن الاستجابة الناجحة للتحديّ الإسلامي - وعن تفشي اللواط في الأندلس المسلم - وعن المواجهة الحضارية في اللواط - وعن اللواط في الأدب العربي - وعن أوروبا واللوواط.

وتكلم المؤلف في القسم السادس والأخير - عن الولدان المخلدين - وعن القرآن وقصة لوط - وعن النتائج الإجتماعية والحضارية للواط - وأنّه لا حدّ علي اللواط - ولماذا كان وعده - سبحانه وتعالى - بالولدان المخلدين في الجنة - وأنّ اللواط من أبشع الخطايا في الإسلام - وأنّه قد ثبت علمياً - أخيراً - أنّه يسبب انتشار مرض خاص يسمى الإيدز - يقضي علي المناعة الطبيعية للجسم مما يتحمّم الموت أمام أي تحدّ داخلي أو خارجي.

وقرر المؤلف أن نظريته أن هذه الظاهرة تُصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهل القضاء عليها.

وأن من حكم شهوته - وصان عفته في الدنيا - فإن جزاءه في الآخرة هو التمتع بالحوار العين والولدان المخلدين حسبما تشتهي نفسه منهما.

**ثانياً:**

ملاحظات الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر واعتراضات السيد مؤلف الكتاب عليها.

**أ - تخلص ملاحظات السيد مدير عام إدارة البحوث علي الكتاب موضوع الفحص - في تقريره غير المؤرخ - والمرفق بملف الدعوي - فيما يلي:**

١- أن المؤلف أورد في الصفحة ( ٩ ) من كتابه أنه توصل إلى رأي حول غلمان الجنة وولداتها وهو أن الاستمتاع بهم لمن عفا عنهم وتطهر في الدنيا.

٢- عدم دقة المؤلف وعدم عنايته في نقل النصوص القرآنية - علي التفصيل الذي أورده السيد المدير في تقريره المرفق بأوراق الدعوي - وذلك في الصفحات ١٣، ١١٥، ١١٤، ٧٥- من الكتاب موضوع الفحص.

٣- أن المؤلف حاول في الصفحات ١٢، ١٣ من كتابه جاهداً إيهام القاريء بأن الكبائر تنحصر في ثلاث نقط هي الإشراف بالله وقتل النفس والزنا - مستنداً إلى بعض النصوص التي جمعت الكبائر الثلاث في آية واحدة - ويقول ( المؤلف ) أن المسلمين عرفوا هذه الكبائر الثلاث ولكن المحترفين لا يرضيهم هذا فأوصلوا الكبائر إلي سبع وجعلوه حديثاً - ومصدره أبو هريرة - وهو بهذا - فيما يراه السيد المدير - يطعن في الأحاديث الصحيحة دون سند - علي حين أن المؤلف - فيما يراه تقرير المدير - يصدق الخرافات التي يحكيها في كتابه عن عائشة بنت طلحة التي نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها - نفر منها مائة من إبل الصدقة ولم تجتمع حتى اليوم.



وكذلك الشأن في تسليم المؤلف بترهات وبأكاذيب يكذبها الواقع التاريخي كما في قصة وساطة أبي بكر رضي الله عنه بين الجارية التي أحببت محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب ( ص ٤٦ ) فسعي حتى أعتقها وزوجها منه.

٤- كما نسب في ص ٤٦ من المؤلف إلي الخلفاء والفقهاء الإفتاء بأن الرجل إذا شرط مبلعاً من المال أو شيئاً في مقابل وطء المرأة فلا حدّ للزنا ولكنه زواج - فقد أعطاها أجرها وقبلت هي - وأنّ الفكرة أنّ الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعي وما عدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها.

٥- وأنّ الزنا الذي يحاربه الإسلام ويركز عليه هو الزنا الذي يتم بين شخصين يستحيل زواجهما - وكان الزنا بغير المتزوجة أمر هين يتسامح الإسلام في الإقدام عليه.

٦- وأنّ المؤلف يري أنّه إذا كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبية في ما دون الفرج فإنه لا يوجب الحدّ المقرر لعقوبة الزنا وإنّ اقتضي التعزير - كما رأي المؤلف أنّه لا يظن أنّ الشباب يتجاوز هذا الحدّ في خلواته السريعة المختلسة - فما من سبب يحول دون إتمام الزواج ولو فيما بينهما - ويرى السيد المدير أنّ هذا التعليل من المؤلف أشدّ ما يكون بالإغراء علي مزاولة الوطء مع الأجنبية.

٧- تعريض المؤلف بكذب نسبة بعض الأحاديث إلي رسول الله - ص - مع ورودها في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

٨- وأنّ المؤلف حاول في الصفحات ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ تقرير أنّ عقوبة الرجم للزاني المحصّن لم تثبت في الإسلام لورودها في السنّة دون القرآن - مع أنّ عقوبة الرجم في هذه الحالة ثابتة بالسنّة بالإجماع - والثابت بالسنّة المتواترة كالثابت بالقرآن.

٩- وأنّ كلام المؤلف في ص ٦٠، ٦١ يوجي بإباحة العادة السريّة دون قيود أو حدود - وأنّ المؤلف أورد في كتابه أنّه لا يحقّ للمشرع اليوم أنّ يقضي

بإعدام من يكفر بهود أو صالح أو حتي بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين - مطلقاً القول دون تفریق بين كافر أصلي وبين مرتدّ عن الإسلام - وأنّ هذا منه إباحة للردّة وإسقاط لحقها المقرر شرعاً.

١٠- في ص ١٥٢ يذكر المؤلف أنّ حدّ الزنا مقترن بالإحصان - وهذا صحيح كما يقرّر السيد المدير - ولكنه باطل إن أراد حدّ الجلد - كما يري المؤلف - أنّ اللوطي لا يمكن أن يكتمل فيه شرط الإحصان ولو تزوج زوجاً صحيحاً - وهذا مخالف لما يراه الفقهاء.

ثم انتهى تقرير السيد مدير إدارة البحوث والتأليف والترجمة إلي عدم صلاحية الكتاب للنشر والتداول - وأشار بالتحفظ علي جميع النسخ المطبوعة منه تمهيداً لاتخاذ الجهات المسئولة الخطوات اللازمة والقانونية نحوها ومصادرتها - ورفع الأزهر إلي فضيلة الدكتور الأمين العام للمجمع للتفضل بالنظر فيها.

١١- كما تقدم السيد / عبد الظاهر عبد الكريم - مدير التفيش السابق بالأزهر - الذي أعاد فحص الكتاب موضوع الدعوي - بتقرير مؤرخ ١٤/٥/١٩٨٤ ردّد فيه بعض المآخذ التي أوردها تقرير السيد مدير الإدارة - علي النحو الذي سبق تفصيله - ولكنه انتهى في تقريره - المرفق بالملف - أنّه رغم هذه المآخذ فإنّه لا يوصي بمنع الكتاب عن التداول - ولكنه يوصي بعرض هذه المسائل علي كبار العلماء.

فقد ردّ السيد المؤلف علي ملاحظات إدارة البحوث بمذكرته ( ٤ دوسيه ) - وتخلص فيما يلي:

١- أن ما أورده في كتابه عن الاستمتاع بالولدان في الجنّة - إنّما هو للذين عفوا وصاتوا أنفسهم عن الفاحشة في الدنيا - وأنّ مجال أعمال القوانين إنّما هو في الدنيا لا في الجنّة.

وأنه يأمل من عدل الله ورحمته أن يجازي من عف وصال نفسه عن الفاحشة في الدنيا - ولا قيد علي إرادة الله وعطاء الرحمن في الآخرة. وأنه إنما قرر تحريم الإسلام للواطئة في الدنيا - حيث مجال القوانين.

٢- وأنه إذا سقط منه سهواً ونسياناً بعض الأخطاء المطبعية في الآيات القرآنية - فإنه أمر غير مقصود. وأضاف السيد المؤلف - أنه يتعهد لعدالة المحكمة بإضافة صفحات تصويب لهذه الأخطاء المطبعية في نهاية الكتاب أو أي إجراء تراه لتنبية القراء لهذا الخطأ، الذي نستغفر الله منه.

٣- أما عن محاولة التشكيك في الأحاديث فإنه أمر - قرر السيد المؤلف - أنه لا يفعله ولم يفعله - مع إجماع الفقهاء علي أن ثمة أحاديث نبوية غير مقطوع بصحتها - وأن الأحاديث المجمع علي صحتها ستة آلاف والمدونة ستمائة ألف.

وأما عن تصديق الخرافات - فإن ما أورده عن أن إبل الصدقة نفرت قد ورد في كتب الأدب العربي - كما وردت فيه قصة الجارية التي زوجها أبو بكر والتي لم ينفها قول ثابت في تقرير إدارة النشر.

وأما بالنسبة لما ورد في ص ٤١ من الكتاب موضوع الفحص - عن شهود عقد الزواج - فقد ورد عنه في ص ٤٢ قول المؤلف " ويستطيع أي رجل وامرأة أن يتزوجا إما بالشهود أو بالإعلان أو بهما معاً - وبالتالي - كما يقول السيد المؤلف - فإنه لا محل لاتهامه بإلغاء الشهود أو الإعلان - كما وأضاف المؤلف أنه خصص الصفحات من ٤٧ إلى ٤٨ لإثبات ضرر الزنا وتحريمه بشكل عام بين المتزوجين وغير المتزوجين - وأنه إنما قال بأنه ليس ثمة مبرر واحد لكي يزني المسلم والمسلمة بلا استثناء - كما أنه قال في ص ١٥ و ١٦: وباختصار - إذا كان أبشع الزنا هو الزنا بين المتزوجين - فإن الزنا عموماً يحمل شراً خطيراً.

وأنّ المؤلف إنّما أراد أن يقول لكلّ فتى وفتاة - لماذا الزنا والزواج متاح - وأضاف المؤلف أنّه أورد في صفحة ( ٥٤ ) أنّ عقوبة الزنا هي الرجم والجلد الأولي بالسنة والثانية بالقرآن.

أمّا الحديث عن قوم صالح فلم يكن فيه مجال للكلام عن الردّة حتى يصحّ ما ورد بالتقرير في هذا الخصوص.

وأمّا جريمة اللواط - فقد قرّر السيّد المؤلف في مذكرته أنّه قرّر في كتابه أنّ الإسلام لم يفرض حدّاً للواط وتركه للمشرّع الذي وصل في تشديد العقوبة في عهد أبي بكر إلي حدّ الحرق حيّاً.

وانتهى السيّد المؤلف في مذكرته إلي طلب رفض المصادرة - ورفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث.

### ثالثاً: إطار البحث المائل:

في نطاق المهمة المحددة بالحكم الصادر من المحكمة الموقرة بجلسة ١٩٨٤/٧/٢٢ - ترى اللجنة - بادي الرأي - تبيان ما يلي:  
١- تنصّ المادة ص ٤٧ من الدستور علي أنّ: " حرية الرأي مكفولة - لكلّ إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون - والنقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة أبناء الوطن ".

- كما تنصّ المادة ١٠٢ مكرر ( أ ) من قانون العقوبات المضافة بالقانون ١١٢ لسنة ١٩٧٥ والمعدّلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٠ بأنّه: يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن خمسين جنيهاً ولا تجاوز مائتي جنيهه - كل من أذاع عمداً أخباراً أو بيانات أو إشاعات كاذبة أو مغرّضة - أو بثّ دعايات مثيرة - إذا كان من شأن ذلك تكدير الأمن العام أو إلقاء الرعب بين الناس أو إلحاق الضرر بالمصلحة العامة.

- كما يقضي قانون حماية القيم من العيب الصادر والمنشور بالجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ من مايو سنة ١٩٨٠ - في مادته الثالثة / ١ ، ٢ بالمساءلة السياسية عألي كل من ارتكب أحد الأفعال الآتية: الدعوي التي تتطوي علي إنكار للشرائع السماوية أو ما يتنافي مع أحكامها إذا تمّ ذلك بواسطة إحدي الطرق المنصوص عليها في المادة ( ١٧١ ) من قانون العقوبات - أو - تحريض النشء والشباب علي الإحراف عن طريق الدعوة إلي التحلل من القيم الدينية أو الولاء للوطن إذا تمّ ذلك بواسطة إحدي الطرق المنصوص عليها في المادة ١٧١ من قانون العقوبات.

٢- جاء في كتاب فتح القدير ج ٤ ص ١٤٩: ومن شبهة العقد ما إذا استأجرها ليزني بها ففعل - لا حدّ عليه ويُعزّر -  
وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي ومالك - يُحدّ - لأنّ عقد الإجارة لا يستباح به البضع - فصار كما لو استأجرها للطبخ ونحوه من الأعمال ثم زني بها فإنّه يُحدّ اتفاقاً.  
أما أبو حنيفة فقد ذهب إلي أنّه لا يُحدّ في هذه الحالة - لأنّ المستوفي بالزنا المنفعة وهي المعقود عليه في الإجارة لكنه في حكم العين - .  
- وجاء في كتاب مغني المحتاج للشافعية ج ٤ - ص ١٤٦: ويحدّ في وطء مستأجرها للزنا - لإنتفاء الملك والعقد - وعقد الإيجار باطل.  
وعن أبي حنيفة أنّه لا حدّ لأنّ الإجارة شبهة - وعورض بأنّها لو كانت شبهة ثبت النسب - ولا يثبت إتفاقاً.  
وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي ج ١٠ ص ٩٤: إذا استأجر امرأة لعمل شئ فزني بها - أو استأجرها ليزني بها وفعل ذلك - أو زني بامرأة ثم تزوجها أو اشتراها - فعليهما الحدّ - وبه قال أكثر أهل العلم - وقال أبو حنيفة لا حدّ عليها في هذه المواضع.

- وجاء في حاشية الدسوقي علي شرح الدرر للمالكية ج ٤ ص ٣١٣: أو إتيان حرّة أو أمة مستأجرة أجزّت نفسها أو أجرها وأليها أو سيدها لو طء أو غيره - كخدمة - فيحدّ واطنها المستأجر - ولا يكون الاستتجار شبهة تدرأ عنه الحدّ - ومن هذا يستبين أنّ من عدا الإمام أبي حنيفة من فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة يرون وجوب الحدّ علي الزاني. في حالة الإستتجار للزنا - دون اعتبار لعقد الإجارة الذي لا يكون شبهة تسقط الحدّ - .

- وقد أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بالأزهر - واللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بوزارة العدل - ولجنة العقوبات بمجلس الشعب - بهذا الرأي الأخير - في مشروعات القوانين التي أعدتها - وذلك عملاً بالقول الأقوي حجة - وسدّاً لذرائع الفساد في هذه الجريمة التي قد يحتال علي ارتكابها بمثل هذه الحيلة - ومن ثم فإنّ ما ذهب إليه المؤلف في هذا الخصوص مردود بما ثبت من إجماع الأئمة علي رفضه عدا الإمام أبي حنيفة - وذلك لصحة الأدلة التي استند إليها باقي الأئمة وقوتها في الإثبات.

٣- أما عن حدّ الزنا بالنسبة للمحصن ذكراً أم أنثى - فإنّ أئمة المسلمين قد أجمعوا علي أنّ حدّه هو الرجم حتى الموت - ويرى بعض أهل الظاهر - وهو قول لإسحق وأحمد في إحدى الروايات عنه أنّ يجلد مائة جلدة ثم يُرجم - ولكن بعض الخوارج يرون أنّ حدّه الجلد فقط - وأنكروا مشروعية الرجم - .

- والرجم للزاني المحصن ثابت بفعل رسول الله - ص - وقوله - رواه جمع كبير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم - ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من الخوارج الذين يرون أنّ حدّ الزنا مائة - للمحصن وغير المحصن علي السواء - وينكرون الرجم لأنهم لا يقبلون الأخبار إذا لم تكن في حد التواتر - وإنكار الخوارج الرجم باطل لأنهم أنكروا إجماع الصحابة - .

- واستدلال الخوارج بأن الآية: " فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِقَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَ نِصْفَ مَا عَلِيَ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ " (سورة النساء ٢٥) - جعل الله فيها للنساء نصف حدّ المحصنات من الحرائر - والرجم لا ينتصف فلا يصح أن يكون حدًا للمحصنات من الحرائر - وأن قوله تعالى: " الزانية والزاني " يقضي بعمومه وجوب الجلد لكل الزناة وإيجابه علي بعضهم يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد - وهو غير جائز في مذهبهم إلا إذا بلغ الخبر حدّ التواتر.

- وأجاب الجمهور علي الأولي بأنّ المراد من المحصنات في قوله تعالى: " فَعَلَيْنَ نِصْفَ مَا عَلِيَ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ " - الحرائر - وهي نوعان - ثيبات وأبكاراً - وحدّ النوعين علي التوزيع الرجم وجلد مائة - ولما كان الرجم لا ينتصف - كان العذاب مخصوصاً بغير الرجم بالدليل العقلي - وكان الرجم غير مشروع في حق الأرقاء. وعن الثاني - بأنّ الأحكام كانت تنزل بحسب تجدد المصالح - فعمل المصلحة التي اقتضت الرجم حدثت بعد نزول هذه الآية - وكفي بالسنة بياناً وتفصيلاً - وعن الثالث - بأنّ تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد عندنا جائز - لأنّ اللفظ العام في القرآن - وإن كان قطعياً في ثبوته ظنيّاً في دلالاته فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون - وأنّ الرجم ثبت عن طريق التواتر لا عن طريق الآحاد - فهو علي الأقل متواتر المعني - فهو واجب الإتيان.

وفي محاوره لعمر بن عبد العزيز مع بعض الخوارج سألهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - عن عدد الركعات ومقادير الزكاة - هل وردت في القرآن - فقالوا: ذلك من فعل رسول الله - ص - وفعل المسلمين - فقال لهم: وهذا أيضاً كذلك.

- يُراجع في تفصيل ذلك:

١- في مذهب الحنفية: كتاب المبسوط للإمام السوخسي ج ٩ ص ٣٦ طبعة سنة ١٣٢٤هـ؛ وكتاب فتح القدير ج ٤ ص ١٢١ - الطبعة الأولى؛ وفي مذهب الشافعية - : كتاب حاشية الجمل علي شرح المنهج ج ٥ ص ١٣١ - وكتاب الأم للإمام الشافعي - ج ٧ ص ٢٦١ - طبعة مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٦١م؛ وكتاب مغني المحتاج ج ٤ ص ١٤٦ ج ٧ ص ٤٠١.

٢- وفي مذهب المالكية - كتاب حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير للعلامة الدردير ص ٢٧٧، ص ٢٧٨؛ وكتاب بداية المجتهد لابن رشد ج ٢ ص ٣٦٠ - طبعة صبيح.

٣- وفي مذهب الحنابلة - كتاب المغني لابن قدامة ج ٧ - ص ١٥٧ و ١٥٨ طبعة المنار؛ وكتاب الإقناع للمقدسي ج ٤ ص ٢٥٠ - طبعة المكتبة التجارية الكبرى - هذا - وقد أخذت اللجان المشكلة بالأزهر ووزارة العدل ومجلس الشعب لتقنين الشريعة الإسلامية - برأي الأئمة وطرحت الرأي الذي انفرد به الخوارج في هذا الخصوص - ومن ثم فرأي المؤلف في هذا الكتاب - مردود بما سلف بيانه.

٤- وأما عن اللواط:

لقد رأت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بالأزهر في مشروعها - الأخذ برأي مالك والشافعي في المشهور عنه - وأبي يوسف ومحمد - من أن يكون حكم اللواط هو حكم الزنا - مخالفة في ذلك رأي أبي حنيفة الذي يري - بأن اللواط وإن كان جريمة - لكنها ليست من الزني - علي حين أخذت اللجنة العليا لتقنين الشريعة الإسلامية بوزارة العدل - في مشروعها - برأي أبي حنيفة في هذا الخصوص - لأن أهل اللغة - فصلوا بين اللواط والزني - ولكنها لم تشترط فيه الإشتهاة في المزني بها - حسبما ذهب إليه الحنفية - لتعذر الوقوف علي حقيقة معني الإشتهاة - إذ أنه أمر نسبي يختلف فيه الناس باختلاف ميولهم وأمزجتهم - وذلك أخذًا بالمذاهب الفقهية الأخرى عدا مذهب الشافعية ممن لا يشترطون هذا القيد.

وقد سايرت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها - ما ذهبت إليه لجنة



وزارة العدل - وأخذت برأي الحنفية - ولم تأخذ برأي المالكية والحنابلة وبعض الفقهاء من اعتبار اللواط زنا موجباً للحدّ - ومن ثم عرّفت المادة / ١١٦ من المشروع الزنا بأنه يُقصد به كل وطء بين رجل وإمرأة بالغين في غير زواج صحيح ولا شبهة فيه.

ويرى أبو حنيفة أنه ليس في اللواط حدّ - بل فيه تعزير.

( راجع كتاب ابن عابدين ج ٣ ص ١٣٠ - سبيل السلام لابن حجر ج ٤ ص ١٨٨٧ - نيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٧٠، ٧١، ٩٨، ٩٩ ).

وحين أخذت لجنة العقوبات بمجلس الشعب في مشروعها برأي أبي حنيفة - للأدلة التي أثرت الأخذ بها - فإنها أخذت أيضاً بعقوبة الجلد تعزيراً فنصّت في المادة ١٣٢ من المشروع بتوقيع عقوبة الجلد تعزيراً ٤٠ جلدة فضلاً عن الحبس - إذا كان اللواط بالرضا، ٨٠ جلدة فضلاً عن العقوبات التعزيرية الأخرى - في بعض الحالات المنصوص عليها في هذا المشروع.

#### رابعاً: رأي اللجنة:

- وعلي ضوء ما سلف - فإنّ اللجنة تضع في اعتبارها - وهي بصدد إبداء رأيها في موضوع المهمة التي ندبتها المحكمة لها. هذه الحقائق الثابتة من الأوراق المطروحة عليها:

١- أنّ تقرير السيد مدير عام إدارة البحوث - قد قال صواباً بالنسبة لما قرره عن الأخطاء التي وردت في الكتاب موضوع الفحص في النصوص القرآنية - ووجوب تصويبها - وقد صادقه السيد المؤلف علي أنّ ثمة أخطاء مطبعية وردت في بعض النصوص التي أوردها في كتابه - وأعلن في مرافعته أمام المحكمة وفي مذكرته المقدمة إليها بأنّه يعد المحكمة بمراجعة جميع الآيات التي وردت بالكتاب آية آية - وأنّه يتعهد لعدالة المحكمة بإضافة صفحات تصويب لهذه الأخطاء المطبعية في نهاية الكتاب أو أي إجراء تراه لتبنيه القراء لهذا الخطأ الذي يستغفر الله منه ( ص ٣ من المذكرة ).

ومن ثم فإن اللجنة تري بادي الرأي - أن { تعرض علي المحكمة الموقرة - أن تأمر المؤلف بإعداد صفحات في آخر الكتاب - بتصويب هذه الآيات بعد مراجعتها - والإشارة إلي ذلك في أول الكتاب قبل تداوله - وذلك إذا أذنت المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث ورفضت طلب مصادرتة.

٢- أن مؤلف الكتاب قد أفصح في مقدمته عما توخاه منه - وأنه ما قصد منه إلا مرضاة الله وخدمة المسلمين.

كما أوضح أن ظاهرة الشذوذ الجنسي عندما تخرج من الإطار الفردي لتصبح " فاحشة " علي مستوي المجتمع إنما تحدث في مرحلة الأقول الحضاري - بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضاري - حيث تصبح أبشع جريمة - وأنه لا يمكن أن ينهض مجتمع ويتحرر - وهذه الفاحشة شائعة فيه - ومن ثم فإن المؤلف يرى أنها ظاهرة انقراض حضاري ص ٧٣ - سلمت منها الحضارة الفرعونية في أيام نهضتها - بدلالة القرآن الكريم حين يقرر أن قوم لوط لم يسبقهم إلي هذه الموبقة أحد من العالمين - وقد سبق المصريون أيام نهضتهم قوم لوط في الوجود الحضاري - كما لم تعرفها الأمة الإسلامية أيام الجهاد الأول مع الرسول - ص - ومع الخلفاء الراشدين - وإنما عرفتھا الدولة الإغريقية والدولة الرومانية والدولة العربية في المشرق والمغرب أيام أفول شمس الجهاد - والاتحلال الحضاري - وأياً من كان الشخص الذي يُعزى إليه هذا الانحراف السلوكي لو ثبت عليه - فإنه مسلك يشينه ويستوجب عقابه في الدنيا والآخرة.

وسواء كان العقاب الدنيوي تعزيراً أو حداً - فإن ذلك موضوع للجدال الفقهي - علي النحو الذي فصلته اللجنة في تقريرها فيما سلف عن العقوبة - فلا تثريب علي الكتاب موضوع البحث إذا تناول هذه الآراء بالشرح من وجهة نظرة التي لا تعدو أن تكون ترديداً لبحث موضوع العقاب عن هذه الخطيئة الشائنة

المستقدرة - هل هو الحد كالزنا أو التعزير كما ذهب إلي ذلك بعض الفقهاء طالما أنه لا يدعو إليها أو يقول بعدم العقاب عليها أصلاً - ولا يبدو من جملة ما ورد بالكتاب أن المؤلف قد قصد إلي استمرار هذه الفاحشة المدمرة للعباد والبلاد علي حد سواء - ما دام مسلماً.

- أما الاستمتاع بالولدان المخلدين في الجنة لمن عفا في الدنيا - علي هذا النحو أو ذلك - فإنه رجم بالغيب لا يعلم حقيقته إلا الله - ولا يملك من ينفي أو يثبت - دليلاً حاسماً في هذا الموضوع يصح التعويل عليه في القول بتأثير من يخالفه شرعاً وقانوناً - والعلم به لا يزيد من علم الجاهل بما يفيد في دنياه وآخرته - كما وأن الجاهل من علم العالم بما يفيد في هذا الخصوص - والجدل فيه عقيم - والخوض فيه غير مجد - وإن كان يحسن النظر في متاع الآخرة علي ضوء ما قرره العليم الخبير - من أن خمراً لا غول فيها ولا تأثيم.

- كما وأن ما جاء بالكتاب موضوع البحث والرد عليه عن الزنا بالمستأجرة - وما إذ كان شبهة دائرة للحد أو أنه يُعتبر زناً موجباً للحد - قد سلف تفصيل آراء أئمة العلماء فيه علي النحو المبين في هذا التقرير - فقد رأى أبوحنيفة أن شبهته دائرة للحد ورأى باقي الأئمة والفقهاء والعلماء المحدثين أنه ليس كذلك - وهو ما أخذت به جميع اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الإسلامية علي النحو الذي سلف بيانه - وإن كانت مناقشة المؤلف للرأي المرجوح لا تثريب عليها.

- وأما عن الاستمتاع بالمرأة الأجنبية في ما دون الفرج - فإن كل ما أورده المؤلف بشأنه أنه لا يوجب الحد المقرر لعقوبة الزنا - وإن اقتضى التعزير - وهذا الرأي لا يخالف في شيء رأي جمهور الفقهاء في تعريف الزنا الموجب للحد وشروطه - وما أخذت به اللجان المؤلفة لتقنين الشريعة الإسلامية في هذا الخصوص علي النحو الذي سلف بيانه في هذا التقرير.

ولا حجة في القول بأن ما أورده الكتاب موضوع الفحص عن باقي

الملاحظات أشبه ما يكون بالإغراء بفعل المحرمات - فإن الأحكام لا تبنى إلا على الحقائق الثابتة - وليس مجالاً للفروض الظنيّة ولأنّ يخطيء الحاكم في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة كما هو معروف - فضلاً عن أنّه يتعيّن درء الحدود بالشبهات - ولأنّ الأصل هو صلاح الحال.

#### خامساً: كلمة أخيرة:

- من منطلق ما أورده السيد المؤلف - في مستهل خطبة كتابه موضوع الفحص ص ٧ - فإننا نقول مع من قال: ما كان أغناه - ولعله إنما أراد أن يعرض أمام الشباب بأسلوب جذاب - ما شاء أن يعرضه من آراء - تدعو إليّ الحضّ على الزواج المشروع طالما أنّ الشرع قد يسّر السبيل إليه - وتحمل آثار كل عمل قد يقدمون عليه - حتي لا ينحدروا إلى الهوّة التي إنحدر إليها المترفون الفاسقون - فيدمروا تدميراً.

كما ترى اللجنة أنّ تدعو السيد المؤلف - إلى مراعاة التحرز عند الكلام عن أخبار العلماء والصالحين - والتثبت قبل نسبته بعض ما لا يليق بهم إليهم - والله من وراء القصد وهو الهادي إلي الصراط المستقيم.

#### سادساً: النتيجة:

ولما كان قد خلص للجنة من كل ما سلف - وفي نطاق المهمة التي أسندتها المحكمة الموقرة إليها - عن كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " - بقلم الأستاذ: محمد جلال كشك - موضوع الفحص -  
١- أن هذا الكتاب - قد شابته بعض الأخطاء في نقل بعض النصوص القرآنية - على النحو المبين في الفقرة الأولى من البند رابعاً من هذا التقرير - ومن ثم ترى اللجنة - أنّ تعرض علي المحكمة الموقرة - أنّ تأمر المؤلف بإعداد صفحات في آخر الكتاب - بتصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض أخطاء - مع الإشارة في أول الكتاب إلي ذلك - قبل تداوله - وذلك إذا أدت

المحكمة الموقرة برفع التحفظ عن الكتاب موضوع البحث - ورفضت طلب مصادرتة.

٢- ترى اللجنة - أنّ الكتاب موضوع الفحص - بعد التصويب المشار إليه في البند السابق - لا اعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادرتة - مع الإفراج عنه بعد التصويب -

هذا:

والرأى الأعلى للمحكمة الموقرة

والله ولي التوفيق

أعضاء اللجنة

د/ حسين عبد المجيد هاشم.

المستشار/ عبد العزيز هندیز

الشیخ/ عطية صقر.

---

## قرار المحكمة بالإفراج عن الكتاب وإلغاء المصادرة

باسم الشعب  
محكمة جنوب القاهرة الابتدائية

بالجلسة المنعقدة علناً بسراي المحكمة في يوم الإثنين الموافق ١٣ / ٥ / ١٩٨٥ برئاسة السيد الأستاذ / مصطفى جمال الدين - رئيس المحكمة  
وعضويه السيد الأستاذ / عبد السميع شرف الدين وكيل أول نيابة  
أمن الدولة العليا وبحضور السيد / أمين كامل أمين السر.

صدر الحتكم الآتي:

في القضية المقامة من نيابة أمن الدولة العليا  
ضد

الأستاذ / محمد جلال كشك

المقيدة رقم ٣٢٢ لسنة ١٩٨٤ حصر أمن دولة عليا

المحكمة

بعد سماع المرافعة والإطلاع علي الأوراق

حيث أن وقائع الدعوي تخلص فيما أثبتته السيد النقيب / السيد ابراهيم  
اسماعيل بمباحث أمن الدولة في محضره المؤرخ ٥ / ٧ / ١٩٨٤  
الساعة العاشرة صباحاً من أن إدارة البحوث والنشر بالأزهر الشريف  
أخطرت بأن كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " للكاتب الأستاذ /  
محمد جلال كشك بالمطبعة الفنية ٣٢ شارع

الشقفاية بعبدين غير صالح للنشر والتداول .. لعدم دقة المؤلف في نقل النصوص قرآنية وكتابتها مما يُعد تحريقاً للآيات القرآنية بالإضافة إلي أن المؤلف يطعن في الأحاديث الصحيحة دون سند ويحاول التشكيك فيها بتصديق الخرافات التي يحويها كتابه .. ويردد المؤلف بأن عقوبة الزنا لم تذكر في القرآن في حين أنها ثابتة بالسنة وبالإجماع وقد طلبت إدارة البحوث والنشر بالأزهر إتخاذ الإجراءات القانونية لمصادرة الكتاب وتم إخطار المطبعة للتحفظ علي النسخ المطبوعة وعددها خمسة آلاف نسخة .. وقد أقر السيد المستشار المحامي العام لنيابة أمن الدولة الضبط وعرض الأمر علي المحكمة لتأييد أمر الضبط وفقاً للمادة ١٩١ من قانون العقوبات وقد أرفق بالمحضر صورة ضوئية من البيان الصادر من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة ببعض المآخذ علي كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " .

وحيث أنه لدي نظر الدعوي مثل المعروض ضده بمحام عنه طلب الإفراج عن النسخ المطبوعة وقال إن الأخطاء في بعض الآيات غير مقصودة ويتعهد بإضافة صفحات تصحيح لها .

وبجلسة ٢٢ / ٧ / ١٩٨٤ قررت المحكمة ندب لجنة ثلاثية من علماء مجمع البحوث الإسلامي وندبهم

السيد رئيس المجمع لإبداء الرأي حول الكتاب موضوع المصادرة، بجلسة ١١ / ٣ / ١٩٨٥ مثل السيد وكيل أول نيابة أمن الدولة وقدم التقرير وطلب أجلاً لإعلان المعروض ضده بالتقرير .. وقد انتهى تقرير اللجنة عن هذا الكتاب قد شابته بعض الأخطاء في بعض النصوص القرآنية ( علي النحو المبين في البند رابعاً من التقرير ) ورأت اللجنة أن يُعدّ المؤلف صفحات في آخر الكتاب تصويب الآيات القرآنية التي بها بعض الأخطاء مع الإشارة في أول الكتاب إلي ذلك قبل تداوله في حالة رفع التحفظ عنه ورفض مصادرته .. وتري اللجنة أن الكتاب موضوع الفحص بعد التصويب المشار إليه في البند السابق لا إعتراض عليه من ناحية رفع التحفظ ورفض طلب مصادرته مع الإفراج عنه بعد التصويب

وبجلسة ٢٢ / ٤ / ١٩٨٥ مثل المعروض ضده بمحامٍ معه وطلب أجلاً قصيراً لتقديم ما يفيد تصحيح الآيات القرآنية علي ضوء ما ورد بالتقرير ..

وبجلسة ٦ / ٥ / ١٩٨٥ قدّم نسختين من الكتاب بعد إجراء التصحيح وقدم مذكرة تعهد فيها بتصويب جميع النسخ قبل التوزيع .. ثم قررت المحكمة حجز الدعوي ليصدر فيها حكم بجلسة اليوم مع مذكرات لمن يشاء إلي ما قبل الجلسة بيومين .. ولم يقدم شيء فيها

وحيث أنّه من المقرر أنّ حرية الرأي مكفولة لكل إنسان الحق في التعبير عن رأيه ونشره بالقول، أو الكتابة في حدود القانون وبغير إلحاق الضرر بالمصلحة العامة ... لما كان ذلك وكان تقرر اللجنة المشكلة من السادة علماء مجمع البحوث الإسلامية قد انتهى إلي أنّ الكتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " لا اعتراض عليها من رفع التحفظ عنه ورفض طلب مصادره وذلك بعد تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الأخطاء ... ولما كان المعروض ضده المؤلف قد صحّح الآيات القرآنية في النموذج المقدم منه بجلسة ٦ / ٥ / ١٩٨٥ وتعهد بتصحيح جميع النسخ قبل توزيعها علي ضوء ما ورد بالتقرير ولما كان هذا الكتاب موضوع الفحص وما حواه من أفكار لا يتنافي مع أحكام الشريعة ولا يلحق الضرر بالمصلحة العامة ولا يدعو إلي التحلل من القيم الدينية ومن ثمّ فإثمه تعين الإفراج عن الكتاب وإلغاء أمر الضبط إلي أن يلتزم المعروض ضده بما ورد به بتقرير اللجنة المرفق من ضرورة تصويب الآيات القرآنية التي شابتها بعض الأخطاء.

فلهذه الأسباب

قررت المحكمة الإفراج عن كتاب " خواطر مسلم في المسألة الجنسية " وبإلغاء أمر الضبط الصادر بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٨٤ .  
أمين السر . رئيس المحكمة .

حرّرت هذه الصورة طبق الأصل من الحكم الصادر في القضية رقم ٣٢٢ / ١٩٨٤ حصر أمن الدولة العليا وسُلمت للطالب بناء علي طلبه بعد سداده الرسم المطلوب بالقسيمة رقم ١٤٣٥٣/٧٢٢٣٣٧ وقيدت بدفتر الصور تحت رقم / صور  
تحريراً في ١٩ / ٦ / ١٩٨٥ .